علو الهمة في حب النبي ﷺ وتعظيمه وتوقيره ورعاية حقوقه

بِأبِي أَنتَ وأُمِّي يَا رَسُول الله :

السِّراجُ المنير والإنسانُ النَّجْمِيُّ ﷺ :

✍ كما تَطلُعُ الشمسُ بأنوارها فتُفَجِّرُ يُنبوعَ الضوء -المُسَمَّى بالنهار-، يُولَدُ محمدٌ رسول الله ﷺ فيُوجَدُ في الإنسانية يُنبوعُ النور -وهو الإسلام-.

✍ وليس النهارُ إلَّا يَقَظةَ الحياةِ تُحقِّقُ أعمالَها، وليس ما جاء به محمدٌ رسولُ الله ﷺ إلَّا يقظةَ النفس تُحقِّقُ أفضالها.

✍ والشمسُ خَلقها الله حاملةً طابعًا خاصًّا، في عَمَلها للمادة تُحَوِّل به وتُغَيِّر، والنبيُّ محمدٌ ﷺ أرسله الله حاملًا طابعًا في عَمَله ترقَّى فيه النفسُ وتسمو.

✍ وليس النبيُّ محمدٌ ﷺ إنسانًا من العُظماء يُقرأ تاريخُه بالفِكر معه المنطق، ومع المنطق الشكُّ، ولكنه إنسانٌ نَجْمِيٌّ يُقرَأُ بمثلِ «التلسكوب» في الدِّقَّة معه العِلم، ومع العلم الإيمان.

✍ ومحمدٌ رسول الله ﷺ مِثلُ النَّجم سراجٌ منير، وإشراقٌ على الإنسانية يُقوِّمها في فَلَكها الأخلاقي، ويجذبُها إلى الكَمَال في نظامٍ هو بعينه صورةٌ لقانونِ الجاذبية في الكواكب.

✍ ونفسُ رسولِ الله ﷺ أبلغُ الأنفس قاطبةً، لا يمكنُ أن تَعرِفَ الأرضُ أكملَ منها، ولو اجتمعت فضائلُ الحكماء والمتألِّهين، وجُعلت

في نِصابٍ واحدٍ، ما بَلغت أن يجيء منها مِثلُ نفسه ﷺ.

✍ نفسٌ سامقةٌ عاليةٌ تُطِلُّ على الدنيا من عَلٍ لتصحيح الوضعِ المغلوطِ للبشريَّة، وكأنَّ الحقيقةَ الساميةَ في هذا النبيِّ ﷺ تنادِي: أن قابِلوا على هذا الأصل، وصحِّحوا ما اعترى أنفسَكم من غَلَطِ الحياة وتحريفِ الإنسانية.

✍ هو نَبعٌ في الأرض لمعاني النور بإزاءِ الشمس نَبْعِ النور في السماء.

✍ مِن أين تَدَبَّرْتَ هذه النفسَ العظيمةَ، رأيتَها تَنبسطُ على الإنسانية كالشمس في الأفق الأعلى تنبسط وتضحَى.

* قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب]. وهو حاملُ النور إلى البشرية.. نورِ الوحي.

* وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة].

□ قال العلامة ابن جرير الطبري: «قد جاءكم يا أهلَ التوراة والإنجيل ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ ﴾ يعني بالنور محمدًا ﷺ الذي أنار الله به الحقَّ، وأظهر به الإسلام، ومَحَق به الشرك، فهو نورٌ لمن استَنار به، يُبيِّن الحقَّ، ومِن إنارته الحق تبيينُه ليهود كثيرًا مما كانوا يُخفون من الكتاب..

قد جاءكم من الله تعالى النورُ الذي أنار لكم به معالِمَ الحق»(١).

نورٌ تُشرقُ به كينونةُ الإنسان عند الإيمان به وبما جاء به، فتَشِفُّ وتَخِفُّ وتَرِفُّ، ويُشرقُ به كلُّ شيءٍ أمامه، فيَتَّضِحُ ويتكشَّفُ ويستقيم.

ثُقلة الطين في كِيانه، وظُلمةُ التراب، وكثافةُ اللحم والدم، وعَرامةُ الشهوة والنزوة، كلُّ أولئك يُشرقُ ويُضيء ويتجلَّى.. تَخِفُّ الثُّقْلة، وتُشرقُ الظلمة، وتَرِقُّ الكثافة، وترِقُّ العرامة.. واللَّبْسُ والغَبَشُ في الرؤية، والتأرجُحُ، والتردُّدُ في الخُطوة، والحَيرةُ والشرودُ في الاتجاه والطريق البهيم الذي لا معالم فيه: كل أولئك يُشرقُ ويُضيء ويتجلَّى.. يتضحُ الهَدَف، ويستقيمُ الطريقُ إليه، وتستقيمُ النفسُ على الطريق.

□ ولله درُّ القائل في نبي الله ﷺ:

كـأن الثُرَيَّـا عُلِّقَـتْ بجبينـه ... وفي جِيْدِه الشِّعْرَى وفي وجِهِ القَمَرُ

عليه جَلالُ المَجْدِ لـوْ أَنَّ وجْهَـهُ ... أضَاءَ بليل هلَّـلَ البَـدْوُ والحَـضَرُ

□ عن أنس بن مالك ﷺ قال: «لَـمّـا كانَ اليومُ الذي دخَل فيه رسول الله ﷺ المدينة، أضاءَ منها كُلُّ شيءٍ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كلُّ شيءٍ، وما نَفَضْنَا عن رسول الله ﷺ الأَيْدِي -وإِنَّا لَفِي دفْنِه- حتى أنكَرْنَا قُلُوبَنا»(٢).

✍ وهو حامل النور -القرآن- إلى البشرية.

* قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا

---

(١) «تفسير الطبري» (٨/ ٢٦٤)- طبع دار هجر.

(٢) حديث صحيح: رواه أحمد، والترمذي وقال: حسن صحيح، وكذا رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى].

* وأعظمُ مِنَّةٍ وتكريم يَمُنُّ الله به ويُورِدُه في كتابه الكريم هذا المثل: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور].

والضمير في «نوره» يعود على الله سبحانه.

□ قال أُبيُّ بنُ كعب رضي الله عنه: «مَثَلُ نورِه في قلب المسلم».

□ وقال ابن القيم: «والمعنى: مَثَل نورِ الله سبحانه وتعالى في قلب عبده.. وأعظمُ عبادِه نصيبًا من هذا النور رسولُه ﷺ».

والمؤمنُ قلبُه مُضِيءٌ يكادُ أن يُضيءَ بنفسه، يكادُ يعرفُ الحقَّ بفطرته وعَقْله، ولكن لا مادَّةَ له من نفسه، فجاءت مادةُ الوحْي فباشرت قلبه، وخالطت بشاشَتَه، فازداد نورًا بالوحي على نورِه الذي فَطَره الله عليه، فاجتمع له نورُ الوحي إلى نورِ الفِطرة، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾.

✍ فما ظنك بنورِ رسول الله ﷺ؟!.

انظر إلى هذا التشبيه العجيب الذي تضمَّنته الآيةُ، فيه من الأسرار والمعاني وإظهار تمامِ نِعمته على عَبدِهِ المؤمن -وأكملُ عبادِه رسولُه ﷺ بما أناله من نوره- ما تَقَرُّ به عيونُ أهله، وتبتهجُ به قلوبُهم.

فتأمَّلْ صفةَ «المشكاة»، وهي كُوَّةٌ تَنفُذُ لتكونَ أجمعَ للضوء، قد وُضع فيها مِصباحٌ، وذلك المصباحُ داخلَ زجاجةٍ تُشبهُ الكوكبَ الدُّرِّيَّ في

صَفائِها وحُسنها، مادتُه من أصفى الأدهانِ وأتمِّها وَقودًا، فمن شدةِ إضاءةِ زيتها وصفائِه يكادُ يُضيءُ من غير أن تمسَّة نار.

• فالمشكاةُ صَدْرُ المؤمن، والزجاجة قلبُه، وبصفائه تتجلَّى فيه صُورُ الحقائق والعلوم على ما هي عليه، وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تعالى آنيةً من أهل الأرض، وآنيةُ ربِّكم قلوبُ عبادِه الصالحين، وأحبُّها إليه ألْيَنُها وأرقُّها**»[1].

والشجرةُ المباركة: هي شجرةُ الوحي، هي مادةُ المصباح التي يتَّقد منها.

فماذا ظنُّك بحظِّ رسولِ الله ﷺ مِن هذا المَثَل؟!.

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الله خَلَق خَلْقَه في ظُلمة، ثم ألقى عليهم من نُوره، فمن أصابه من ذلك النورِ اهتدى، ومن أخطأه ضَلَّ، فلذلك أقول: جَفَّ القلمُ على عِلم الله**»[2].

---

(١) إسناده قوي: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» عن أبي عنبة، وقال الألباني: «رجاله كلهم ثقات أثبات غير «بقية»، وهو صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، وهو هنا قد صرَّح بالتحديث».. وقواه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٦٩١)، وحسَّنه في «صحيح الجامع» برقم (٣١٦٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد في «المسند» مطولاً (١٠/ ١٢٧)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر. وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٩٣- ١٩٤): «رواه أحمد بإسنادين والبزار والطبراني، ورجال أحد إسنادي أحمد ثقات»، ورواه الترمذي في «سننه» (٥/ ٢٦) في الإيمان –باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وقال: حديث حسن، وأخرجه الحاكم مطولاً وصححه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٦٤) رقم (١٠٧٦).

فيا لها من أنوارٍ كانت لرسول الله ﷺ! فإنَّ نورَ الإيمان يملأُ قلبَه، ومُدخَلُه نور، ومُخْرَجُه نور، وعِلمُه نور، ومِشيتُه في الناس نور، وكلامه نور، ومصيرُه إلى نور، وللمؤمن نصيبٌ من هذا.

وتتزايدُ مادة النور حتى تظهرَ على وجوهِ المؤمنين وجوارحِهم وأبدانِهم، بل وثيابهم، ودُورِهم، يُبصِرُه مَن هو من جِنسهم، فإذا كان يومُ القيامةَ بَرَز ذلك النورُ يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، منهم مَن نورُه كالشمس، وآخر كالقمر، وآخر كالنجوم.

□ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كان «النورُ» من أسمائه الحُسنى وصفاته، كان دينُه نورًا ورسولُه نورًا، وكلامُه نورًا، ودارُه نورًا يتلألأ، والنورُ يتوقَّدُ في قلوب عباده المؤمنين، ويجري على ألسنتهم، ويظهر في وجوههم».

□ قال ابن تيمية: «إن الله ضَرَب مَثَلَ نورِه في قلوبِ المؤمنين بالنور الذي في المصباح وهو في نفسه نورٌ، وهو مُنَوِّرٌ لغيره، فإذا كان نورٌ في القلوب هو «نورٌ»، وهو «منوِّر»، فهو في نفسه أحقُّ بذلك، وقد عُلِم أن كلَّ ما هو نورٌ فهو منوِّر»[١].

وقفة:

حين يَفيضُ النورُ الهادئُ الوضيءُ، فيَغمُرُ القلبَ كلَّه، ويَفيضُ على المشاعر والجوارح، وينسكبُ في الحنايا والجوانح، وحتى يَسْبَحَ الكونُ كلُّه في فيضِ النور الباهر، وحتى تُعانِقَه وتَرشُفَه العيونُ والبصائر، حين

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٢٣٦).

تنزاحُ الحُجُب، وتَشفُّ القلوب، وترفُّ الأرواح، ويَسْبَحُ كلُّ شيءٍ في الفيض الغامر، ويتطهَّرُ كلُّ شيءٍ في بحرِ النور، ويتجرَّدُ كلُّ شيءٍ من كثافته وثُقْله، فإذا هو انطلاقٌ ورَفرفة، ولقاءٌ ومعرفة، وامتزاجٌ وأُلفة، وفَرَحٌ وحبُور، وإذا الكونُ كلُّه بما فيه ومَن فيه نورٌ طَليقٌ من القيود والحدود، تتَّصلُ فيه السماواتُ بالأرضِ، والأحياءُ بالجماد، والبعيدُ بالقريب، وتلتقي فيه الشِّعابُ والدُّرُوب، والطوايا والظواهر والحواس والقلوب.

فَيضٌ غامر من النور..وأُفُقٌ وضيءٌ يدركُه القلبُ كلما شَفَّ ورَفَّ، ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾.

مَثَلٌ يُقرِّبُ للإدراك المحدود صورةَ غيرِ المحدود، مَثَل يُقرِّبُ للإدراكِ طبيعةَ النورِ حين يَعجِزُ عن تتبُّعِ مَدَاه وآفاقِهِ المترامية وراءَ الإدراكِ البشريِّ الحسير.

وإنَّ مَن حُجب عن معرفةِ ربِّه ونورِه يُحجَبُ عن معرفة رسوله الذي أرسله الله سراجًا منيرًا.. وضرب مثلًا لنوره بالنور في قلبِ رسوله ﷺ..

وكيف يَبْلُغُ في دنياه غايَتَه مَن تستوي عنده الظَّلْماءُ والنُّورُ!

• انظر إلى دعاءِ مَن أرسله الله سِراجًا منيرًا - وقد استجاب الله لدعائه-: «**اللَّهم اجعَلْ في قلبي نورًا، وفي بَصَري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، ومن فوقي نورًا، ومن تحتي نورًا، ومن أمامي نورًا، ومِن خَلفي نورًا، واجعلْ لي في نفسي نورًا، وأعظِمْ لي نورًا**»(١).

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي عن ابن عباس.

• «اللَّهم اجعلْ في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، واجعلْ في سمعي نورًا، واجعلْ في بَصَري نورًا، واجعلْ مِن خَلْفي نورًا، ومِن أمامي نورًا، واجعلْ من فوقي نورًا، ومن تحتي نورًا، اللَّهم أعطِني نورًا»(١).

لا يفقهُ عِظَمَ هذا المَثَل وقَدْرَ هذا الدعاء النبويِّ الجميل إلَّا مَن رَزَقه الله نورًا وحياةً في قلبه، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام].

□ ولله درُّ القائل عن رسول الله ﷺ:

قَمَــرٌ تفــرَّدَ بــالكمالِ كمـــالُه ... وحَوَى المحاسِـنَ حُسْنُه وجمالُـهُ

وتنـاول الكَـرَمَ العـريضَ نَوَالُـه ... وَحَوَى المفـاخِرَ فخـرُه المتقـدِّمُ

فبربِّـــه صَـــلُّوا عليه وسلِّمُوا

والله مـــا ذَرَأَ الإلـــهُ ولَا بَـــرَا ... بَشَرًا ولا مَلَكًـا كأحمـدَ في الـوَرَى

فعليـه صـلَّى الله مـا قلـمٌ جَـرَى ... وجَـلَا الـدياجي نـورُه المُتبَـسِّمُ

فَبِرَبِّـــه صَـــلُّوا عليه وسَلِّمُوا

□ والقائل:

قمـرٌ تشعـشعَ مِـن ذؤابـةِ هاشـمٍ ... في الأرض نـورُ هدايـةٍ وصـوابِ

العاقبُ المـاحي الضَّلالةَ بالهـدى ... ومُـــدَمِّرُ الأزلام والأنـــصابِ

□ ولله درُّ القائل فيه:

فهـو الـذي تـمَّ معنـاهُ وصـورتُه ... ثم اصـطفاه خليـلًا بـارئُ النَّسمِ

---

(١) رواه مسلم وأبو داود – واللفظ له- عن ابن عباس.

لكأنما خَرَجت هذه النَّفْسُ مِن صِيغةٍ كصيغةِ الدُّرة في محارتها، أو تركيبٍ كتركيب الماسِ في مَنْجَمِه، أوْ صفةٍ كصفةِ الذهب في عِرْقه.

* سبحان من رفع قَدْرَ رسولِ الله ﷺ فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

□ «هو رحمةٌ للإنسان، إذ عَلَّمه الرحمن، وسَكَب في قلبه نورَ الإيمان، ودَلَّه على طريق الجِنان.

- هو رحمةٌ للشيخ الكبير، إذ سهَّل له العبادة، وأرشده لحُسنِ الخاتمة، وأيقظه لتدارُكِ العمرِ واغتنامِ بقية الأيام.
- هو رحمةٌ للشاب، إذ هداه إلى أجملِ أعمال الفُتُوَّة وأكملِ خِصال الصِّبا، فوجَّه طاقتَه لأنبلِ السجايا وأجلِّ الأخلاق.
- وهو رحمةٌ للطفل، إذ سقاه مع لَبَنِ أُمِّه دِينَ الفطرة، وأسمعه ساعةَ المَولِدِ أذانَ التوحيد، وألبَسه في عهدِ الطفولة حُلَّةَ الإيمان.
- وهو رحمةٌ للمرأة، إذْ أنصفَها في عالَم الظُّلَم، وحَفِظ حقَّها في دنيا الجَوْر، وصان جانبَها في مهرجانِ الحياة، وحَفِظ لها عفافَها وشَرَفها ومُستقبلها، فعاش أبًا للمرأة زوجًا وأخًا ومُرَبِّيًا.
- وهو رحمةٌ للوُلاة والحُكَّام، إذْ وضع لهم ميزانَ العدالة، وحَذَّرهم من مَتَالِفِ الجَور والتعسُّف، وحَدَّ لهم حدودَ التبجيل والاحترام والطاعة في طاعةِ الله ورسوله.
- وهو رحمةٌ للرعِيَّة، إذْ وقف مدافعًا عن حقوقها، مُحرِّمًا

الحيفَ، ناهيًا عن السَّلب والنَّهْب والسَّفك والابتزاز والاضطهاد والاستبداد»[(١)].

وزكَّى الله خُلُقَه فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾:

□ «عظيمُ الأخلاق، كريمُ السجايا، مُهَذَّب الطِّباع، نقيُّ الفِطرةَ، جَمُّ الحياء، حَيُّ العاطفة، جميلُ السِّيرة، طاهرُ السريرة، أُلبس إِهابَ الهَيبة، وتُوِّج تاجَ السِّيادة، وضُمِّخ بأزكى خَلوقٍ أزكى الأخلاق، وأُحِلَّ دارَ المُدَارة، وأُعطِيَ لقطعِ مفازة الدنيا جَوادَ الجُودِ، فهو هلالُ شهرِ الكمال، وأميرُ جيشَ الجود، ورُوحُ جُثمانِ الكون، وحشاشةُ نفسِ المملكة»[(٢)].

□ «أُجْلِس على صفحةِ الصَّفح، ولُقِمَ لُقَمَ لقمان الحكيم، ووُضِعت له أكوابُ التواضع، وأُديرت عليه كؤوسُ الكَيْس، مُتضمِّنةً حلاوةَ الحِلم، خِتامُها مِسْكُ النُّسك، نُووِلَ قلمَ العزِّ، فوقَّع على صحائفِ الكَدِّ، «**كلُّ عملٍ ليس عليه أمرُنا فهو رَد**».

كان يعودُ المريض، ويُجيب دعوةَ المملوك، ويجلسُ على الأرض، ويَلَبسُ الخشِن، ويأكلُ البشع، ويَبيتُ الليالِيَ طاويًا، يتقلبُ في قفرِ الفقر، ولسانُ الحال يناديه: يا محمد، نحن نَضِنُّ بك عن الدنيا، لا بها عنك»[(٣)].

أُشرِبت نفسُه عِلمَ اليقين وعَينَه وحقَّه.

---

(١) «محمد ﷺ كأنك تراه» لعائض القرني (ص١٠٦- ١٠٧)- طبع دار ابن حزم.
(٢) «مقامات ابن الجوزي» لابن الجوزي (ص٤٨) –دار فوزي للطباعة.
(٣) «المدهش» لابن الجوزي (ص١١٧- ١١٨)- دار مروان للطباعة.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾:

□ «إنك قِمَّة الفضائل، ومَنبعُ الجُود، ومَطْلَعُ الخير، وغايةُ الإحسان.

يَظلِمونك فتَصْبِر، يُؤذونك فتَغفر، يَشتمونك فتحلُم، يَسُبُّونك فتعفو، يجفونك فتصفح.

يُحبُّك المَلِكُ والمملوكِ، والصغيرُ والكبير، والرجلُ والمرأة، والغَنِيُّ والفقير، والقَريبُ والبعيد؛ مَلَكْتَ القلوب بعطفك، وأَسَرْتَ الأرواح بفضلك، وطَوَّقتَ الأعناقَ بكرمك.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾.. هذَّبك الوحيُ، وعَلَّمك جبريل، وهداك ربُّك، وصاحَبَتْك العناية، ورافقتك الرعاية، وحالفك التوفيق.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾.. البسمةُ على مُحَيَّاك، البِشْرُ على طَلعتك، النورُ على جَبينك، الحبُّ في قلبك، الجُودُ في يَدِك، البركةُ فيك، الفوزُ معك..

مَـن زار بابَـكَ لم تبـرَحْ جوارحُـهُ ... تروي أحاديثَ ما أَوْليتَ مِن مـنَنِ

فالعينُ عَن قُرَّةٍ والكَفُّ عَن صِـلَةٍ ... والقلبُ عن جابرٍ والسمعُ عن حسنِ

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾.. لا تكذبُ ولو أن السيفَ على رأسك، ولا تخونُ ولو حُزْتَ الدنيا، ولا تَغْدِر ولوْ أُعطِيتَ المُلْك؛ لأنك نبيٌّ معصوم، وإمامٌ قُدْوة، وأُسوةٌ حسنة.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾.. صادقٌ ولو قابَلَتْك المنايا، شُجاعٌ ولو قاتلتَ الأُسُود، وجَوَادٌ ولو سُئلت كلَّ ما تملِك، فأنتَ المِثالُ الراقي والرمزُ السامي.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾.. سَبَقْتَ العالَمَ ديانةً وأمانةً وصيانةً ورزانةً، وتفوَّقْت على الكُلِّ عِلمًا وحِلْمًا وكرمًا ونبلًا وشجاعةً وتضحيةً»[1].

✍ إذا ذُكِرتَ ذُكِرَتْ معك الفضيلةُ في أجمل صورها، وذُكِر معك الطُّهْرُ في أرقى مشاهِدِه، وذُكِر معك العدلُ في أسمى معانيه.

✍ كُتِب اسمُك بحروفٍ من نور في قلوبِ الموحِّدين.. فلو شَقَقْتَ كُلَّ قلبٍ لرأيتَك محفورًا في النِّياط، مكتوبًا في السُّوَيداء، مرسومًا في العُروق..

والله لو شُقَّ قلبي في الهَوَى قِطعًا ... وأبصر اللَّحْظُ رسمًا في سُويْداهُ
لكنتَ أنت الذي في لوحِه كُتِبَتْ ... ذِكْرَاه أو رُسِمَتْ بالحُبِّ سِيماهُ

✍ أنت صاحبُ الغُرَّة والتبجيل، المذكورُ في التوراةِ والإنجيل، المؤيَّد بجبريل.. بَشَّرَت بك الرُّسُل، وأخبرَتْ بك الكُتُبُ، وحَفَلت باسمك التواريخُ، وتشَرَّفت بك النوادي، وعَمَّ ذِكرُك الحواضرَ والبوادي، وتضوَّعت بذِكرك المجامع، وصَدَحتْ بذكراك المنائر، ولَجْلَجَتْ بحديثك المنابر.

✍ عُصمتَ من الضلالة والغواية، ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ [النجم]، وحُفِظت من الهوى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [النجم].

✍ كلامُك شريعة، ولفظُك دِين، وسُنَّتك وَحْيٌ، ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[النجم].

✍ سجاياك طاهرة، وطَبيعتُك فاضلة، وخِلالُك جميلة، وخِصالُك

(١) «محمد كأنك تراه» (ص٦٥ - ٦٧).

نبيلة، ومواقفُك جليلة، ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩﴾ [النمل].

✍ ليِّن الجانب، سَهْلُ الخليقة، يسيرُ الطبع، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

✍ ظاهرُ العِناية، ملحوظٌ بعينِ الرعاية، منصورُ الراية، مُوَفَّقٌ محظوظ، مُظفَّرٌ مفتوحٌ عليه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح].

✍ أصلح الله لك قلبَك، وأنار لك دَرْبَك، وغفَر لك ذَنْبَك ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفتح].

□ لا يُقال لغيرك هذا الشِّعر:

الشمسُ من حُسَّادِه والنصرُ من	قرنائِـهِ والحمـدُ مـن أسمائِهِ
أيـن الثلاثـةُ مـن ثـلاثِ خِلالـهِ	مِـن حُـسنِهِ وإبائِـه ومَـضائِهِ
مَضتِ الـدُّهورُ ومـا أَتَـيْنَ بمثلـه	ولقـد أتـى فعَجِـزْنَ عـن نُظرائِـهِ

عظيمٌ كلَّ العظمة:

✍ رجلُ السماء في الأرض، وهِبَةُ السماء للأرض، كان ﷺ -وهو في حدودِ نفسه وضِيق مكانه- يتسعُ في الزمن من حيثُ لا يَرى ذلك أحدٌ ولا يعلمه، وكأنما كانت شمسُ اليوم الذي سينتصرُ فيه -قبل أن يُشرِقَ على الدنيا- مشرقةً في قلبه.

✍ أراد الله تعالى أن يبدأ هذا الجليلُ العظيم من أَسْمى خِلالِ الجلال والعظمةِ، ليكونَ أولُ أمره شهادةً بكماله ، فكانت الحسنةُ فيه بشهادةِ السيئة من قومه، فحِلْمه بشهادة رُعونتهم، وأَناتُه وحِلْمه بدليل طيشهم، وحِكمته ببرهانِ سفاهتهم.

✍ نَثَروا الترابَ على رأسه.. إنَّ هذا الترابَ هو شذوذُ الحياةِ الأرضيَّةِ الدنيئةِ في مقابلة إنسانها المتفرِّد، هذه القبضةُ من التراب قبضةٌ سفيهة تحاول رَدَّ الممالكِ الإسلاميةِ أن تنشأَ نشأتَها وتعملَ في التاريخ عملها.

✍ وكان قِطفُ العنب من «عَدَّاس» في رحلة الطائف رمزًا لهذا العنقود الإسلاميِّ العظيمِ الذي امتلأ حَبًّا، كُلُّ حَبَّةٍ فيه مملكة.

بأبي وأمي رسولُ الله ﷺ.. والذي نفسي بيده هو أوْلى الناس بقول القائل:

زَمَانُكَ بُستانٌ وعَصْرُكَ أخضَرُ ... وذكراكَ عصفورٌ مِنَ القَلْبِ يَنْقُرُ
دَخَلْتَ على تاريخنَا ذاتَ لَيْلَةٍ ... فَرَائحَةُ التَّارِيخ مِسْكٌ وعَنْبَرُ
وَكُنْتَ فكانَتْ في الحقولِ سَنَابِلٌ ... وَكَانَتْ عَصَافيرٌ وكَانَ صُنُوبَرُ
لَمسْتَ أَمَانِينَا فَصَارَتْ جَدَاوِلًا ... وَأَمْطَرْتَنا حُبًّا ولازِلْتَ تُمْطِرُ
تُعَاوِدُنِي ذِكْراكَ في كُلِّ لَحْظَةٍ (١) ... وَيُورِقُ فِكْرِي حينَ فيك أُفَكِّرُ
وتَأْبَى جِرَاحي أنْ تَضُمَّ شِفَاهَهَا ... كَأَن جِرَاحَ الحُبِّ لا تَتَخَثَّرُ
أَتَسْأَلُ عن أَعْمارِنا أَنتَ عُمْرُنا ... وأنت لنا التاريخُ أَنْتَ المُطَهَّرُ (٢)

ونبضُ فؤادِنا ووَجيبُ قلوبنا قاصِرٌ على حُبِّ رسول الله ﷺ بعد حب الله عَزَّ وَجَلَّ:

قَصَرْتُ عَلَيْكَ العُمْرَ وهو قَصِيرُ ... وغَالَبتُ فيك الشَّوْقَ هو قَدِيرُ

(١) في الأصل: تعاودني ذكراك كل عشيَّة.
(٢) في الأصل: وأنت لنا الآمالُ أنت المُحَرِّرُ.

وأَنْشَأْتُ في صدري لِحُسْنِكَ دَوْلَةً ... لها الحُبُّ جُنْدٌ والولاءُ سَفِيرُ
فؤادي لها عَرْشٌ وأنتَ مَلِيكُهُ ... ودُونَكَ مِن تلك الضُّلُوعِ سُتُورُ
وما انتَقَضَتْ يومًا عليكَ جَوانِحِي ... وَلَا حَلَّ في قلبي سِواكَ أميرُ
حبيبٌ [1] إذا غَنَّى اليَرَاعُ بمَدحه ... سَرَتْ بالمَعَالي هِزَّةٌ وسُرورُ
فَدِينُكَ مَحْروسٌ ورَبُّك حافِظٌ ... وأنت على مُلْكِ القلوبِ أميرُ

* ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾:

لَمسةٌ من حَنان، ونسمةٌ من رحمة، وطائفٌ من وُدٍّ، ويدٌ حانيةٌ تمسحُ على الآلام والمواجع، وتَنسَّمُ بالرَّوْح والرضى والأمل، وتسكبُ البَرْدَ والطمأنينةَ واليقين.. كلُّها خالصةٌ للنبي ﷺ، كلُّها نجاءٌ له من ربِّه، وتَسْرِيةٌ وتَسليةٌ وترويحٌ وتطمين، كلُّها أنسامٌ من الرحمة، وأنداءٌ من الوُدِّ، وألطافٌ من القربى، هَدْهَدةٌ للرُّوحِ والخاطِرِ والقلب.

يُقسِمُ الله سبحانه وتعالى بهذَيْن الآنيْنِ الرائقيْنِ الموحيَيْن.. الضحى الرائق الصافي، والليلِ الساجي الذي يَرقُّ ويسكنُ ويصفو، وتغشاه سحَابةٌ رقيقةٌ من الشجَى الشفيف، والتأمُّلِ الوديع.. أَشَفُّ آنَيْنِ تسري فيهما التأملات، وتتصلُ الرُّوحُ بالوجود، وخالقِ الوجود، وتُحِسُّ بعبادةِ الكون كلِّه لمبدِعِه، وتوجُّهُه لبارئه بالتسبيح والفرحِ والصفاءِ، ويعيشُ القلبُ في أُنسٍ من هذا الوجود الجميل الحيِّ.

ما تَرَكَكَ ربُّك مِن قبلُ أبدًا، وما قَلاك من قبلُ قطُّ، وما أخلاك مِن رحمته ورعايته وإيوائه.. ما انقطع عنك بِرُّه وما ينقطع أبدًا.. ألَا تجدُ

---

(١) في الأصل: مَليكٌ.

مِصداقَ هذا في حياتك؟ ألا تُحِسُّ مسَّ هذا في قلبك؟ ألا ترى أثَرَ هذا في قلبك؟.

رحمته عليك سابغة، ورضاه يغمُرك.. هو رَاعيكَ وكافلُك، ما غاضَ مَعينُ فضلهِ وفيضُ برِّه.

* ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤)﴾:

إن لك عنده في الآخرة من الحُسْنى خيرًا مما يُعطيك منها في الدنيا.

* ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥)﴾:

□ قال بعض العلماء: «يعطيه في الدنيا مِن إتمام الدين وإعلاء كلمةِ الله، والنصر على الأعداء»[١].

□ «إنه ليدَّخرُ لك ما يُرضيك من التوفيق في دعوتك، وإزاحةِ العقبات من طريقك، وغلبةِ منهجك، وظهور حقك»[٢].

وليس بعد الرِّضى مطلب.. لما بيَّن أن الآخرةَ خير له ﷺ من الأُولى، ولكنه لم يُبيِّن أن ذلك التفاوتَ إلى أيِّ حدٍّ يكون، فبيَّن بهذه الآية مقدارَ ذلك التفاوت، وهو أن ينتهي إلى غايةِ ما يتمناه الرسولُ ويرتضيه ﷺ.

والجمهورُ أنه في الآخرة، وقد فَصَّله في بعض المواضع، وأعظمها ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩)﴾ [الإسراء]، وهو المقامُ الذي يَغبطُه عليه الأوَّلون والآخِرون كما في حديث الشفاعة العظمى، حين يتخلَّى كلُّ نبيٍّ ويقول: «**نفسي نفسي**»، حتى يَصِلوا إلى

(١) «تتمة أضواء البيان» للشيخ عطية محمد سالم (ص٢٨٠)- مكتبة ابن تيمية.
(٢) «الظلال» (٦/ ٣٩٢٧).

النبي ﷺ فيقول: «**أنا لها أنا لها**»، ومنها الحوضُ المورود، والكوثر، ومنها الوسيلة، وهي منزلةٌ رفيعةٌ عاليةٌ لا تنبغي إلَّا لعبدٍ واحد، وإذا كانت لعبدٍ واحدٍ فمن يستقدمُ عليها، وإذا رجا ربَّه أن تكون له، طَلَب من الأمة طَلَبَها له، فهو مما يؤكِّدُ أنها له، وإلَّا لما طَلَبها ولا ترجَّاها، ولا أمر بطلبها له، وهو بلا شك أحقُّ بها من جميع الخلق، إذ الخلقُ أفضلُهم الرسل، وهو ﷺ مقدَّمٌ عليهم في الدنيا [(١)].

□ عن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه رضي الله عنهما قال: «عُرِض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوحٌ على أمته كَنزًا كَنزًا، فسُرَّ بذلك، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾، فأعطاه في الجنة ألفَ ألفِ قصرٍ، في كلِّ قصرٍ ما ينبغي له من الأزواج والخدم».

□ قال الحافظُ ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٢٢): «رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من طريقه، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا لا يُقال إلَّا عن توقيف» [(٢)].

---

(١) انظر «تتمة أضواء البيان» (ص٢٨٠- ٢٨١).

(٢) قال الشيخ مقبل الوادعي في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص١٧٤): «الحديث رواه ابن جرير -كما قال الحافظ ابن كثير- (٣٠/ ٢٣٢) من طريقين عن الأوزاعي في أحدهما: «عمرو بن هاشم البيروتي» الراوي عن الأوزاعي، وهو ضعيف، وفي الأخرىٰ «روّاد بن الجراح» مختلف فيه، وهو مختلط، فأظن من وثّقه لصدقه وديانته، ومن جرحه فلأنه اختلط.
وأخرجه الحاكم وصححه (٢/ ٥٢٦) وتعقّبه الذهبي قائلاً: «تفرّد به عصام بن روّاد عن أبيه وقد ضُعِّف»، وأخرجه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، قال الهيثمي: «ورواية «الأوسط» قال سول الله ﷺ: «عُرِض عليَّ ما هو مفتوح لأمتي من بعدي، فسرَّني، فأنزل الله ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤﴾»، فذكر نحوه، =

□ قال الفخر الرازي: «أمَّا لو حَمَلنا هذا الوعدَ على أحوالِ الدنيا، فهو إشارةٌ إلى ما أعطاه الله تعالى من الظفر بأعدائه يوم بدر، ويومَ فتح مكة، ودخولِ الناس في الدين أفواجًا، والغَلَبَةِ على قُريظة والنضير وإجلائهم، وبَثِّ عساكرِه وسراياه في بلاد العرب، وما فُتح على خلفائه الراشدين في أقطار الأرض من المدائن، وهَدَم بأيديهم من ممالكِ الجبابرة، وأنهبهم مِن كنوزِ الأكاسرة، وما قذف في أهل الشرق والغرب من الرعب وتهيُّبِ الإسلام وفشوِّ الدعوة.

واعلم أن الأوْلى حمل الآية على خيرات الدنيا والآخرة»[1] اهـ.

□ «فهذه آية جامعة لوجود الكرامة، وأنواع السعادة وشتات الإنعام في الدارين والزيادة»[2] .

* ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾:

مناجاةٌ حُلوة، وحديثٌ وَدود.

□ ألم نشرحْ صَدْرَك لهذه الدعوة؟ ونيسِّر لك أمرها؟ ونجعلْها حَبيبةً لقلبك، ونَشْرَعْ لك طريقَها؟ ونُنِرْ لك الطريق حتى ترى نهايته السعيدة؟!.

وفيه «معاوية بن أبي العباس» ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات وإسناد «الكبير» حسن»، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/٢١٢) عن الطبراني، وفيه عمرو بن هاشم البيروتي، ثم قال: هذا حديث غريب من حديث علي بن عبد الله بن العباس لم يروه عنه إلَّا إسماعيل، ورواه سفيان الثوري عن الأوزاعي، عن إسماعيل مثله.

(١) «التفسير الكبير «مفاتيح الغيب» للفخر الرازي.

(٢) «الشفا في التعريف بحقوق المصطفى» للقاضي عياض.

فَتِّش في صدرك، ألا تجدُ فيه الرَّوْحَ والانشراح والإشراقَ والنور؟ واسْتَعِدْ في حَسِّك مَذاقَ هذا العطاء، ألَا تجدُ معه المتاعَ مع كلِّ مشقةٍ، والراحةَ مع كلِّ تعب، واليُسْرَ مع كلِّ عسر، والرضى مع كلِّ حرمان؟.

أَمَا شرحنا لك صدرَك فصار وسيعًا فسيحًا لا ضِيقَ فيه، ولا حَرَجَ، ولا هَمَّ، ولا غمَّ، ولا حَزَن، بل ملأناه لك نورًا وسرورًا وحبورًا؟!.

أما شرحنا لك صَدْرَك وملأناه حِكمةً ورحمةً وإيمانًا وبِرًّا وإحسانًا؟.

□ شرحنا لك صدرك، فوَسِعْتَ أخلاقَ الناس، وعَفْوتَ عن تقصيرهم، وصَفَحْتَ عن أخطائهم، وسترَتَ عيوبَهم، وحَلُمْتَ على سَفيههم، وأعرضتَ عن جاهلهم، ورَحِمْتَ ضعيفَهم.

□ شرحنا لك صدرك، فكنُتَ كالغيث جُودًا، وكالبحر كَرَمًا، وكالنسيم لُطفًا، تُعطي السائل، وتَمنحُ الراغب، وتُكْرِمُ القاصد، وتجودُ على المؤمِّل.

□ شرحنا لك صدرك، فصار بردًا وسلامًا يُطفئُ الكلمةَ الجافية، ويُبَرِّدُ العبارةَ الجارحة، فإذا العفوُ والحلمُ والصَّفحُ والغفران.

□ شَرَحْنا لك صَدْرَك، فصبرتَ على جفاء الأعراب، ونَيْلِ السفهاء، وعَجْرفةِ الجبابرة، وتطاوُلِ التافهين، وإعراضِ المتكبِّرين، ومَقْتِ الحَسَدةِ، وسِهامِ الشامتين، وتجهُّم القرابة.

□ شرحنا لك صدرك، فكنتَ بسَّامًا في الأزمات، صحَّاكًا في المُلِمَّات، مسرورًا وأنت في عَين العاصفة، مطمئنًّا وأنت في جَفنِ الرَّدَى، تُداهمُك المصَائبُ وأنت ساكن، وتلتفُّ بك الحوادثُ وأنت ثابت؛ لأنك مشروحُ الصدر، عامرُ الفؤاد، حيُّ النفس.

□ شرحنا لك صدرَك، فلم تكن فظًّا قاسيًا غليظًا جافيًا، بل كنتَ رحمةً وسلامًا وبرًّا وحنانًا ولُطْفًا، فالحِلمُ يُطلبُ منك، والجُود يُتعلَّمُ من سيرتك، والعفو يُؤخذ من ديوانك.

* ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١﴾:

□ في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: «شرح الله صدرَه للإسلام».

□ وعن ابن كثير: «نوَّرْناه وجَعلناه فسيحًا رحيبًا واسعًا، كقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ [الأنعام: ١٢٥]».

والذي يشهدُ له القرآن أنَّ الشَّرْح هو الانشراحُ والارتياحُ، وهذه حالةُ نتيجةِ استقرارِ الإيمان والمعرفةِ والنورِ والحكمة، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر: ٢٢]، بيان لشرح الصدر للإسلام.

كما أنَّ ضِيقَ الصدر دليلٌ على الضلال، ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

□ وفي حاشية الشيخ «زادة» على «البيضاوي» قال: «لم يُشرحْ صَدْرُ أحدٍ من العالمين، كما شُرِح صدره عليه السلام، حتى وَسع علومَ الأوَّلين والآخرين، فقال: «**أوتيتُ جوامعَ الكَلِم**»..»اهـ.

ومرادُه بعلوم الأوَّلين والآخرين، ما جاء في القرآن من أخبارِ الأمم الماضية مع رُسلهم وأخبارِ المعاد، وما بينه وبين ذلك مما علَّمه الله تعالى.

□ «والذي يظهرُ —والله تعالى أعلم-: أن شرح الصدر المُمتَنَّ به عليه ﷺ، أوسعُ وأعمُّ من ذلك، حتى إنه لَيشملُ صَبْرَه وصَفْحَه وعَفْوَه عن

أعدائه، ومقابلتَه الإساءةَ بالإحسان، حتى إنه ليَسَعُ العدوَّ، كما يسعُ الصديق، كقصه عودته من «ثقيف»: إذْ آذوه سفهاؤهم، حتى ضاق مَلَكُ الجبال بفِعلهم، وقال له جبريل عليه السلام: «**إن مَلَكَ الجبال معي، إن أردت أن يطبِقَ عليهم الأَخْشَبَينِ فَعَل**»، فينشرحُ صدره إلى ما هو أبعد من ذلك، ولكأنهم لم يُسيؤوا إليه، فيقول ﷺ: «**اللَّهم اهْدِ قومي فإنهم لا يعلمون، إني لأرجو أن يُخرجَ الله من أصلابهم من يقول: لا إله إلَّا الله محمد رسول الله**» ﷺ»[1].

* ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾:

□ «نَمْلأْه إيمانًا وحِكمَةً ورأفةً وعِلمًا ورحمةً، فانفسح جدًّا حتى وَسعَ مناجاةَ الحقِّ ودعوةَ الخلق، فكان مع الحق بعظمته وارتفاعه، ومع الخلق بفيضِ أنوارِه وشعاعِه»[2].

□ قال ابن القيم: «شَرَح الله صَدْرَ رسولِه أتمَّ الشرح، ووضع عنه وزِرَه كلَّ الوضع، ورَفَع ذِكرَه كلَّ الرفع».

* ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾:

□ قال أبو حيان: «هو كنايةٌ عن عِصمته ﷺ من الذنوب وتطهيرِه من الأرجاس».

□ وقال ابن جرير: «وغَفَرْنا لك ما سَلَفَ من ذنوبك، وحَطَطْنا عنك

---

(١) «تتمة أضواء البيان» (٩/ ٣٠٨- ٣١٠).

(٢) «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للبقاعي (٢/ ١١٦)- دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.

ثُقْل أيامِ الجاهلية التي كنتَ فيها».

□ وقال ابن كثير: «هو بمعنى: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢]».

□ قال ابن القيم: «وأمَّا وَضعُ وزِرِه: «فكيف لا يُوضَع عنه ومَن في السماوات والأرض ودوابُّ البرِّ والبحرِ يستغفرون له؟!!»».

* ﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤ ﴾:

□ لله درُّ حسانِ بنِ ثابت وهو يقول:

أَغَـرُّ عَلَيْـه للنُّبُـوَّةِ خـاتَمٌ ... مِـنَ الله مَـشْهودٌ يَلـوحُ ويُـشْهَدُ

وضَمَّ الإلهُ اسْمَ النبيِّ إلـى اسـمِه ... إذا قـالَ في الخَمْـسِ المُـؤَذِّنُ

وَشَـقَّ لـهُ مـن اسـمه لِيُجِلَّـهُ ... فَذُوا العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ [(١)]

رفعناه في الملأ الأعلى، ورفعناه في الأرض، ورفعناه في هذا الوجود جميعًا.. رفعناه فجعلنا اسمَه مقرونًا باسم الله كلما تحرَّكَتْ به الشِّفاه: «لا إله إلَّا الله محمد رسول الله ﷺ»، وليس بعد هذا رفع، وليس وراءَ هذا منزلة، وهو المَقامُ الذي تفرَّد به ﷺ دون سائر العالمين.

□ ورفعنا لك ذكرك في اللوح المحفوظ، حين قَدَّر الله أن تمرَّ القرون، وتكِرَّ الأجيال، وملايينُ الشِّفاهِ في كلِّ مكانٍ تهتفُ بهذا الاسمِ الكريم مع الله والتسليم، والحبِّ العميق العظيم.

□ ورفعنا لك ذكرك، وقد ارتبط بهذا المنهج الإلهيِّ الرفيع، وكان مُجردُ الاختيارِ لهذا الأمر رفعةَ ذكرٍ لم يَنَلْها أحدٌ من قبلُ ولا من بعدُ في

---

(١) «ديوان حسان بن ثابت» (ص١٣٤).

هذا الوجود.

□ ورفعنا لك ذِكرَك: هو حِسِّي في الأذان والإقامة، وفي الخُطب على المنابر، وافتتاحياتِ الكلام في الأمور الهامة.

□ ومِن رَفْع الذكرِ معنًى - أَيْ من الرفعة-: ذِكرُه ﷺ في كتب الأنبياء قبله، حتى عُرِف للأمم الماضية قبل مجيئه.

□ وجعل الله الوحيَ ذِكرًا له ولقومه، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ ﴾ [الزخرف]، ومعلومٌ أن ذِكرَ قومه ذِكرٌ له.

□ ومِن رفع ذِكرِه توجيهُ الخطاب إليه بالنبوة والرسالة: «يا أيها الرسول»، «يا أيها النبي» والتصريح به في مقام الرسالة «محمد رسول الله».

□ قال الشافعي عن مجاهد في تفسير: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾: «لا أُذْكَر إلَّا ذُكِرْتَ معي: أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله».

□ قال الشافعي: «يعني ذِكرَه ﷺ عند الإيمان بالله تعالى والأذان، ويُحتمل ذِكرُه عند تلاوة القرآن، وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية».

فالفاعلُ للطاعة أو الكافُّ عن المعصية امتثالًا لأمر الله تعالى به ذاكِرٌ للنبي ﷺ بقلبه؛ لأنه المُبلِّغُ لنا عن الله تعالى، وهذا أعمُّ من الذِّكر باللسان، فإنه قاصرٌ على الإسلام والأذان والتشهُّد والخطبة ونحوها.

قال الشافعي: «فلم تُمسِ بنا نعمةٌ ظَهرت ولا بَطَنَتْ نِلْنا بها حظًّا في

دينٍ أو دُنيا، أو دُفع عنا بها مكروهٌ فيهما، أو في واحدٍ منهما، إلَّا ومحمدٌ ﷺ سببُها».

* ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾:

* ذُكِرْتَ في الكتب المُتقدِّمة، وجُعِل ذِكرُك في القرآن مقرونًا بذكره وهذا منتهى قمة الثناء.. قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [التوبة: ٦٢]، ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [النساء: ١٣]، ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء: ٥٩]، وقُرِن ذكرُك بذِكرِ ربِّك في الأذان والصلاةِ والخطب، فهل تريد شرفًا فوق هذا؟!.

* جَعَل الله طاعتك طاعته، وبيعتك بيعته ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]، وقُرِن ذكرُك بذِكرِ ربِّك في الأذان والصلاةِ والخطب، فهل تريد شرفًا فوق هذا؟!.

* جَعَل الله طاعتك طاعته، وبيعتك بيعته ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الفتح: ١٠].

□ مُلِئ العالَمُ من أتباعك، كلُّهم يُثنون عليك، ويُصلُّون عليك، ويَحفظون سُنَّتك، بل ما من فريضةٍ من فرائضِ الصلاة إلَّا ومعها سُنَّة، فهم يَمتثِلون في الفريضة أمرَ الله، وفي السُّنَّة أمرَك.

لا تأنفِ السلاطينُ من اتِّباعك، والقُرَّاءُ يَحفَظون ألفاظَ منشورك، والمُفسِّرون يُفسِّرون معاني فُرقانِك، والوُعَّاظُ يُبلِّغون وَعْظَك، بل العلماءُ والسلاطين يَشْرُفون بخدمتك.

يَذكُرُك كلُّ مُصَلٍّ وكُلُّ مُسَبِّح وكلُّ حاجٍّ وكلُّ خطيب، فهل تطلبُ مجدًا أعلَى مِن هذا؟ أنت مذكورٌ في التوراة والإنجيل، ومُنَوَّةٌ باسمك في

الصُّحُف الأُولى، والدواوينِ السابقة، اسمُك يُشادُ به في النوادي، ويُذكَر في الحواضِرِ والبوادي، ويُمدَح في المحافِل، ويُكرَّرُ في المجامع.

□ رفعنا لك ذكرك، فسار في الأرض مَسِيرَ الشمس، وعَبَر القَّارات عُبور الريح، وسافر في الدنيا سَفَر الضوء، فكلُّ مدينةٍ تَدرِي بك، وكلُّ بلدٍ يَسمعُ بك، وكلُّ قرية تَسألُ عنك.

□ رفعنا لك ذِكرَك، فصِرْت حديثَ الرَّكْب، وقِصَّةَ السَّمَر، وخَبَرَ المجالس، وقضيةَ القضايا، والنبأَ العظيمَ في الحياة.

□ رفعنا لك ذكرَك، فما نُسي مع الأيام، ومَا مُحِيَ مع الأعوام، وما شُطب من قائمةِ الخُلود، وما نُسِخ من ديوانِ التاريخ، وما أُغفِل من دفتر الوجود، نُسِي الناسُ إلَّا أنت، وسَقَطت الأسماءُ إلَّا اسمَك، وأُغفِل العظماءُ إلَّا ذاتَك، فمَن ارتَفَع ذِكرُه من العُبَّاد عندنا، فبسبب اتِّباعك، ومَن حُفِظ اسمُه فبسبب الاقتداءِ بك.. ذهبت آثارُ الدول وبَقِيَتْ آثارُك، ومُحِيت مآثرُ السلاطين وبَقِيَتْ مآثرُك، وزالتْ أمجادُ الملوك وخُلِّد مجدُك، فليس في البشر أشرحُ منك صَدْرًا، ولا أرفعُ منك ذِكرًا، ولا أعظمُ مِنك قَدْرًا، ولا أحسنُ منك أَثَرًا، ولا أجملُ منك سَيْرًا.

إذا تشهَّد مُتشهِّدٌ ذَكَرك مع الله، وإذا تهجَّد متهجِّدٌ سمَّاك مع الله، وإذا خَطب خطيبٌ نوَّه بك مع الله.

* ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾: رِفعةٌ تتلاشى عندها رفعةُ غيرك من الخَلْق كلِّهم.

رفعنا لك ذِكرَك عند جميع العالَمين العقلاء بالصِّدق والأمانة والحِلم والرَّزانة ومكارمِ الأخلاق وطهارةِ الشِّيَم وانتفاءِ شوائبِ النقصِ، حتى

ما كانت شُهرتُك عند قومك قبلَ النبوَّة إلَّا «الأمين»، وكانوا يضربون المَثَلَ بشمائِلك الطاهرة، وأوصافِك الزاهرة الباهرة.

ولك الفضائلُ والمناقبُ والشمائلُ التي لا تُضبَطُ بالوصف، ولا يُحصيها وَصفٌ أو حَصر.

بأبي أنت وأمي يا رسول الله:

* زكَّى الله عقلك فقال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم].

* وزكَّى كلامك فقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾ [النجم].

* وزكَّى فؤادك فقال سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١﴾ [النجم].

* وزكَّى بصرَك فقال سبحانه: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم].

* وزكَّى صدرك فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح].

* وزكَّى ذكرك فقال سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح].

* وزكى طهرك فقال تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ [الشرح].

* وزكى رأفتك ورحمتك فقال تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة].

* وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء].

* وزكَّى جليسك فقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم].

* وزكَّاك كلك فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم].

* وأقسم بحياتك وما أقسم بحياةِ أحدٍ غيرك فقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢﴾ [الحجر].

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما خلق الله وما ذرأ وما بَرَأَ نفسًا أكرم عليه

من محمد ﷺ، وما سَمِعتُ الله أقسم بحياة غيره قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ يقول: وحَيَاتِك وعُمُرِك وبقائك في الدنيا»[١].

* وأخذ الله العهد على جميع الأنبياء والمرسلين بنصرته قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران].

الخصائص والكمالات لسيد السادات ﷺ:

وما أعطى الله ﷻ نبيه من الخصائص في الدارين مما لم يشاركه فيها أحدٌ من العالمين، وما خصَّه الله من الكمالات الخَلْقِيّة والخُلُقية أُفردت لها المجلَّدات الضخام.

وجوب طاعته ومحبته ووجوب تعزيره وتوقيره وتعظيمه والصلاة عليه ﷺ ورعاية حقوقه:

فرض الله على جميع الخلائق الإيمان بنبيه ﷺ وطاعته واتباعه وإيجاب ما أوجبه وتحريم ما حرَّمه وشرع ما شرعه. وشهد الله له بأنه يدعو إليه بإذنه، ويهدي إلى صراط مستقيم.

* قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب].

* وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى].

* وجعل طاعته طاعة لله فقد قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ

---

(١) «تفسير الطبري» (١٤/ ٣٠)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٧٥).

أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

* وجعل الله طاعته فرق ما بين أهل الجنة والنار، فقال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النور].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء].

وجعل الله المخالفين له هم أعداء الله حزب إبليس اللعين.

* قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان].

□ قال الإمام أحمد بن حنبل: «نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعًا»[1].

□ وقال الآجري: «فُرِض على الخلق طاعته ﷺ في نيِّفٍ وثلاثين موضعًا من كتابه عز وجل»[2].

---

(١) «الصارم المسلول» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٥٦).

(٢) «الشريعة» للآجرِّي (ص٤٩).

□ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعًا من القرآن، وقرن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته، كما قرن بين اسمه واسمه، فلا يُذكر الله إِلَّا ذُكِر معه»[1].

✍ وهناك آيات كثيرة جاء فيها الأمر بطاعته ﷺ، وجعل طاعته وطاعة رسوله ﷺ شيئًا واحدًا، وأن طاعته عَزَّ وَجَلَّ لا تتحقَّق إِلَّا بطاعة الرسول ﷺ، ومن تلك الآيات الواردة بهذه الصيغة:

١- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢)﴾ [آل عمران].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)﴾ [آل عمران].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣)﴾ [النساء].

٤- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠)﴾ [الأنفال].

٥- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)﴾ [النور].

٦- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب].

---

(١) «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (١٩/ ١٠٣).

٧- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٧﴾ [الفتح].

✍ وفي آيات أخر يأمر الله بطاعته سبحانه وطاعة رسول الله ﷺ مع إعادة الفعل، وفي ذلك إشارة إلى أن ما أمر به رسول الله ﷺ تجب طاعته فيه وإن لم يكن مأمورًا به بعينه في كلام الله الذي هو القرآن، فتجب طاعة الرسول مفردة كما تجب مقرونة بأمره سبحانه، ومن هذه الآيات:

١- قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٩٢﴾ [المائدة].

٢- وقوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾ [محمد].

٣- وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤﴾ [النور].

٤- وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٢﴾ [التغابن].

٥- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ الآية [النساء: ٥٩].

□ ويقول ابن القيم عند هذه الآية: «أمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلامًا بأن طاعة الرسول تجب استقلالًا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقًا سواء كان ما أمر به في

الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه»[(١)].

ب- الآيات التي جاء فيها الأمر باتباعه والتأسي به والأخذ بما شرعه. جاء الأمر من الله تبارك وتعالى باتباع رسول ﷺ والتأسي به في مواطن متعددة من كتابه العزيز:

١- قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ الآية [آل عمران: ٣١].

٢- وقال تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾ [الأعراف].

٣- وقال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ الآية [الحشر: ٧].

٤- وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) ﴾ [الأحزاب].

□ قال ابن كثير: «هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله..»[(٢)].

ج- الآيات التي جاء فيها وجوب التسليم لحكمه والانقياد له:

* قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾ [النساء].

---

(١) كما جاء في قوله ﷺ: «ألاَ إني أُوتيتُ الكتاب ومثله معه..» الحديث رواه أبو داود في «سننه» كتاب السُّنَّة باب في لزوم السُّنَّة (٥/ ١٠/ح ٤٦٠٤).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٧٤).

وفي هذه الآية أقسم سبحانه بأجل مقسم به -وهو نفسه عَزَّ وَجَلَّ- على أنه لا يثبت لهم إيمان ولا يكونون من أهله، حتى يحكموا رسول الله ﷺ في جميع موارد النزاع في جميع أبواب الدين؛ فإنه لفظة «ما» من صيغ العموم.

ولم يقتصر الأمر على مجرد التحاكم بل ضم إليه انشراح صدورهم بحكمه، بحيث لا يجدون في أنفسهم حرجًا -وهو الضيق والحصر- من حكمه، بل يقبلوا حكمه بالانشراح، ويقابلوه بالتسليم لا أنهم يأخذونه على إغماض، ويشربونه على قذى، فإن هذا مناف للإيمان، بل لا بد أن يكون أخذه بقبول ورضا وانشراح صدر.

ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم إليه قوله تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فذكر الفعل مؤكدًا بمصدره القائم مقام ذكره مرتين، وهو التسليم والخضوع له والانقياد لما حكم به طوعًا ورضا، وتسليمًا لا قهرًا ومصابرة كما يسلم المقهور لمن قهره كرهًا، بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيءٍ إليه، يعلم أن سعادته وفلاحه في تسليمه إليه ويعلم أنه أولى به من نفسه، وأبر به منها وأقدر على تخليصها، كما قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. فمتى علم العبد هذا من الرسول ﷺ واستسلم له، وسلم إليه انقادت كل علة في قلبه ورأى أن لا سعادة له إلَّا بهذا التسليم والانقياد.

وتأمل تأكيده سبحانه لهذا المعنى المذكور في الآية بوجوه عديدة من التأكيد:

أولها: تصديرها بتضمن المقسم عليه للنفي وهو قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وهذا منهج معروف في كلام العرب، إذا أقسموا على شيءٍ

منفي صدروا جملة القسم بأداة نفي مثل هذه الآية.

وثانيها: تأكيده بنفس المقسم.

وثالثها: تأكيده بالمقسم به وهو إقسامه بنفسه لا بشيءٍ من مخلوقاته، وهو سبحانه يقسم بنفسه تارة وبمخلوقاته تارة.

ورابعها: تأكيده بانتفاء الحرج وهو وجود التسليم.

وخامسها: تأكيد الفعل بالمصدر، وما هذا التأكيد إِلَّا لشدة الحاجة إلى هذا الأمر العظيم، وإنه مما يعتني به ويقرر في نفوس العباد بما هو من أبلغ أنواع التقرير[(١)].

□ وقال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: «يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء] أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لك تسليمًا كليًّا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة..»[(٢)].

□ وهذه الآية ينبغي لكل مسلم أن يعرض نفسه عليها، وفي هذا يقول ابن القيم: «ومتى أراد العبد أن يعلم هذا[(٣)] فلينظر في حاله ويطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه، أو على خلاف ما قلد فيه

(١) «الرسالة التبوكية» لابن القيم (ص٢٥، ٢٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٢٠).

(٣) أي قبوله لحكم الرسول، والتسليم له.

أسلافه من المسائل الكبار وما دونها ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ [القيامة].

فسبحان الله كم من حزازة في نفوس كثير من الناس من كثير من النصوص بودهم أن لو لم ترد؟ وكم من حرارة في أكبادهم منها؟ وكم من شجى في حلوقهم منها ومن موردها؟ ستبدو لهم تلك السرائر بالذي يسوء ويخزي يوم تبلى السرائر»[1].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النور].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

وكلا الآيتين توجبان التسليم الكامل والانقياد التام من أهل الإيمان لما حكم به الله تعالى وحكم به رسوله ﷺ، فليس في ذلك اختيار، بل السمع والطاعة والقبول والتسليم بما جاء عن الله ورسوله.

ومن الملاحظ في كلا الآيتين أن الخطاب فيهما لأهل الإيمان ففي الآية الأولى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ .. ﴾ وفي الثانية: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾ وهذا التخصيص للمؤمنين فيه من الدلالة ما فيه فاسم الإيمان يشعر بأن هذا المطلوب منهم من موجبات الاسم الذي نسبوا إليه ولذلك فإنه يجب على كل من يؤمن بالله ورسوله ﷺ أن يضع هاتين الآيتين وأمثالهما من الآيات الموجبة للإمتثال لأمر الله ورسوله ﷺ نصب عينيه فيسمع ويطيع، ويؤمن بأنه لا اختيار له في ذلك ولك رأي،

---

(١) «الرسالة التبوكية» (ص٢٥).

بل التسليم المطلق الذي لا يصاحبه شك ولا ارتياب، فهذه حقيقة الإيمان ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله التي تعني طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إِلَّا بما شرع.

ومثل هذه الآيات هي الفاصل بين دعوى الإيمان الحقيقية التي هي للمؤمنين الصادقين، وبين دعوى الإيمان الزائفة الباطلة التي هي سمة المنافقين الكاذبين المظهرين خلاف ما يبطون»[(١)].

✍ ولأهمية الاتباع والطاعة المطلقة لرسول الله ﷺ فقد أفردنا فصلًا خاصًا به.

ثانيًا: وجوب محبته فوق النفس والأهل والولد والناس أجمعين:

◘ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «حب النبي ﷺ من أعظم واجبات الدين»[(٢)].

وهذه المحبة الواجبة له ﷺ هي من محبة الله فهي حُبٌّ لله وفي الله.

(١) وجوب محبته ﷺ أكثر من حب النفس:

• روى الإمام البخاري عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كنّا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر رضي الله عنه: « يا رسول الله! لأنت أحب إليَّ من كل شيءٍ إلَّا من نفسي». فقال النبي ﷺ: «**لا، والذي**

---

(١) انظر: «حقوق النبي ﷺ على أمته» (ص١٦٩- ١٧٩) للدكتور محمد خليفة التميمي- باختصار طبع –دار الفتح الشارقة.

(٢) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية.

نفسي بيده! حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك».

فقال له عمر: «فإنَّه الآن والله! لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي».

فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**»[١].

□ يقول العلامة العيني في شرح قوله، ﷺ: «**لا، والذي نفسي بيده! حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك**»: لا يكمل إيمانك..»[٢].

□ كما يقول في شرح قوله ﷺ: «**الآن يا عمر**»: «يعني كمل إيمانك»[٣].

ومما يلاحظ في قوله ﷺ: «**لا، والذي نفسي بيده..**» أنَّه ﷺ أقسم، وهو صادق في كل ما يقوله حتى ولو لم يقسم، فما باله ﷺ إذا حلف، والحلف يُفيد تأكيد الكلام»[٤].

(ب) وجوب محبته ﷺ أكثر من حب الوالد والولد:

• روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**»[٥].

ومما نجد في هذا الحديث الشريف أيضًا أن الصادق المصدوق

---

(١) «صحيح البخاري»، كتاب الأيمان والنذور»، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ؟ حديث رقم (٦٦٣٢)، (١١/ ٥٢٣).

(٢) «عمدة القاري» (٢٣/ ١٦٩).

(٣) المرجع السابق (٢٣/ ١٦٩).

(٤) انظر: المرجع السابق (١/ ١٤٣).

(٥) «صحيح البخاري» كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، حديث رقم (١٤) (١/ ٥٨)

الناطق بالوحي ﷺ أقسم على ما جاء في الحديث.

وهل تدخل الأم في لفظ «الوالد»؟ يُجيب عن هذا الحافظ ابن حجر بقوله: «إن أُريد به «الوالد» من له الولد فيعم، أو يُقال اكتفى بذكر أحدهما كما يُكتَفى عن أحد الضّدين بالآخر، ويكون ما ذكر على سبيل التمثيل والمراد الأعزة، كأنَّه قال: «أحبَّ إليه من أعزته»[1].

(جـ) وجوب محبته ﷺ أكثر من الأهل والمال والناس أجمعين:

• روى الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين**»[2].

(د) التهديد لمن كان شيء من الخلق أحب إليه منه ﷺ:

هدّد الله تعالى بالعقاب من كان أحد من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة، أو شيءٍ من الأموال والتجارة والمساكن أحبَّ إليه من الله تعالى، ورسوله ﷺ، وجهاد في سبيله عز وجل. يقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة].

□ يقول الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: «أي إن كانت هذه الأشياء

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٥٩).

(٢) «صحيح مسلم» كتاب الإيمان، باب وجوب محبة النبي ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبّه هذه المحبّة، حديث رقم (٦٩)، (١/ ٦٧). ورواه أيضًا الحافظ أبو يعلى في «مسنده»، انظر: حديث رقم (٣٨٩٥) (٧/ ٨).

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾. أي: فانتظروا ماذا يحلّ بكم من عقابه ونكاله بكم»[١].

□ وقال مجاهد والحسن – رحمهما الله تعالى – في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾: «بعقوبة آجلة أو عاجلة»[٢].

□ ويقول العلامة الزمخشري في تفسير الآية: «وهذه آية شديدة لا ترى أشدّ منها»[٣].

□ ويقول الإمام القرطبي: «وفي الآية دليل على وجوب حبّ الله ورسوله ﷺ ولا خلاف في ذلك، وأنَّ ذلك مقدَّم على كل محبوب»[٤].

* وقال الله عز وجل: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب]. فالآية دليل على أن من لم يكن الرسول ﷺ أولى به من نفسه فليس من المؤمنين. وهذه الأولويّة تتضمّن أمورًا منها: أن يكون النبي أحب إلى العبد من نفسه؛ لأن الأولوية أصلها الحب.

ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه وإيثاره على من سواه.

* ومما يُستدلَ به على وجوب محبة رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة]. فمما يدخل في محبة الله محبة ما يحبه الله، والله يحب نبيه ﷺ واتخذه خليلًا كما اتخذ إبراهيم عليه السلام

(١) «مختصر تفسير ابن كثير» للرفاعي (٢/ ٣٢٤).
(٢) نقلاً عن «تفسير القرطبي» (٨/ ٩٥- ٩٦).
(٣) «تفسير الكشاف» (٢/ ١٨١).
(٤) «تفسير القرطبي» (٨/ ٩٥)، وانظر أيضًا: «أيسر التفاسير» للشيخ الجزائري (٢/ ١٧٧).

خليلًا، فمن أجل ذلك وجبت علينا محبته.

حب النبي ﷺ يورث العبد حلاوة الإيمان:

وهذه أعظم ثمار المحبة، ويا لها من ثمار!!!

• عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سِواهما، وأن يُحبَّ المرء لا يُحبّه إِلَّا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقْذَفَ في النار**»[1].

ومعنى حلاوة الإيمان -كما ذكر العلماء رحمهم الله تعالى- استلذاذ الطاعات، وتحمّل المشاق في الدين، وإيثار ذلك على أعراض الدنيا[2].

حُبُّ النبي ﷺ يورث العبد رفقته للنبي ﷺ وأن يكون معه في الآخرة، وما أشرفها وأحلاها وأعظمها:

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! متى الساعة؟. قال: «**وما أعددت للساعة؟**». قال: حبَّ الله ورسولِه. قال: «**فإنَّك مع من أحببت**». قال أنس فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبي ﷺ: «**فإنك مع من أحببت**».

قال أنس رضي الله عنه: «فأنا أحبّ الله ورسولَه وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما فأرجو أن أكون معهم، وإنْ لم أعمل بأعمالهم»[3].

---

(١) متفق عليه: «صحيح البخاري» كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم (١٦) (١/ ٦٠)، و«صحيح مسلم» كتاب الإيمان، باب خصال من اتّصف بهنّ وجد حلاوة الإيمان، رقم الحدي ث(٤٣) (١/ ٦٦)، واللفظ للبخاري.

(٢) انظر: «شرح النووي» (٢/ ١٣)، و«فتح الباري» (١/ ٦١).

(٣) «صحيح مسلم» كتاب البر والصلة والآداب، حديث رقم (٢٦٣٩)، (٤/ ٢٠٣٢- ٢٠٣٣)، وروى نحوه الإمام البخاري. انظر: «صحيح البخاري» =

• وعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف تقول في رجل أحبّ قومًا ولم يلحق بهم؟. فقال رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحبّ**»[١].

والمراد بقوله ﷺ: «**المرء مع من أحب**». أي في الجنة [٢].

الله أكبر! ما أجل جزاء من أحبّ النبي الكريم ﷺ وأعظمه!

حب الصحابة ﵃ للنبي ﷺ:

□ سُئل علي بن أبي طالب ﵁: كيف كان حبكم رسول الله ﷺ؟ قال: كان -والله- أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ»[٣].

□ وعن عمرو بن العاص ﵁ قال: «.. وما كان أحد أحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ، ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالًا له، ولو سُئِلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عينيَّ منه»[٤].

كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل: «ويلك»، حديث رقم (٦١٦٧) (١٠/ ٥٥٣).

(١) متفق عليه: «صحيح البخاري» كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله تعالى، حديث رقم (٦١٦٩) (١٠/ ٥٥٧)، و«صحيح مسلم» كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحبّ، حديث رقم (٢٦٤٠)، (٤/ ٢٠٣٤) واللفظ للبخاري.

(٢) انظر: «عمدة القارئ» (٢٢/ ١٩٧).

(٣) «الشفا» للقاضي عياض (٢/ ٥٦٨).

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١/ ٧٨)- كتاب الإيمان- باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة.

□ وقد سأل أبو سفيان بن حرب - وهو على الشرك حينذاك- زيد ابن الدَّثِنة رضي الله عنه حينما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقتلوه -وكان قد أُسِر يوم الرجيع- أنشُدك الله يا زيد أتُحِبُّ أن محمدًا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أُحُبُّ أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكةٌ تُؤذيه وأني جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيتُ من الناس أحدٌ يحبُّ أحدًا كحُبِّ أصحاب محمد محمدًا»[١].

سعد بن معاذ صدِّيق الأنصار رضي الله عنه وحبه البالغ للنبي ﷺ:

□ قال سعد بن معاذ رضي الله عنه للنبي في يوم بدر: يا نبي الله ألا نبني لك عريشًا تكون فيه ونعدُّ عندك ركائبك، ثم نلقى عدوَّنا، فإنْ أعزَّنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأُخرى جلستَ على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلَّف عنك أقوامٌ ما نحن بأشد حبًّا لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلَّفوا عنك بمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك. فأثنى عليه ﷺ خيرًا ودعا له بخير»[٢].

• وعن الشعبي قال: «جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقال: لأنت أحبُّ إليّ من نفسي وولدي وأهلي ومالي، ولولا أني آتيك فأراك لظننت أني سأموت وبكى الأنصاري. فقال له رسول الله ﷺ: «ما

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٤/ ٦٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٣٢٦).
(٢) «السير» لابن هشام (٢/ ١٩٢) وعزاه لابن إسحاق، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ٢٦٨).

أبكاك؟». قال: ذكرت أنك ستموت ونموت فتُرفع مع النبيين، ونحن إذا دخلنا الجنة كنا دونك. فلم يُخبْره النبي ﷺ بشيءٍ، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء]. فقال له النبي ﷺ: «**أبشر**»[1].

□ وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحُد، فلما نُعُوا لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرًا يا أم فلان هو بحمد الله كما تُحبِّين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه. قال: فأُشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل[2]»[3].

□ ولقد حكَّم الصحابة رُضوان الله عليهم رسول الله ﷺ في أنفسهم وأموالهم فقالوا: «هذه أموالنا بين يديك فاحكم فيها بما شئت، وهذه نفوسنا بين يديك لو استعرضت بنا البحر لخضناه، نقاتل بين يديك ومن

---

(١) حسن لغيره: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (ص١٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٨٢)، وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر، وأخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٢٥)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٨٦) (ح١٢٥٥٩)، وابن جرير في «تفسيره» (٥/ ١٦٣) وقال الهيثمي: في «المجمع» (٧/ ٧): «رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابد، وهو ثقة. وطرق الحديث يقوي بعضها بعضًا. قال الضياء المقدسي في «صفة الجنة»: «لا أرىٰ بإسناده بأسًا».

(٢) جلل: أي هينة ويسيرة. والكلمة من الأضداد تكون للحقير والعظيم -انظر: «النهاية» (١/ ٢٨٩).

(٣) «السيرة» لابن هشام (٣/ ٤٣) وعنه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٧).

خلفك وعن يمينك وعن شمالك»[١].

□ قال قيس بن صِرْمة الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

بَذَلْنا لـه الأمـوال مـن حِـلِّ مالنـا ... وأنفـسَنا عنـد الـوغى والتَّأَسِّـيَا

نُعادي الذي عادَى من الناس كلهم ... جميعًا وإن كان الحبيب المصافيا

نعلـــم أن الله لا رب غيـــره ... وأن رسـول الله أصـبح هاديـا [٢]

علامات حب النبي ﷺ وعلو همّة الصحابة رضي الله عنهم في تحقيقها:

حتى لا يدَّعي الخَلِيُّ حُرْقة الشجي، لحُبِّ النبي ﷺ علامات.. حقّقها صحابة رسول الله رضي الله عنهم، وبلغوا منها المكانة السامية؟ والذروة السامقة لا يدانيهم أحدٌ في ذلك من الأمة.

فمن علامات محبته:

١ - اتباعه والأخذ بسُنَّته ﷺ..

* قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١)﴾ [آل عمران]. يورثك هذا الاتباع محبة الله لك.

✍ ليس الشأن أن تُحِبَّ إنما الشأنُ أن تُحبَّ.

٢- ومن علامات محبته الإكثار من ذكره ﷺ.

٣- ومن علامات محبته تمني رؤيته والشوق إلى لقائه.

٤- محبة من أحبهم النبي ﷺ.

٥- بغض من أبغضهم الله ورسوله.

---

(١) «روضة المحبين» (ص٢٧٧).

(٢) «روضة المحبين» لابن القيم (ص٢٧٧).

٦- تعلم القرآن الكريم، ودراسة سيرته للتأسي به، ومعرفة سُنَّته وإحياء المهجور منها، ونصر السُّنَّة والذبُّ عن الشريعة.

٧- ومن علامات محبته الزهد في الدنيا.

□ قال القاضي عياض: «ومن محبته نصرة سنته، والذَّبُّ عن شريعته، وتمني حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه»(١).

□ ويقول الحافظ ابن حجر: «ومن علامة الحبّ المذكور أن يُعرَض على المرء أنْ لو خُيِّر بين فَقْد غرض من أغراضه أو فقد رؤية النبي ﷺ أنْ لو كانت ممكنة، فإنْ كان فقدها أن لو كانت ممكنة -أشدّ عليه من فقد شيءٍ من أغراضه فقد اتصف بالأحبية المذكورة، ومن لا فلا. وليس ذلك محصورًا في الوجود والفقد، بل يأتي مثله في نصرة سنته والذب عن شريعته، وقمع مخالفيها. ويدخل فيه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»(٢).

العلامة الأولى: الحرص على رؤيته وصحبته ﷺ ويكون فقدهما أشدُّ من فقدِ أي شيءٍ آخر في الدنيا:

ونستعرض هنا بعض المواقف الرائعة لسادات المحبين الصادقين للحبيب الكريم ﷺ(٣):

١- بكاء الصديق رضي الله عنه فرحًا عند إدراك الصحبة في الهجرة:

• روى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت:

---

(١) «شرح النووي على مسلم» (٢/ ١٦).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٥٩).

(٣) معظمها من رسالة «حب النبي ﷺ وعلاماته».

فبينما نحن يومًا جلوس [١] - في بيت أبي بكر رضي الله عنه - في نحر الظهيرة[٢]، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنِّعًا [٣] -في ساعة لم يكن يأتينا فيها-.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلَّا أمر.

قالت رضي الله عنها: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل. فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «**أخرج من عندك**».

فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله!.

قال: «**فإنِّي قد أُذِن لي في الخروج**».

فقال أبو بكر: الصحابةَ [٤] بأبي أنت يا رسول الله!.

قال رسول الله ﷺ: «**نعم**»[٥].

لم يكن الصدِّيق رضي الله عنه بغافل عمّا حُفَّ به هذا السّفر من المخاوف والمخاطر، لكنها لم تؤثِّر أو تقلِّل من رغبته في صحبة الحبيب الكريم ﷺ فلما أخبره عليه الصلاة والسلام بالموافقة على طلبه بدأ يبكي فرحًا بنيل هذه السعادة.

---

(١) جلوس: أي: جالسون «عمدة القاري» (١٧/ ٤٥).

(٢) في نحر الظهيرة: أي في أول وقت الحرارة وهي المهاجرة. ويقال: أول الزوال، وهو أشد ما يكون من حرّ النهار. المرجع السابق (١٧/ ٤٥).

(٣) متقنِّعًا: أي: مغطِّيًا رأسه. المرجع السابق (١٧/ ٤٥).

(٤) الصحابة: بالنصب أي أريد المصاحبة. «فتح الباري» (٧/ ٢٣٥).

(٥) «صحيح البخاري» كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، جزء من حديث رقم (٣٩٠٥) (٧/ ٢٣١).

□ يقول الحافظ ابن حجر: «زاد ابن إسحاق في روايته: «قالت عائشة رضي الله عنها: «فرأيت أبا بكر يبكي، وما كنت أحسب أنّ أحدًا يبكي من الفرح»[(١)].

٢- فرح الأنصار بمقدمه ﷺ إليهم:

سمع الأنصار بهجرة الحبيب الكريم ﷺ إلى ديارهم فاشتاقوا إلى استقباله. وقد حفظت لنا كتب السنة والسيرة ما يصوّر لنا شوقهم إلى استقباله وسرورهم بوصوله إليهم. فعلى سبيل المثال يروي لنا الإمام البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله عنه عن كيفية انتظارهم الحبيب الكريم ﷺ بالحرّة حيث جاء في روايته: «وسمع المسلمون بالمدينة مَخْرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون[(٢)] كل غداة إلى الحرّة فينتظرونه حتى يردّهم حرّ الظهيرة. فانقلبوا يومًا بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أَوَوْا إلى بيوتهم أوفى[(٣)] رجل من يهود على أُطُم[(٤)] من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصُر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيَّضين[(٥)] يزول بهم السّراب[(٦)]. فلم

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٢٣٥)، وانظر: أيضًا «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٩٣).

(٢) يغدون: يخرجون غدوة. «فتح الباري» (٧/ ٢٤٣).

(٣) أوفى: طلع إلى مكان عال أشرف منه. المرجع السابق (٧/ ٢٤٣).

(٤) أُطُم: بضم أوله وثانيه وهو الحصن. المرجع السابق (٧/ ٢٤٣).

(٥) مبيَّضين: أي عليهم الثياب البيض. قال ابن التين: «يحتمل أن يكون معناه: مستعجلين». المرجع السابق (٧/ ٢٤٣).

(٦) يزول بهم السراب: أي يزول السراب عن النظر بسبب عروضهم له. وقيل معناه: ظهرت حركتهم للعين. المرجع السابق (٧/ ٢٤٣).

يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب! هذا جدّكم[١] الذي تنتظرون».

فثار المسلمون إلى السّلاح. فتلقّوا رسول الله ﷺ بظهر الحرّة فعدَل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف»[٢].

الله أكبر! كم كان شوقهم إلى استقبال الحبيب الكريم ﷺ. يخرجون في كل صباح إلى الحرّة منتظرين قدومه ﷺ ويجلسون هناك حتى تشتدّ حرارة الشمس فيعودون إلى بيوتهم.

وفي رواية ابن سعد: «فإذا أحرقتهم الشمس رجعوا إلى منازلهم»[٣].

وفي رواية الحاكم: «فينتظرونه حتى يؤذيهم حرّ الظهيرة»[٤].

□ ويحدِّثنا الإمام البخاري -أيضًا- عن كيفية استقباله ﷺ من قبل الأنصار بالمدينة. فقد روي عن أنس رضي الله عنه قال: فنزل رسول الله ﷺ جانب الحرّة، ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا إلى نبي الله ﷺ وأبي بكر فسلّموا عليهما وقالوا: «اركَبا آمنَين مُطَاعَين».

فركب نبيّ الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه وحَفُّوا دونهما بالسلاح، فقيل في المدينة: «جاء نبي الله! جاء نبي الله ﷺ».

---

(١) هذا جدكم: بفتح الجيم أي: حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعونه. المرجع السابق (٧/ ٢٤٣).

(٢) «صحيح البخاري» كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، جزء من حديث رقم (٣٩٠٦) (٧/ ٢٣٩).

(٣) «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٣٣).

(٤) «المستدرك على الصحيحين» كتاب الهجرة، استقبال الأنصار لرسول الله ﷺ وأصحابه وقت قدوم المدينة (٣/ ١١).

فأشرفوا ينظرون ويقولون: «جاء نبي الله ﷺ».

فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب رضي الله عنه [(١)].

□ ويحدثنا الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن عدد من استقبل رسول الله ﷺ وأبا بكر الصديق رضي الله عنه كانوا زهاء خمسمئة من الأنصار حتى انتهوا إليهما، فقالت الأنصار: «انطلقا آمنين مطاعَين»[(٢)].

□ كما ينقل لنا الإمام أحمد – أيضًا- صورة استقبال أهل المدينة للحبيب الكريم ﷺ على لسان الصديق رضي الله عنه حيث يقول: «ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة، فتلقَّاه الناس فخرجوا في الطريق وعلى الأجاجير [(٣)]. فاشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون: «الله أكبر! جاء رسول الله ﷺ، جاء محمد ﷺ».

قال: وتنازع القوم أيهم ينزل عليه.. [(٤)].

□ ويبيّن أنس بن مالك رضي الله عنه رؤيته لهذا اليوم المبارك بقوله: «فما

---

(١) «صحيح البخاري» كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، جزء من حديث رقم (٣٩١١) (٧/ ٢٥٠).

(٢) انظر «الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل» كتاب السيرة النبوية، باب ما جاء في قدومه ﷺ إلى المدينة، جزء من حديث رقم (١٥٥) (٢٠/ ٢٩١). ورواه الإمام البخاري في «التاريخ الصغير» انظر: «فتح الباري» (٧/ ٢٥٠) وصحّح الشيخ أحمد البنا إسناد رواية الإمام أحمد. انظر: «بلوغ الأماني» (٢٠/ ٢٩٢).

(٣) الأجاجير: جمع إجّار. وهي السطوح. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر»، مادة: «أجر» (١/ ٢٦).

(٤) «المسند» جزء من حديث رقم (٣) (١/ ١٥٥). وصحّح الشيخ أحمد محمد شاكر إسناده. انظر: «هامش المسند» (١/ ١٥٤).

رأيت يومًا قطّ أنور ولا أحسن من يوم دخل رسول الله ﷺ، وأبو بكر المدينة»[١].

□ ويصف البراء بن عازب رضي الله عنهما فرح أهل المدينةِ بمقدم الحبيب الكريم ﷺ إليهم بقوله: «فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيءٍ فرحهم برسول الله ﷺ»[٢].

٣- تخوف الأنصار من حرمانهم من صحبته ﷺ:

• ولما شرّف الله عز وجل الأنصار بصحبة حبيبه الكريم ﷺ في ديارهم كانوا يضِنّون به عليه الصلاة والسلام خوفًا من أن يُحْرَموا من هذه النعمة العظمى، والشرف الجليل. ومما يدلّ على ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أقبل رسول الله ﷺ حتى قدِم مكة. فبعث الزبير رضي الله عنه على إحدى المُجَنِّبَتين[٣]، وبعث خالدًا رضي الله عنه على المُجَنَّبة الأخرى، وبعث أبا عبيدة رضي الله عنه على الحُسَّر[٤]، فأخذوا في بطن الوادي[٥] ورسول الله ﷺ في مكة.

---

(١) رواه الإمام أحمد. انظر: «الفتح الرباني لترتيب المسند» كتاب السيرة النبوية، باب ما جاء في قدومه ﷺ إلى المدينة، جزء من حديث رقم (١٥٢) (٢٠/ ٢٩٠).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، جزء من حديث رقم (٣٩٢٥) (٧/ ٢٦٠).

(٣) المجنّبتين: هي بضم الميم وفتح الجيم وكسر النون وهما الميمنة والميسرة ويكون القلب بينهما. «شرح النووي» (١٢/ ١٢٦).

(٤) الحُسَّر: هم بضم الحاء وتشديد السين المهملتين أي الذين لا دروع عليهم. المرجع السابق (١٢/ ١٢٦- ١٢٧).

(٥) فأخذوا في بطن الوادي: أي: جعلوا طريقهم في بطن الوادي. المرجع السابق
=

قال: فنظر فرآني، فقال: «**أبو هريرة**».

قلت: «لبيك يا رسول الله!».

فقال: «**لا يأتيني إلَّا أنصاري**».

ثم قال: «**حتى تُوافوني بالصفا**».

قال: «فانطلقنا فما شاء أحد منّا أن يقتل أحدًا إلَّا قتله، وما أحد منهم يوجّه إلينا شيئًا»[1].

قال: «فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله! أبيحت خضراء قريش[2]. لا قريش بعد اليوم».

ثم قال: «**من دخل دار قريش فهو آمن**».

فقالت الأنصار: «أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته».

قال: قلتم: «**أما الرجل فأدركته رغبة في قريته**».

قالوا: «قد كان ذلك».

قال: «**كلّا إنِّي عبد الله ورسوله. هاجرت إلى الله وإليكم. والمحيا محياكم والممات مماتكم**».

فأقبلوا إليه يبكون، ويقولون: «والله! ما قلنا الذي قلنا إلَّا الضِّن بالله وبرسوله».

(١٢/ ١٢٧).

(١) «فما شاء.. إلينا شيئا»: أي: لا يدفع أحد عن نفسه. «شرح النووي» (١٢/ ١٢٧).

(٢) «أبيحت خضراء قريش»: أي: استؤصلت قريش بالقتل وأُفنيت. وخضراؤهم بمعنىٰ جماعتهم. انظر: المرجع السابق (١٢/ ١٢٧).

فقال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله ورسوله يصدِّقانكم ويعذرانكم**»(١).

□ يقول الإمام النووي في شرح الحديث: «إنهم رأوا رأفة النبي ﷺ بأهل مكة وكفَّ القتل عنهم فظنُّوا أنه يرجع إلى سكنى مكة والمقام فيها دائمًا، ويرحل عنهم، ويهجر المدينة، فشقّ ذلك عليهم، فأوحى الله تعالى إليه ﷺ فأعلمهم بذلك، وقال لهم ما معناه: إنِّي هاجرت إلى الله وإلى دياركم لاستيطانها، فلا أتركها ولا أرجع عن هجرتي الواقعة لله تعالى بل أنا ملازم لكم. المحيا محياكم والممات مماتكم: أي: لا أحيي إِلَّا عندكم ولا أموت إِلَّا عندكم.

فلمَّا قال لهم هذا بكوا واعتذروا، وقالوا: والله ما قلنا كلامنا السابق إِلَّا حرصًا عليك وعلى مصاحبتك ودوامك عندنا لنستفيد منك، ونتبرك بك، وتهدينا الصراط المستقيم كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى].

وهذا معنى قولهم: «ما قلنا الذي قلنا إِلَّا الضِّن بك». أي شحًّا بك أن تفارقنا ويختص بك غيرنا.

وكان بكاؤهم فرحًا بما قال لهم وحياءً مما خافوا أن يكون بلغه عنهم مما يستحي منه(٢).

٤- سؤال ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه مرافقته ﷺ في الجنة:

• عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: «كنت أبيت مع رسول الله ﷺ

(١) «صحيح مسلم» كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، جزء من حديث رقم (١٧٨٠) (٣/ ١٤٠٥).

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٢/ ١٢٨- ١٢٩).

فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «**سل**». فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة.

قال: «**أو غير ذلك؟**». قلت: هو ذاك.

قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»[١].

فهكذا المحبّ الصّادق حينما وجد فرصة سؤال لم يتردّد في اختيار مرافقته ﷺ لا في المرة الأولى، ولا في المرة الثانية، ولم يخطر بباله شيء آخر يستبدله بها.

٥- اختيار الأنصار رسول الله ﷺ على الدنيا وما فيها:

• عن عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئًا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم، فقال: «**يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضلّالًا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألّفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي**». كلما قال شيئًا قالوا: «الله ورسوله أمن»[٢].

قال: «**لو شئتم قلتم**»: جئتنا كذا وكذا[٣].

---

(١) «صحيح مسلم» كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه (١/ ٣٣٥) (ح٤٨٩).

(٢) وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه، فقالوا: «ماذا نجيبك يا رسول الله؟ ولله ولرسوله المنّ والفضل؟. نقلاً عن «فتح الباري» (٨/ ٥٠).

(٣) وفي حديث أنس رضي الله عنه عند الإمام أحمد: «**أفلا تقولون: جئتنا خائفًا فآمناك، وطريدًا فآويناك، ومخذولاً فنصرناك؟**». فقالوا: بل المَنُّ علينا لله ولرسوله. انظر: المرجع السابق (٨/ ٥١)، وصحح الحافظ ابن حجر إسناده.

«ألا ترضون أن يذهب الناس بالشّاة والبعير [١]**، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟** [٢]**. لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس واديًا وشِعبًا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شِعار والناس دِثار** [٣]**. إنَّكم ستلقون بعدي أثرة** [٤] **فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»** [٥].

وزاد في حديث أبي سعيد رضي الله عنه: **«اللَّهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار»**.

قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: «رضينا برسول الله ﷺ، قسمًا وحظًّا» [٦].

□ يقول الإمام ابن القيم: «ولما شرح لهم ﷺ ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنع رجعوا مذعنين، ورأوا أن الغنيمة العظمى ما حصل لهم من عود رسول الله ﷺ إلى بلادهم، فسلوا عن الشاة والبعير،

---

(١) **«بالشاة والبعير»**: اسم جنس فيهما، والشاة تقع على الذكر والأنثى، وكذا البعير. وفي رواية الزهري: **«أن يذهب الناس بالأموال»**. المرجع السابق (٨/ ٥١).

(٢) **«رحالكم»**: أي بيوتكم. المرجع السابق (٨/ ٥١).

(٣) **«الانصار شعار والناس دثار»**: الشِّعار بكسر المعجمة بعدها مهملة خفيفة: الثوب الذي يلي الجلد من الجسد. والدثار: بكسر المهملة ومثلثة خفيفة الذي فوقه. وهي استعارة لطيفة لفرط قربهم منه. وأراد أيضًا أنهم بطانته وخاصته، وأنهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم. المرجع السابق (٨/ ٥٢).

(٤) **«أثرة»**: بضم الهمزة وسكون المثلثة، وبفتحتين، ويجوز كسر أوله مع الإسكان، أي: الإنفراد بالشيء المشترك دون من يشركه فيه. المرجع السابق (٨/ ٥٢).

(٥) رواه البخاري – كتاب المغازي- باب غزوة الطائف (٨/ ٤٧/ ح٤٣٣٠).

(٦) «فتح الباري» (٨/ ٥٢).

والسبايا من الأنثى والصغير، بما حازوه من الفوز العظيم، ومجاورة النبي الكريم ﷺ، حيًّا وميتًا»[١].

٦- بكاء الصديق رضي الله عنه عند إدراكه اقتراب موعد فراقه ﷺ:

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «**إنَّ الله خيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله**». قال: فبكى أبو بكر رضي الله عنه فعجبنا لبُكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله ﷺ هو المُخيَّر، وكان أبو بكر رضي الله عنه أعلمنا»[٢].

□ وفي رواية أخرى عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: «فلم يلقنها إلَّا أبو بكر رضي الله عنه، فبكى، فقال: «نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأبنائنا»[٣].

٧- بكاء الصديق رضي الله عنه عند ذكر الحبيب الكريم ﷺ بعد وفاته:

• ونرى الصّدِّيق رضي الله عنه -أيضًا- يبكي عند ذكر الحبيب الكريم المصطفى ﷺ بعد انتقاله إلى رحمة ربه، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما رواه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «سمعت أبا بكر الصّدِّيق رضي الله عنه على هذا المنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ في هذا اليوم من عام الأول، ثم

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ٤٩).

(٢) «صحيح البخاري» كتاب فضائل الصحبة، باب قول النبي ﷺ: «**سدّوا الأبواب إلاّ باب أبي بكر**». جزء من حديث رقم (٣٦٥٤) (٧/ ١٢).

(٣) انظر: «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» كتاب المناقب، باب ماجاء في أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، (٩/ ٤٢). وقال عنه الحافظ الهيثمي: «إسناده حسن». المرجع السابق (٩/ ٤٣).

استعبر أبو بكر وبكى.

ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لم تؤتوا شيئًا بعد كلمة الإخلاص مثل العافية فاسألوا الله العافية**»(١).

وفي رواية أخرى: فخنقتْه العبرة ثلاث مرات، ثم قال: .. الحديث(٢).

٨- حرص الصديق رضي الله عنه على سرعة اللحوق به ﷺ:

ومما يدلّ على هذا ما رواه الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن أبا بكر رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال: «أيِّ يوم هذا؟». قالوا: «يوم الإثنين». قال: «**فإن مِتّ من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد، فإنّ أحبّ الأيّام والليالي إليّ أقربها من رسول الله ﷺ**»(٣).

الله أكبر! حبّ الأيّام والليالي يُقَدّر من حيث قربها من الحبيب الكريم المصطفى ﷺ(٤).

٩- رغبة الفاروق رضي الله عنه في أن يدفن بجواره ﷺ:

✍ ونرى محبًّا صادقًا آخر -وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه- وهو يرتحل من دار الفناء إلى دار البقاء، وأهم ما لديه أن يُدفَن بجوار الحبيب

---

(١) صحيح: «المسند» حديث رقم (١٠) (١/ ١٥٨- ١٥٩)، وصحّح الشيخ أحمد محمد شاكر إسناده. انظر: «هامش المسند» (١/ ١٥٨).

(٢) المرجع السابق، جزء من حديث رقم (٤٤) (١/ ١٧٣)، وصحح الشيخ أحمد محمد شاكر إسناده. انظر: «هامش المسند» (١/ ١٧٣).

(٣) صحيح الإسناد: رواه أحمد في «مسنده» (١/ ١٧٣) (ح٤٥)، وصحح الشيخ أحمد محمد شاكر إسناده. انظر: «هامش المسند» (١/ ١٧٣).

(٤) «حب النبي وعلاماته» لفضل الله إلهي ظهير (ص٤١).

الكريم المصطفى ﷺ.

□ يحدّثنا الإمام البخاري عن عمرو بن ميمون أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «يا عبد الله بن عمر! انطلق إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقل: «يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل «أمير المؤمنين»، فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: «يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدْفَن مع صاحبيه».

فسلّم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: «يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه».

فقالت: «كنت أريده لنفسي، ولأُوثرنّه به اليوم على نفسي».

فلما أقبل قيل: «هذا عبد الله بن عمر قد جاء».

قال: «ارفعوني».

فأسنده رجل إليه، فقال: «ما لديك؟».

قال: الذي تحبّ يا أمير المؤمنين، أذنت».

قال: «الحمد لله. ما كان من شيءٍ أهم إليَّ من ذلك. فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلِّم فقل: «يستأذن عمر بن الخطاب». فإن أذنَتْ لي فأدخلوني، وإن ردّتني رُدُّوني إلى مقابر المسلمين»[1].

شوق الصحابة رضي الله عنهم إلى النبي ﷺ هيّجة بلال بأذانه، وبكاؤهم حنينًا إليه:

□ عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: «قدمنا الشامَ مع عُمَر فأذَّن بلالٌ

---

(١) «صحيح البخاري» كتاب فضائل الصحابة، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان ابن عفان رضي الله عنه، وفيه مقتل عمر بن الخطاب- جزء من حديث رقم (٣٧٠٠) (٧/ ٦٠- ٦١).

فذكر الناسُ النبي ﷺ، فلم أرَ يومًا أكثر باكيًا منه»[١].

محبةُ الأشعريين قوم أبي موسى رضي الله عنه للنبي ﷺ شوقهم إلى لُقياه:

• عن أنس رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: «**يقْدُمُ عليكم غدًا قومٌ هم أرقُّ قلوبًا للإسلام منكم**»، فقدم الأشعريّون، فلما دنوْا جعلوا يرتجزون..

غــدًا نَلقَــى الأحِبَّــة محمَّــدًا وحِزْبَــه

فلما أن قَدِمُوا تصافحوا، فكانوا أوّل من أحدث المصافحة»[٢].

حُبُّ أُسَيْد بن حُضير للنبي ﷺ:

• عن أُسيد بن حُضير -وكان فيه مزاح- أنه كان عند النبي ﷺ، فطعنه النبي ﷺ بعودٍ كان معه، فقال: أصبرني، فقال: «**اصطبر**»، فقال:إن عليك قميصًا وليس عليَّ قميص، قال: فكشف النبي ﷺ قميصه، قال: فجعل يُقبِّل كشحه، ويقول: إنما أردت هذا يا رسول الله»[٣].

محبة السَّيد الكبير أبي أيوب الأنصاري خالد بن زيد النجاري البدري للنبي ﷺ:

□ عن أبي رُهم: «أن أبا أيوب حدَّثه: أن رسول الله ﷺ نزل في بيتنا الأسفل وكنتُ في الغرفة، فأهريق ماءٌ في الغرفة، فقمت أنا وأمُّ أيوب بقطيفة لنا نتتبعُ الماء ونزلت فقلت: يا رسول الله، لا ينبغي أن نكون

(١) «نزهة الفضلاء» (١/ ٦٤).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٦٦) انظر: «مسند أحمد» (٣/ ١٠٥، ١٥٥)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ٣٥١).

(٣) «نزهة الفضلاء» (١/ ٦٢).

فوقك، انتقل إلى الغرفة، فأمر بمتاعه فنُقِل - ومتاعه قليل- قلت: يا رسول الله، كنتَ تُرسِلُ بالطعام، فأَنظرُ، فإذا رأيتُ أثر أصابعِك، وضعتُ فيه يدي»[(١)].

شوق سيدنا بلال بن رباح رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

□ قال سعيد بن عبد العزيز: «لما احتُضر بلال رضي الله عنه قال:

غــدًا نَلقَــى الأحِبَّــة   محمَّـــدًا وحِزْبَـــه

قال: تقول امرأته: وا ويلاه. فقال: «وا فرحاه»[(٢)].

شوق الطيِّب المُطَيَّبُ عمّار بن ياسر رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

□ قال رضي الله عنه عند الموت: «اليوم ألقى الأحِبَّة محمدًا وحِزْبه»[(٣)].

وقال رضي الله عنه في صفين عندما قُتِل: «أزِفت الجِنان، وزُوِّجت الحور العين، اليوم نلقى حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم»[(٤)].

نُعيم بن مالك بن ثعلبة رضي الله عنه وحبُّه الجارف لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

• يُشهِد النبي صلى الله عليه وسلم على حُبِّه إياه، ويُصدِّقُه النبي صلى الله عليه وسلم قال نعيم بن مالك رضي الله عنه في يوم أُحُد للنبي صلى الله عليه وسلم: «يا نبي الله! لا تحرمنا الجنَّة، فوالذي نفسي بيده لأدخُلَنَّها. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بِمَ؟» قال: بأني أحبُّ الله ورسوله، ولا أفِرُّ يوم الزَّحْفِ. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صدَقْت». واستُشهِد يومئذٍ»[(٥)].

---

(١) «نزهة الفضلاء» (١/ ١٧١).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢١٨- ٢١٩) ط- دار الحديث.
(٣) «الثبات عند الممات» (ص١٠٨).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٢٥).
(٥) «البداية والنهاية» (٤/ ١٣- ١٤).

محبة كَعْبِ بن عُجْرَةَ الأنصاري السالمي رضي الله عنه لرسول الله ﷺ:

الصحابي الجليل من أهل بيعة الرضوان رضي الله عنه.

• عن كعب بن عَجْرَة رضي الله عنه قال: أتيتُ النبي ﷺ يومًا، فرأيتُه متغيِّرًا قلتُ: بأبي وأمي، ما لي أراك متغيِّرًا؟ قال: «**ما دخل جَوْفي شيءٌ منذ ثلاث**» فذهبتُ، فإذا يهودي يسقي إبلًا له فسقيتُ على كُلِّ دلوٍ بتمرة. فجمعتُ تمرًا، فأتيته به. فقال: «**أتحِبُّني يا كعبُ؟**» قلتُ: بأبي أنت — نعم. قال: «**إنّ الفقر أسرعُ إلى من يُحِبُّني من السَّيْل إلى مَعَادِنه، وإنك سيُصيبكَ بلاءٌ فأَعِدَّ له تِجْفافًا**».ففقده النبي ﷺ، فقالوا: مرض، فأتاه، فقال له: «**أبشِرْ يا كعبُ**»، فقالت أمُّه: هنيئًا لك بالجنة. فقال النبي ﷺ: «مَن هذه المُتَأَلِّية على الله؟» قال: هي أمي. قال: «**ما يُدريك يا أمَّ كَعْب، لعَلَّ كعبًا قال ما لا ينفعه، أو منَع ما لا يُغنيه**»(١).

محبة حسَّان بن ثابت رضي الله عنه للنبي ﷺ:

هذه المحبة لا يُنكرها أحد، فشعره العذب، الرقيق كله يُنبيك عن حبه العظيم للنبي ﷺ..

أليس هو القائل بعد موت النبي ﷺ:

كنتَ السَّواد لناظري ... فَعَمِى عليك الناظِرُ
مَن شاء بعدك فليمتْ ... فعليك كنتُ أحاذرُ

وله قصيدة تقطر أسًى وحُزنًا وشوقًا إلى رسول الله ﷺ يرثيه عند موته ﷺ..

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٥٣- ٤٥).

□ قال حسان رضي الله عنه:

بطَيْبَـةَ رَسْـمٌ للرَّسُـوْلِ وَمَعْهَـدُ ... مُنِيْرٌ وَقَـدْ تَعْفُـو الرُّسُـوْمُ وتَهْمـدُ
ولا تَنْمَحِيْ الآياتُ مِنْ دَارِ حُرْمَـةٍ ... بِهَا مِنْبَرُ الهادِيْ الذي كَـانَ يَـصْعَدُ
وَوَاضِـحُ آيـاتٍ وَبـاقِي مَعَـالِمِ ... وَرَبْـع لَـهُ فِيْـهَ مُـصَلًّى ومَـسْجِدُ
بِهَا حُجُراتٌ كَـانَ يَنْـزِلُ وَسْـطَهَا ... مِـنَ الله نُـوْرٌ يُسْتَـضَاءُ وَيُوْقَـدُ
مَعَالِمُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى العَهْـدِ آيُهَـا ... أَتاهَـا البِلَـى فـالآيُ مِنْهَـا تَجَـدَّدُ
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُـوْلِ وعَهْـدَهُ ... وقَبْرًا بِـهِ وَارَاهُ فِـي التُّرْب مُلْحَـدُ
ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكِي الرَّسُولَ فَأَسْعَدَتْ ... عُيونٌ ومِثلاها مِـنَ الجَفْـنِ تَـسْعَدُ
مُفَجَّعَـةٌ قَـدْ شَـفَّها فَقْـدُ أَحْمَـدَ ... فَظَلَّـتْ لآلآءِ الرَّسُـولِ تُعـدِّدُ
ومَا بَلَغْتُ مِـن كُـلِّ أَمـرٍ عُـشَيرَهُ ... وَلَكِنَّ نَفْسِي بَعْضَ ما فيـه تَحْمـدُ
أَطَالتْ وقوفًا تَذرِفُ العَينُ جُهدَها ... عَلى طَلَلِ القَبْـرِ الـذي فيـه أحمـدُ
فَبُورِكتَ يا قبرَ الرَّسُولِ وبُورِكـتْ ... بِلادٌ ثَـوى فيهـا الرَّشـيدُ المُسددُ
وبَـورِكَ لَحـدٌ مِنْـكَ ضُـمِّنَ طَيِّبًـا ... عَليـه بِنـاءٌ مِـنْ صَـفيح مُنَـضَّدُ
تُهيـلُ عَليـه التُّـربَ أَيْـدٍ وأَعـينٌ ... عَليـه وقَـدْ غَـارتْ بَـذلكَ أَسْعَدُ
لَقَـدْ غَيَّبُـوا حلـمًا وعِلـمًا ورَحمـةً ... عَـشيةَ عَلَّـوْه الثَّـرى لا يُوسَّـدُ
ورَاحوا بِحُـزْنٍ لَـيسَ فـيهم نَبـيُّهم ... وَقَدْ وَهَنَتْ مِنْهُم ظُهـورٌ وأَعْـضُدُ
يبكُونَ مَنْ تَبْكـي الـسَّماواتُ يَوْمَـه ... وَمنْ قَدْ بَكَتْهُ الأرضُ فالنَّاسُ أَكْمَـدُ
وَهَـلْ عَـدَلَت يَوْمًـا رَزِيَّـةُ هَالِـكٍ ... رَزِّيَّـةَ يَـوم مَـاتَ فِيْـهِ مُحَمَّـدُ
تَقطَّـعَ فِيْـهِ مَنْـزِلُ الـوَحْي عَـنْهُمُ ... وَقـدْ كَـانَ ذَا نُـوْرٍ يَغُـورُ ويُنْجِـدُ

يَدلُّ على الرَّحمنِ مَنْ يَقْتَدي بِه ... وَيُنْقِذُ مِن هَولِ الخَزَايَا ويُرْشِدُ
إمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيْهِمُ الحَقَّ جَاهِدًا ... مُعَلِّمُ صِدْقٍ إنْ يُطِيْعُوهُ يَسْعَدُوا
عَفُوٌّ عَنْ الزَّلاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ ... وإنْ يُحْسِنُوا فَاللهُ بِالخَيْرِ أَجْوَدُ
وإنْ نَابَ أمرٌ لم يَقُومُوا بِحَملِه ... فَمِنْ عِنْدِه تَيْسِيرُ ما يَتَشَدَّدُ
فَبَيْنَا هُمُو في نِعْمَةِ اللهِ بَيْنَهُمْ ... دَلِيْلٌ بِه نَهْجُ الطَّرِيْقَةِ يُقْصَدُ
عَزِيْزٌ عَلَيْه أَنْ يَحِيدُوا عَنِ الهُدَى ... حَرِيْصٌ عَلى أَنْ يَسْتَقِيْمُوا وَيَهْتَدُوا
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لا يُثَنِّي جَنَاحَهُ ... إلى كَنَفٍ يَحْنُوْ عَلَيْهِمْ ويَمْهَدُ
فَبينا هُمُو فِي ذَلِكَ النُّورِ إذْ غَدَا ... إلى نُورِهِم سَهْمٌ مِنَ المَوْتِ
فَأَصْبَحَ مَحْمُوْدًا إلى اللهِ رَاجِعًا ... يُبكِّيْهِ جَفْنُ المُرْسَلاتِ ويَحْمَدُ
وأَمْسَتْ بِلادُ الحُرْمِ وَحْشًا بِقَاعُهَا ... لِغَيْبَةِ مَا كَانَتْ مِنَ الوَحْيِ تَعْهَدُ
قِفَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافَهَا ... فَقِيدٌ يُبَكِّيْهِ بِلاطٌ وغَرْقَدُ
ومَسْجِدُهُ فَالمُوحِشَاتُ لِفَقْدِهِ ... خَلاءٌ لَهُ فِيْهِ مَقَامٌ ومَقْعَدُ
وبِالجَمْرَةِ الكُبْرَى لَهُ ثُمَّ أَوْحَشَتْ ... دِيَارٌ وعَرَصَاتٌ ورَبْعٌ ومَولِدُ
فَبَكِّي رَسُوْلَ اللهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةً ... ولا أَعْرِفَنْكِ الدَّهْرَ دَمْعُكِ يَجْمُدُ
ومَا لَكِ لا تَبْكِيْنَ ذَا النِّعْمَةِ التِي ... عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ
فَجُوْدِي عَلَيْهِ بِالدُّمُوْعِ وأَعْوِلِي ... لِفَقْدِ الَّذِي لا مِثْلُهُ الدَّهْرَ يُوْجَدُ
وَمَا فَقَدَ المَاضُوْنَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ... ولا مِثْلُهُ حَتَّى القِيَامَةِ يُفْقَدُ
أَعَفَّ وأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ ... وأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لا يُنَكَّدُ
وأَبْذَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيْفِ وتَالِدٍ ... إذا ظَنَّ مِعْطَاءٌ بِمَا كَانَ يُتْلَدُ

وأَكْـرَمَ حَيًّـا في البُيُـوتِ إذا انتمَـى | وأكْـرَمَ جَـدًّا أبطَحِيًّـا يُـسَوَّدُ
وأَمْنَـعَ ذِرْوَاتٍ وأثْبَـتَ في العُلَـى | دَعَـائِمَ عِـزٍّ شَـاهِقَاتٍ تُـشَيَّدُ
وأَثْبتَ فَرْعًـا فِـي الفُـرُوعِ ومَنْبَتًـا | وعُودًا غَذَاءُ المُـزْنُ فَـالعُودُ أَغْيَـدُ
رَبـاهُ وَلِيْـدًا فاسْـتَتَمَّ تَمامُـهُ | عَلَـى أكْـرَمِ الخَيْـرَاتِ رَبٌّ مُمَجَّـدُ
تَنَاهَـتْ وِصَـاتُ المـسْلِمِينَ بِكَفِّـه | فَلا العِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلا الـرَّأْيُ يُفْنَـدُ
أَقُـوْلُ وَلا يُلْقَـى لِقَـوْلِي عَائِـبٌ | مِنَ النَّاسِ إِلَّا عَازِبُ العَقْلِ مُبْعَـدُ
وَلَـيْسَ هَـوَائِي نَازِعًـا عَـنْ ثَنَائِـهِ | لَعَلِّـيْ بِـه في جَنَّـةِ الخُلْـدِ أَخْلَـدُ
مَعَ المُصْطَفى أَرْجُوْ بِـذَاك جِـوَارَهُ | وفِي نَيلِ ذَلكَ اليوْم أسْعَى وأَجْهَدُ

□ ولله درّهُ إذْ يقول:

وجهي يقيك التـرب لهفـي ليتنـي | غُيِّبْـتُ قبلـك في بقيـع الغرقَـدِ

□ وما أطيب قوله:

وأجمـلُ منـكَ لم تَـرَ قـطٌّ عينـي | وأحـسنُ مِنـك لم تلِـدِ النـساءُ
خُلِقْـتَ مُبَـرَّءًا مِـن كُـلِّ عيـبٍ | كأنَّـكَ قـد خُلِقْـتَ كما تـشاءُ

العلامة الثانية: بذل النَّفْس والمال دون الحبيب الكريم ﷺ [1]:

يترقّب المحبّ الصادق بكل شوق وحماس فرصة يتمكّن فيها من بذل راحته، ونفسه، وما ملكت يمينه دون حبيبه. والمحبّون الصّادقون للنبي الحبيب الكريم ﷺ من الصحابة قد سجّلوا أروع أمثلة الفداء والتضحية دونه ﷺ. والذين جاءوا من بعدهم من محبّيه ﷺ يجدون في

---

(١) «حب النبي ﷺ» لفضل إلهي ظهير (ص٤٣- ٥٩).

صدورهم حسرة لا توصف لفواتهم تلك السعادة العظمى والأمنية الغالية.

وفيما يلي أذكر بعض تلك المواقف المشرِّفة: مواقف الفداء والتضحية، مواقف الحبّ والولاء، مواقف الإيمان والإخلاص، مواقف أولئك الأبرار الذين صدقوا في حبّهم لحبيبهم، حبيب رب العالمين ﷺ.

١- بكاء الصديق رضي الله عنه خوفًا على الرسول الكريم ﷺ:

• يدرك سراقة بن مالك رسول الله ﷺ وأبا بكر الصديق رضي الله عنه أثناء سفر الهجرة. وحين يقترب منهما يضطرب الصدِّيق رضي الله عنه ويبكي لا خوفًا على نفسه بل خوفًا على الحبيب الكريم المصطفى ﷺ. يحدِّثنا الإمام أحمد عن هذه القصة عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: «فارتحلنا والقوم يطلبونا، فلم يدركنا إلَّا سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له. فقلت: يا رسول الله! هذا الطلب قد لحقنا».

فقال: «**لا تحزن إنَّ الله معنا**».

حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة، قال: قلت: «يا رسول الله! هذا الطلب قد لحقنا». وبكيت.

قال: «**لِم تبكي؟**».

قلت: «أَمَا والله! ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك».

قال: فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «**اللَّهم اكفناه بما شئت**».

فساخت[1] قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلْد.. الحديث[2].

٢- استعداد المقداد بن الأسود ﷺ للوقوف معه ﷺ في المعركة:

ونرى محبًّا صادقًا آخر يُبدي استعداده التامّ للوقوف مع الحبيب الكريم المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه في المعركة. يحدثنا الإمام البخاري عن قصته برواية عبد الله بن مسعود ﷺ حيث يقول: «شهدت من المقداد بن الأسود ﷺ مشهدًا لأن أكون صاحِبَه أحبُّ إليَّ مما عُدِل به[3]: أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: «لا نقول كما قال قوم موسى عليه السلام ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ﴾ [المائدة: ٢٢]، ولكنّا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك».

فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسرَّه، يعني قوله[4].

ومما نجده في هذه الرواية إلى جانب استعداد المقداد ﷺ للفداء والتضحية دون الحبيب الكريم المصطفى ﷺ، رغبة عبد الله بن مسعود ﷺ في أن يكون هو صاحب هذا الموقف المشرِّف. وهذا يتجلّى في

---

(١) «فسَاخَت»: أيْ غاصت في الأرض «النهاية في غريب الحديث والأثر» مادة «سوخ» (٢/ ٤١٦).

(٢) صحيح الإسناد: رواه أحمد في «المسند» جزء من الحديث رقم (٣) (١/ ١٥٥)، وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده. انظر: «هامش المسند» (١/ ١٥٤).

(٣) «مما عُدِل به»: أي وُزِن، أي من كل شيءٍ يقابل ذلك من الدنيويات «فتح الباري» (٧/ ٢٨٧).

(٤) «صحيح البخاري» كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، حديث رقم (٣٩٥٢) (٧/ ٢٨٧).

قوله: «شهدت من المقداد بن الأسود رضي الله عنه مشهدًا لأن أكون صاحِبَه أحبُّ إليّ مما عُدِل به».

□ ويقول الحافظ ابن حجر في شرحه: «إنّه كان لو خُيِّر بين أن يكون صاحبه وبين أن يحصل له ما يقابل ذلك كائنًا ما كان لكان حصوله له أحبّ إليه»[١].

٣- فداء أحد عشر رجلاً من الأنصار وطلحة رضي الله عنه دونه ﷺ:

يحدُثُ خطأ من بعض الرماة في معركة أُحد، فيتركون أماكنهم، فيأتي مجموعة من جيش قريش مكة تحت قيادة خالد بن الوليد من خلف المسلمين، فيحصل خلل واضطراب في الصفوف الإسلامية حتى لم يبق في وقت من الأوقات مع الرسول الكريم ﷺ إلّا اثنا عشر رجلًا، وقد أدرك المشركون النبي الكريم ﷺ وهؤلاء الاثنى عشر. فماذا فعل أولئك الأبرار المحبّون الصّادقون للدفاع عن حبيبهم ﷺ؟ فلنقرأ ما رواه الإمام النسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما حيث قال: «لمّا كان يوم أحد وولّى الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلًا من الأنصار وفيهم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فأدركهم المشركون. فالتفت رسول الله ﷺ، وقال: «من للقوم؟».

فقال طلحة: «أنا».

قال رسول الله ﷺ: «**كما أنت**».

فقال رجل من الأنصار: «أنا يا رسول الله».

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٢٨٧).

فقال: «**أنت**».

فقاتل حتى قُتِل. ثم التفت فإذا المشركون فقال: «**من للقوم؟**».

فقال طلحة: «أنا».

قال: «**كما أنت**».

فقال رجل من الأنصار: «أنا».

فقال: «**أنت**».

فقاتل حتى قُتِل.

ثم لم يزل يقول ذلك، ويخرج لهم رجل من الأنصار، فيقاتل قتال من قبله حتى يُقتَل، حتى بقي رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ: «**من للقوم؟**».

فقال طلحة: «أنا».

فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضُرِبتْ يده فَقُطِعت أصابعه، فقال: «حس».

فقال رسول الله ﷺ: «**لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة، والناس ينظرون**». ثم ردّ الله المشركين»[1].

الله أكبر! يفدي أحد عشر محبًّا أرواحهم دون حبيبهم حبيب رب

---

(١) «صحيح سنن النسائي» كتاب الجهاد، باب ما يقول من يطعنه العدو، حديث رقم (٢٩٥١) (٢/ ٦٦١)، وقال الشيخ الألباني: «حسن من قوله: «فقطعت أصابعه». وما قبله يحتمل التحسين، وهو على شرط مسلم». المرجع السابق (٢/ ٦٦١)، وقال عنه الحافظ الذهبي: «رواته ثقات». «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٧).

العالمين ﷺ، والثاني عشر -وهو طلحة بن عبيد الله -رضى الله عنه وعنهم أجمعين- لم يكن دفاعه عنه ﷺ بأمر هين، فقد قاتل قتال الأحد عشر، وشُلَّت يده حيث كان يقي بها رسول الله ﷺ. فقد روى الإمام البخاري عن قيس قال: «رأيت يد طلحة رضي الله عنه شلّاء [(١)] وقى بها النبي ﷺ يوم أحد»[(٢)].

وربِّ محمد ﷺ! ما أسعد هذه اليد وأزكاها التي شُلَّت دفاعًا عن أحبّ خلق الله تعالى وأقدسه ﷺ! وما أسعد صاحبها!.

ولم تكن يده قد تأثَّرتْ وشُلَّت أثناء الدفاع عن الحبيب الكريم ﷺ فحسب، بل جُرِح جسده كله حيث كانت به حوالي سبعين جرحة. فقد روى الإمام أبو داود الطيالسي عن عائشة عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنهما قال: «ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار [(٣)] فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة ورمية وضربة»[(٤)].

وقد كان أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد بكى، ثم قال: «ذلك

---

(١) «شلاء» بفتح المعجمة وتشديد اللام مع المد أي أصابها شلل، وهو ما يبطل عمل الأصابع أو بعضها. «فتح الباري» (٧/ ٣٦١).

(٢) «صحيح البخاري» كتاب المغازي، ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ الآية حديث رقم (٤٠٦٣) (٧/ ٣٥٩).

(٣) «الجفار»: هي جمع جُفْرة بالضم: وهي حفرة في الأرض: «النهاية في غريب الحديث والأثر»، مادة «جفر» (١/ ٢٧٨).

(٤) «منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود» كتاب السيرة النبوية، باب ما جاء في غزوة أحد، جزء من رقم الرواية (٢٣٤٦) (٢/ ٩٩). وانظر أيضًا: «فتح الباري» (٧/ ٨٢- ٨٣).

كله يوم طلحة»[١]. رضي الله عنه وعن الصدِّيق وعن كل المحبين الصادقين للحبيب الكريم صلى الله عليه وسلم.

٤- تقديم أبي طلحة رضي الله عنه نحره دون نحره صلى الله عليه وسلم:

ونرى محبًّا صادقًا آخر يجعل صدره دون صدر الحبيب الكريم صلى الله عليه وسلم حتى إذا جاء سهم العدو يصيبه بدل إصابته نحره صلى الله عليه وسلم، وقد كان ذلك -أيضًا- في معركة أحد. فقد روى الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لمَّا كان يوم أحد انهزم ناس من الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة رضي الله عنه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم مجوِّب عليه بحجفة»[٢].

قال: وكان أبو طلحة رضي الله عنه رجلًا راميًا شديد النزع [٣]، وكسر يومئذٍ قوسين أو ثلاثًا [٤].

قال: وكان الرجل يمرّ معه الجُعْبة [٥] من النبل فيقول صلى الله عليه وسلم: **«انثرها لأبي طلحة»**.

قال: ويشرف نبي الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة رضي الله عنه: «يا

---

(١) انظر: «منحة المعبود» (٢/ ٩٩).

(٢) «مجوِّب عليه بحجفة»: أي مترِّس عنه ليقيه سلاح الكفار. «شرح النووي» (١٢/ ١٨٩). والحَجَفَة: بفتح الحاء المهملة وفتح الجيم والفاء أيضًا، وهي الترس إذا كان من جلد ليس فيها خشب. «عمدة القاريء» (١٦/ ٢٧٣).

(٣) «شديد النزع»: بفتح النون والزاي الساكنة ثم المهملة أي رمي السهم. «فتح الباري» (٧/ ٣٦٢).

(٤) «كسر يومئذٍ قوسين أو ثلاثًا» من شدة الرمي. المرجع السابق (٧/ ٣٦٢).

(٥) «الجُعْبة»: بضم الجيم وسكون العين المهملة بعدها موحدة: هي الآلة التي يوضع فيها السهام. المرجع السابق (٧/ ٣٦٢).

نبي الله: بأبي أنت وأمي! لا تشرف. لا يصبك سهم من سهام القوم. نحري دون نحرك»[١].

الله أكبر! ماذا يفعل المحبّ؟ وماذا يتمناه ويريده؟

□ يقول العلّامة العيني في شرح قوله رضي الله عنه: «نحري دون نحرك»: «هذا نحري قدام نحرك، يعني أقف بين يديك بحيث إن السهم إذا جاء يصيب نحري ولا يصيب نحرك»[٢].

□ ويقول الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي: «الجملة دعائية. أي جعل الله نحري أقرب إلى السهام من نحرك لأُصاب بها دونك»[٣].

٥- تتريس أبي دجانة رضي الله عنه دون رسول الله ﷺ بنفسه:

□ يروي لنا الإمام ابن إسحاق عن محبّ صادق آخر بقوله: «وترّس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه، ويقع النبل في ظهره، وهو منحن عليه، حتى كثر فيه النبل»[٤].

وفي رواية أخرى: «وهو لا يتحرّك»[٥].

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ الآية، حديث رقم (٤٠٦٤) (٧/ ٣٦١)، و«صحيح مسلم» كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال، حديث رقم (١٨١١) (٣/ ١٤٤٣)، واللفظ لمسلم.

(٢) «عمدة القاريء» (١٦/ ٢٧٤).

(٣) هامش «صحيح مسلم» (٣/ ١٤٤٣).

(٤) «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٣٠)، وانظر أيضًا: «السيرة النبوية» لابن حبان البستي (ص٢٢٤)، و«تاريخ الإسلام» المغازي للذهبي (ص١٧٤- ١٧٥).

(٥) «جوامع السيرة» لابن حزم (ص١٦٢)، وانظر أيضًا: «زاد المعاد» (٣/ ١٩٧).

الله أكبر! ما الذي جعل أبا دجانة رضي الله عنه يترسّ دون الرسول الكريم ﷺ بنفسه، ينحني عليه، ويصبر على النبل الذي يقع في ظهره، ولا يتحرك؟ إنَّه حبّ صادق للحبيب الكريم المصطفى عليه الصلاة والسلام إنّه حرص شديد على بذل نفسه فداء نفس الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه.

٦- موت أحد من الأنصار فداء الحبيب الكريم ﷺ وخده على قدمه ﷺ:

تُحدِّثنا كتب السيرة والتاريخ عن موت أحد المحبِّين الصّادقين للحبيب الكريم ﷺ يبذل نفسه دفاعًا وفداء دونه ﷺ، ويأتي وقت ارتحاله من هذه الدنيا وخده على قدم الحبيب الكريم ﷺ وكان ذلك -أيضًا- في غزوة أحد.

• قال الإمام ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم: «**منْ رجل يشتري لنا نفسه؟**».

فقام زياد بن السكن رضي الله عنه في نفر خمسة من الأنصار.

وبعض الناس يقولون: إنما هو عمارة بن يزيد بن السكن.

فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلًا ثم رجلًا، يُقْتَلون دونه حتى كان آخرهم زياد أو عمارة، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت فئة من المسلمين، فأجهضوهم عنه [1]، فقال رسول الله ﷺ: «**أدنوه مني**».

فأدنوه منه فوسده قدمه.

---

(١) «فأجهضوهم عنه»: أي نحّوهم وأزالوهم عنه. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر»، مادة «جهض» (١/ ٣٢٢).

فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ[١].

الله أكبر! ما أطيب هذا الموت وأحلاه!.

٧- اهتمام سعد بن الربيع رضي الله عنه بسلامته ﷺ وهو في آخر رمق:

ونشاهد محبًّا صادقًا آخر وهو من جرحى معركة أحد، وبه سبعون ضربة، ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم. لم يبق بينه وبين هذه الدنيا وما فيها من أهل ومال ومتاع إلَّا لحظات، ففيما كان يفكِّر؟ وماذا كان يشغل باله؟ فلنقرأ ما رواه الإمام الحاكم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع رضي الله عنه وقال لي: «**إن رأيته فاقرئه منّي السلام، وقل له: «يقول لك رسول الله ﷺ: كيف تجدك؟**»».

قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في آخر رمق، وبه سبعون ضربة: ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت له: «يا سعد! إنّ رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «**خبرني كيف تجدك؟**»».

قال: «على رسول الله السلام، وعليك السلام، قل له: «أجدني أجد ريح الجنّة»، وقل لقومي الأنصار: «لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شُفْر[٢] يطرف».

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٢٩)، وانظر أيضًا: «السيرة النبوية» لابن حبان البستي (ص٢٢٣- ٢٢٤)، و«تاريخ الإسلام» المغازي- للذهبي (ص١٧٤).

(٢) «شُفْر»: بالضم وقد يُفْتَح: حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر «النهاية في غريب الحديث والأثر» مادة «شفر» (٢/ ٤٨٤).

قال: «وفاضت نفسه. رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[١].

ففيم فكّر هذا المحبّ الصّادق في آخر لحظات حياته؟ وماذا شغل باله؟ وبماذا أوصى قومه وهو يودّعهم، مرتحلًا عن هذه الدنيا، وما فيها من أهل وأولاد ومتاع؟

الأمر الذي شغل باله هو سلامة حبيبه، حبيب ربّ العالمين ﷺ، والوصية التي أوصى بها قومه: هي أن يبذل كل واحد منهم نفسه فداءً للرسول الكريم ﷺ.

٨- سير أبي قتادة رضي الله عنه ليلته معه ﷺ لحفظه من السقوط عن دابته:

وأختم حديثي عن العلامة الثانية لحبّ النبي الكريم ﷺ بذكر قصة محبّ صادق آخر، كان يهتم براحة رسول الله ﷺ وسلامته، فسار معه ليلته كي يحفظه من سقوط عن دابته عند ميله عنها بسبب غلبة النعاس عليه. فقد روى الإمام مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتأتون الماء إن شاء الله غدًا**».

فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد[٢].

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب سعد بن الربيع رضي الله عنه (٣/ ٢٠١)، وقال عنه الإمام الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد لم يخرجاه» المرجع السابق (٣/ ٢٠١). ووافقه الحافظ الذهبي. انظر: «التلخيص» (٣/ ٢٠١). وروى نحوه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٤٦٥- ٤٦٦) والإمام ابن إسحاق، انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٣٨- ٣٩). وقال عنه الدكتور أكرم ضياء العمري: «من رواية ابن إسحاق بإسناد رجاله ثقات «مجمع البحرين» (٢/ ٢٣٩)، و«شرح المواهب» (٢/ ٤٤)، «السيرة النبوية الصحيحة» (٢/ ٣٨٦).

(٢) «لا يلوي أحد على أحد»: أي لا يعطف. «شرح النووي» (٥/ ١٨٤).

قال أبو قتادة: «فبينما رسول الله ﷺ يسير حتى إبهارّ الليل [١] وأنا إلى جنبه».

قال: «فنعس رسول الله ﷺ فمال عن راحلته فأتيته فدعمته [٢] من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته».

قال: «ثم سار حتى تهوّر الليل [٣] مال عن راحلته».

قال: «فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته».

قال: «ثم سار حتى إذا كان من آخر السَّحَر مال ميلة هي أشدّ من الميلتين الأوليَيْن حتى كاد ينجفلْ [٤]. فأتيته فدعمته. فرفع رأسه فقال: **«ما هذا؟»**.

قلت: «أبو قتادة».

قال: **«متى كان هذا مسيرك مني؟»**.

قال: «ما زال هذا مسيري منذ الليلة».

قال: **«حفظك الله بما حفظت به نبيه [٥]»** [٦].

---

(١) «إبهارّ الليل»: هو بالباء الموحدة وتشديد الراء أي انتصف. المرجع السابق (٥/ ١٨٤).

(٢) «فدعمته»: أي أقمت ميله من النوم، وصرت تحته كالدعامة للبناء فوقها. المرجع السابق (٥/ ١٨٥).

(٣) «تهوّر الليل»: أي ذهب أكثره مأخوذ من تهور البناء وهو انهدامه، يقال: تهور الليل وتوهر. المرجع السابق (٥/ ١٨٥).

(٤) «ينجفل»: أي يسقط. «شرح النووي» (٥/ ١٨٥).

(٥) «حفظك الله بما حفظت به نبيّه»: أي بسبب حفظك نبيّه. المرجع السابق (٥/ ١٨٥).

(٦) «صحيح مسلم» كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة، واستحباب تعجيل قضائها، جزء من حديث رقم (٦٨١) (١/ ٤٧٢).

سبحان الله! كم كان أبو قتادة ﵁ حريصًا على سلامته ﷺ وراحته في آن واحد. سار معه ليلته يراقبه سعيًا على حفظه. وكلما مال عليه الصلاة والسلام بسبب غلبة النعاس عن راحلته كان يصير تحته كالدعامة للبناء فوقها، لكنه مع هذا لم يجعله يستيقظ حرصًا منه على راحته ﷺ رضي الله عنه وأرضاه.

حُبُّ الزبير بن العوَّام للنبي ﷺ:

• عن عُرْوة: جاء الزبير ﵁ بسيفه، فقال النبي ﷺ: «**مَالَكَ؟**» قال: أُخبرتُ أَنَّك أُخِذت، قال: «**فكنت صانِعًا ماذا؟**»، قال: كنتُ أضرِب به من أخذك. فدعَا له ولسيفه[1].

سعد بن عبادة أبو قيس الأنصاري سيد الخزرج ﵁ وحبه للنبي ﷺ:

جزاه الله خيرًا عن نبيه ﷺ.

«لما قدم النبي ﷺ المدينة، كان يبعث إليه كل يوم جفنةً من ثريد اللحم أو ثريد بلبن أو غيره، فكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه»[2].

• وعن أنس ﵁ قال: لما بلغ رسولَ الله ﷺ إقفالُ أبي سفيان قال: «**أشيروا عليّ**». فقام أبو بكر، فقال: اجلِس. فقام سعد بن عبادة فقال: لو أمرتنا يا رسول الله أن نُخيضَها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَركِ الغماد لفعلنا»[3].

---

(١) «نزهة الفضلاء» (١/ ١٥).

(٢) «نزهة الفضلاء» (١/ ٤٩).

(٣) قوله: أن نضرب أكبادَها: كناية عن ضربها. وبرك الغِماد: موضع من وراء مكة =

شوق سلف الأمة، بل والأمة كلها إلى النبي ﷺ:

شوق التابعين رحمهم الله:

▫ عن عبد الرحمن بن رَزين، قال: «أتينا سَلَمةَ بنَ الأكوع بالرَّبَذَة، فأخرج إلينا يدًا ضخمة كأنها خُفُّ البعير، فقال: بايعتُ بيدي هذه رسولَ الله ﷺ قال: فأخذنا يَده، فقبَّلناها»[1].

حب الإمام عَبِيدة بن عمرو السَّلْماني الكوفي للنبي ﷺ، وحب ثابت البناني له:

▫ قال محمد بن سيرين: «قلتُ لعَبيدة: إنَّ عندنا من شعر رسول الله ﷺ شيئًا مِن قِبَل أنس بن مالك. فقال: لأن يكون عندي منه شعرة أحبُّ إليّ من كلِّ صفراء وبيضاء على ظهر الأرض».

▫ قال الذهبي: «قلتُ: هذا القول من عَبيدة هو مِعيار كمال الحبِّ، وهو أن يؤثر شَعْرة نبويَّة على كُلِّ ذهبٍ وفِضَّةٍ بأيدي الناس».

ومثل هذا يقولُه هذا الإمام بعد النبي ﷺ بخمسين سنة، فما الذي نقوله نحن في وقتنا لو وَجدنا بعض شَعْره بإسناد ثابت، أو شِسع نَعْل كان له، أو قُلامة ظُفر، أوْ شَقَفة من إناء شرب فيه. فلو بذل الغنيُّ مُعظمَ أموالِه في تحصيل شيءٍ من ذلك عنده، أكنتَ تعدُّه مُبذِّرًا أو سفيهًا؟ كَلَّا. فابذلْ مَالَك في زَوْرة مسجده الذي بني فيه بيده والسَّلامُ عليه عند حجْرَيه في بلده، والتذَّ بالنَّظر إلى أُحُدٍ وأَحِبَّه، فقد كان نبيُّك ﷺ يُحِبُّه،

بخمس ليال بناحية الساحل. انظر: «نزهة الفضلاء» (١/ ٤٩).

(١) «نزهة الفضلاء» (١/ ٢٧٦). انظر: الترجمة في «السير» (٣/ ٣٢٦- ٣٣١).

وتملأً بالحُلُولِ في رَوْضته ومقعَدِه، فلن تكون مؤمنًا حتى يكونَ هذا السيِّدُ أحبَّ إليكَ من نفسك وولدِك وأموالك والناس كلهم. وقبِّل حَجَرًا نَزَلَ من الجنَّة، وَضَعْ فَمَكَ لاثِمًا مكانًا قبَّلهُ سيد البشر بيقين، فَهَنَّاكَ الله بما أعطاك، فما فوق ذلك مفخرَ. ولو ظفرنا بالمِحجن الذي أشار به الرسول الله ﷺ إلى الحَجَرَ ثم قَبَّل محجنَه، لحُقَّ لنا أن نزدحمَ على ذلك المحجَن بالتقبيل والتبجيل. ونحن ندري بالضرورة أن تقبيل الحَجَر أرفعُ وأفضلُ من تقبيل محجَنه ونعله.

□ وقد كان ثابت البناني إذا رأى أنس بن مالك أخذ يده فقبَّلَها، ويقول: «يدٌ مَسَّتْ يدَ رسول الله ﷺ، فنحن نقول إذ فاتنا ذلك: حَجَرٌ معظَّمٌ بمنزلة يمين الله في الأرض مسَّته شفتا نبينا ﷺ لاثمًا له، فإذا فاتك الحجُّ وتلقَّيتَ الوفد فالتزم الحاجَّ وقبِّل فَمَه وقل: فمٌ مَسّ بالتقبيل حجَرًا قبَّله خليلي ﷺ»[1].

شيخ أهل الشام خالد بن مَعْدَان بن أبي كرب الحمصيُّ المشتاق إلى رسول الله ﷺ:

□ عن عَبْدة بنت خالد قالت: «قلَّما كان خالدٌ يأوي إلى فراشه إلَّا وهو يذكرُ شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، ثم يُسَمِّيهم ويقول: هم أصلي وفصلي، وإليهم يَحنُّ قلبي طال شوقي إليهم فعجِّل ربي قبضي إليك، حتى يغلبه النوم وهو في بعض ذلك»[2].

---

(١) انظر: «السير» (٤/ ٤٣- ٤٤).

(٢) «نزهة الفضلاء» (١/ ٤٣٩- ٤٤٠)، وانظر: ترجمة خالد في «السير» =

الإمام القدوة عالم البصرة عبد الله بن عون بن أرطبان يتمنى رؤية النبي ﷺ منامًا:

▫ عن بكّار بن محمد قال: «كان ابن عون يتمَنَّى أن يرى النبي ﷺ في النوم، فلم يره إلّا قبْل موته بيسير، فَسُرَّ بذلك سرورًا شديدًا، قال: «فنزل من درجته إلى المسجد فسقط، فأُصيبت رجلُه، فلم يزل يُعالجها حتى مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[1].

شوق الإمام الذهبي إلى النبي ﷺ:

▫ نقل الشيخ محيي الدين النووي: «أن أبا جعفر الترمذي جزم بطهارة شَعْر رسول الله ﷺ. وقد خالف في هذه المسألة جُمهورَ الأصحاب».

▫ قال الذهبي: «قلت: يتعيَّن على كل مسلم القطْعُ بطهارة ذلك، وقد ثبت أنه ﷺ لما حلقَ رأسَه، فَرَّقَ شعرَه المُطهَّر على أصحابه، إكرامًا لهم بذلك. فوا لهفى على تقبيل شعرةٍ منها»[2].

العلامة الثالثة: امتثال أوامره واجتناب نواهية[3]:

وإليك أمثلةِ من حياة الصحابة رضي الله عنهم وحرصهم على المسارعة إلى تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه.

(٤/ ٥٣٦- ٥٤١).

(١) المصدر السابق «نزهة الفضلاء» (١/ ٥٤٥).

(٢) المصدر السابق (٢/ ١٠٠٣- ١٠٠٤).

(٣) انظر: «علو الهمة في الاتباع ومجانبة الابتداع» و«حب النبي ﷺ» لفضل إلهي ظهير (ص٦٠- ٧٤) مُلَخَّصًا.

١- مسارعة قوم من الأنصار إلى تولية وجوههم نحو الكعبة وهم ركوع:

روى الإمام البخاري عن البراء ﵁ قال: «لما قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة صلّى نحو بيت المقدِس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان يحبّ أنْ يُوَجَّه إلى الكعبة، فأنزلَ الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ [البقرة: ١٤٤]. فَوُجِّه نحو الكعبة، وصلّى معه رجل العصر، ثم خرج فمرّ على قوم من الأنصار فقال: «هو يشهد أنه صلّى مع النبي ﷺ وأنّه قد وُجِّه إلى الكعبة».

فانحرفوا وهم ركوع في صلاة العصر»[(١)].

ما أسرعهم تأسيًا بالرسول الحبيب الكريم، صلوات ربي وسلامه عليه! سمعوا خبرًا عنه ﷺ فلم يتردّدوا في التمسّك به، بل لم ينتظروا رفع رؤوسهم من الركوع، وبادروا بالتوجه إلى حيث توجّه الحبيب الكريم ﷺ - إلى الكعبة المشرّفة- وهم ركوع.

٢- إكفاء الصحابة القدور وهي تفور باللحم عند استماعهم النداء، بتحريم لحوم الحمر الأهلية:

نُهي الصحابة ﵃ عن أشياء هوتها أنفسهم، ورغبوا فيها، فلم يكن منهم بعد نهي حبيبهم الكريم ﷺ عنها إلّا المسارعة إلى الابتعاد عنها. ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري عن أنس بن مالك ﵁ أنّ رسول الله ﷺ جاءه جاءٍ فقال: «أُكِلت الحُمُر».

فسكت. ثم أتاه الثانية فقال: «أُكلت الحُمُر».

---

(١) «صحيح البخاري» كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق...، حديث رقم (٧٢٥٢) (١٣/ ٢٣٢).

فسكت. ثم أتاه الثالثة فقال: «أُفنيت الحُمُر».

فأمر مناديًا فنادى في الناس: «إنّ الله ورسوله ينهيانكم عن لحومِ الحمر الأهلية».

فأُكفِئَتِ القدور وإنَّها لتفور باللحم»[1].

٣- جري الخمر في سكك المدينة عند إعلان تحريمها:

□ لم يكن ابتعاد أولئك الأبرار المحبّين الصّادقين للحبيب الكريم ﷺ عند النهي عما رغبوا فيه فحسب، بل تركوا أشياء كانوا قد تعوّدوا عليها منذ سنوات، بل كانوا قد ورثوها عن آبائهم، عن أنسٍ رضي الله عنه قال: «كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة رضي الله عنه، وكان خمرهم يومئذٍ الفضيح، فأمر رسول الله ﷺ، مناديًا ينادي: «ألا إنّ الخمر قد حرّمت».

قال: فقال لي أبو طلحة: «اخرج فاهرقها».

فخرجت فهرقتها. فجرت في سكك المدينة»[2].

□ فلم يكن هناك من المحبّين الصّادقين رضي الله عنهم إلَّا إراقة الخمر تنفيذًا لأمر رسول الله ﷺ، ولذا جرت في سكك المدينة. وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر: «وفيه إشارة إلى توارد من كانت عنده من المسلمين على إراقتها حتى جرت في الأزقة من كثرتها»[3].

---

(١) «صحيح البخاري» كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث رقم (٤١٩٩)، (٧/ ٤٦٧- ٤٦٨).

(٢) «صحيح البخاري» كتاب المظالم، باب صبّ الخمر في الطريق، حديث رقم (٢٤٦٤)، (٥/ ١١٢).

(٣) «فتح الباري» (١٠/ ٣٩).

□ وتم هذا كله من غير قيل وقال، وتردّد واستفسار، فقد روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: «فإني لقائم أسقي أبا طلحة وفلانًا وفلانًا إذ جاء رجل فقال: «وهل بلغكم الخبر؟»».

فقالوا: «وما ذاك؟».

قال: «حرّمت الخمر».

قالوا: «أهرق هذه القلال يا أنس».

قال: «فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل»[1].

يا له من استسلام مطلق، وانقياد كامل!

* وعلى هؤلاء الصّادقين ينطبق قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)﴾ [النور].

٤- مبادرة الصحابة إلى خلع نعالهم في الصلاة حينما رأوا النبي الكريم ﷺ يخلع نعليه:

لا يقتصر محبّ على تنفيذ أوامر حبيبه، بل يراقب بشوق حركاته وسكناته، ويلاحظ بدقة تغيرات وجهه وإشارات عيونه لعلّه يجد فيه شيئًا يحبّه حبيبه فيفعله، أو يعرف ما يبغضه حبيبه فيبتعد عنه.

وهكذا كان أولئك الأبرار المحبّون الصّادقون للحبيب المصطفى ﷺ. لم يقفوا عند امتثال أمره واجتناب نواهيه، بل كانوا يتابعون أفعاله،

---

(١) «صحيح البخاري» كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، جزء من حديث رقم (٤٦١٧)، (٨/ ٢٧٧).

ويلاحظون تصرفاته بحبّ وتقدير وشوق حرصًا على الاقتداء به، فإذا وجدوه ﷺ يفعل شيئًا سارعوا إلى فعله، وإذا رأوه ابتعد أو ترك شيئًا بادروا إلى الابتعاد عنه.

• ومن الشواهد الرائعة الدّالة على ذلك ما رواه الإمام أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ يُصلّي بأصحابه، إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره. فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم».

فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: **«ما حملكم على إلقائكم نعالكم؟»**.

قالوا: «رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا».

فقال رسول الله ﷺ: **«إنَّ جبريل عليه السلام أتاني فأخبرني أنَّ فيها قذرًا»**.

وقال: «إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر: فإنْ رأى في نعليه قذرًا أو أذى فليمسحه وليصلّ فيهما»[1].

الله أكبر! كم كانوا حريصين على المبادرة إلى التأسي به ﷺ، رضي الله عنهم وأرضاهم وجعلنا على دربهم.

٥- خلْع المرأة سواريها عند استماع تهديد النبي الكريم ﷺ:

لم يكن اتّباع النبي الكريم ﷺ من قبل الرجال فحسب، بل كان كذلك من المؤمنات الصادقات اللواتي أحببنه ﷺ. ومن الشواهد الدالة على ذلك ما رواه الإمام أبو داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «إنّ

---

(١) صحيح: رواه أبو داود في كتاب الصلاة -باب الصلاة في النعل (١/ ١٢٨) (ح٦٠٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

امرأة أتتْ رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مَسَكَتَان [١] غليظتان من ذهب، فقال: «**أتعطين زكاة هذا؟**».

قالت: «لا».

قال: «**أيسرّكِ أن يسوّركِ الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟**».

قال: فخلعتهما فألقتهما إلى رسول الله ﷺ، وقالت: هما لله عز وجل ولرسوله»[٢].

الله أكبر! لم تقتصر المرأة المؤمنة المحبّة للرسول الكريم ﷺ على امتثال أمره بدفع زكاة السوارين، بل تنازلت عنهما وقدّمَتْهما إلى رسول الله ﷺ صدقة لله عز وجل. -رضي الله عنها وأرضاها-.

٦- التصاق النساء بالجدار تنفيذًا لأمره ﷺ بالمشي في حافات الطريق:

ولا يظنّنَ أحد أن مثل تلك المسارعة إلى امتثال أمر الحبيب الكريم المصطفى عليه الصلاة والسلام من امرأة مؤمنة كان أمرًا نادرًا، أو حادثًا شاذًا. كلّا، ورب الكعبة! لقد عرف من نظر في سيَرهنّ أنّ هذا كان هو السائد فيهنّ. فلنسمع عنهنّ ما رواه الإمام أبو داود عن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد، فاختلط رجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله ﷺ: «**استأخرن؛ فإنَّه**

---

(١) «مَسَكتان»: تثنية مَسَكَة: وهي السِّوار. انظر: «غريب الحديث لابن الجوزي»، باب الميم مع السين (٢/ ٣٥٩).

(٢) «صحيح سنن أبي داود» كتاب الزكاة، باب الكنز ما هو؟ وزكاة الحلي، حديث رقم (١٣٨٢)، (١/ ٢٩١). حسّنه الشيخ الألباني. انظر: المرجع السابق (١/ ٢٩١).

ليس لكنَّ أن تَحْقُقْنَ [(١)] الطريق. عليكنَّ بحافات الطريق».

فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إنّ ثوبها يتعلّق بالجدار من لصوقها به» [(٢)].

شيخ الإسلام الصحابي الإمام القدوة عبد الله بن عمر سيد المُتَّبعين المحبين كامل الحب للحبيب ﷺ:

□ عن نافع مولى ابن عمر قال: «لو نظرت إلى ابن عمر إذا اتَّبَعَ رسول الله ﷺ لقُلتَ: هذا مجنون» [(٣)].

□ وعن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يتبع آثار رسول الله ﷺ في كلِّ مكانٍ صلَّى فيه، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصب في أصلها الماء لكيلا تَيْبَس» [(٤)].

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو تركْنا هذا البابَ للنساء**». قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات [(٥)].

□ وعن عبد الله بن عُبَيْد بن عُمَيْر، عن أبيه: «أنه تلا: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ [النساء: ٤١] فجعل ابن عمر يبكي حتى لِثقَت

---

(١) «تَحْقُقْنَ الطريق»: أي تركبن حقها وهو وسطها. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر»، مادة «حقق» (١/ ٤١٥).

(٢) «صحيح سنن أبي داود»، كتاب الأدب، باب في مشي النساء مع الرجال في الطريق، حديث رقم (٤٣٩٢)، (٣/ ٩٨٩).

(٣) انظر ترجمة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٠٣- ٢٣٩)، و«نزهة الفضلاء» (١/ ٣٥٥).

(٤) الهامش السابق.

(٥) الهامش السابق.

لحيته وجيبُه من دموعه، فأراد رجُلٌ أن يقول لأبي أَقْصِرْ، فقد آذيْتَ الشيخ»[١].

صاحب رسول الله ﷺ دِحْيَة بن خليفة الكَلْبِي ﷺ وعظيم اتباعه لرسول الله ﷺ:

□ عن منصور الكلبي: «أن دَحية خرج من المِزَّة إلى قَدْر قرية -عقبة من الفسطاط، وذلك ثلاثة أميالٍ في رمضان، ثم أفطر، وأفطر معه أناس، وكَرِه الفِطْر آخرون، فلما رجع إلى قريته، قال: والله لقد رأيتُ اليوم أمرًا ما كنتُ أظنُّ أني أراه: إن قومًا رغبوا عن هدي رسول الله ﷺ وأصحابه -يقول ذلك للذين صاموا- ثم قال عند ذلك: اللَّهم اقبضني إليك»[٢].

عالم المدينة الجليل الإمام شيخ الإسلام أبو الحارث ابن أبي ذئب وشدة اتباعه لرسول الله ﷺ:

• عن أبي حنيفة بن سِماك، حدثني ابن أبي ذئب عن المَقْبري عن أبي شريح أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن قُتِل له قتيل فهو بِخَيْر النَّظَرَيْن: إِنْ أحبَّ أخذ العَقل، وإِن أحبَّ فله القَوَد**». قلت لابن أبي ذئب: أتأخذ بهذا؟ فضرب صدري، وصاح كثيرًا، ونال مني، وقال: أُحدِّثك عن

---

(١) أخرجه ابن سعد (٤/ ١٦٢) من طريق موسىٰ بن مسعود بهذا الإسناد، وموسىٰ ابن مسعود -وهو أبو حذيفة النهدي- سيئ الحفظ، وباقي السند رجاله ثقات. وقوله: «حتىٰ لثقت لحيته» أي: ابتلت، يُقال: لثق الطائر: إذا ابتلّ ريشه.. انظر: «نزهة الفضلاء» (١/ ٣٥٥).

(٢) انظر ترجمة «دحية» ﷺ في «السير» (٢/ ٥٥٠- ٥٥٦)، و«نزهة الفضلاء» (١/ ١٩١).

رسول الله ﷺ وتقول: تأخذ به، نعم آخذ به، وذلك الفرْض عَلَيَّ، وعَلَى كُلِّ مَن سَمِعه. إن الله اختار محمدًا ﷺ من الناس فهداهُم به، وعلى يديْه، فعلى الخَلْق أن يتّبعوه طائعين أو داخِرين، لا مخرج لمسلم من ذلك»[١].

□ رحمة الله على ابن أبي ذئب الذي قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: «ما خلّف مثله. وقال عنه: هو أورع وأقولُ بالحق من مالك».

إمام الدنيا، وأمير المؤمنين في الحديث سفيان الثوري واتباعه الجميل لحبيبه ﷺ:

□ قال عبد الرحمن بن مهدي: «سمعتُ سفيان يقول: ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديث قطُّ إلَّا عملتُ به ولو مرّة»[٢].

شوق مالك بن أنس إمام دار الهجرة إلى رسول الله ﷺ:

□ قال مالك بن أنس إمام «دار الهجرة»: «ما بِتُّ ليلةً إلَّا رأيتَ رسول الله ﷺ»[٣].

حب إمام أهل السنة أحمد بن حنبل واتباعه للنبي ﷺ:

شيخ الإسلام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ يُضرَب به المثل في عظيم اتباعه وحُبِّه الكامل لرسول الله ﷺ، كيف لا وهو أمير المؤمنين المُقدَّم في الحديث.

---

(١) انظر ترجمته في «السير» (٧/ ١٣٩ - ١٤٩)، و«نزهة الفضلاء» (١/ ٥٧٤).
(٢) «نزهة الفضلاء» (١/ ٥٨٤)، وانظر ترجمة سفيان في «السير» (٧/ ٢٢٩ - ٢٧٩).
(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ٣١٧).

□ قال عبد الله بن أحمد: «رأيت أبي يأخذ شعرةً من شَعْر النبي ﷺ، فيضعُها على فيه يُقبِّلُها، وأحسبُ أني رأيتُه يضعها على عينه، ويغمِسُها في الماء ويشربه يستشفى به، ورأيته أخذ قَصْعَة النبي ﷺ فَغسلهَا في حُبِّ الماء ثم شرب فيها».

□ وقال المرُّوذي: «قال لي أحمد: ما كتبتُ حديثًا إلَّا وقد عملتُ به حتى مرَّ بي أن النبي ﷺ، احتجم وأعْطَى أبا طيْبَة دينارًا، فأعطيتُ الحَجَّام دينارًا حين احتجمتُ»[1].

□ يرحم الله أحمد بن أَبي الحواريّ ريحانة الشام وتلميذ الإمام أحمد القائل: «مَن عَمِل بلا اتباع سُنَّة فعملُهُ باطل».

شيخ علماء فاس في عصره الشيخ، اللمطي السجلماني يبكي عند ذكر رسول الله ﷺ:

□ «كان رَحِمَهُ اللهُ كثير التنويه بقدر مولانا محمد رسول الله ﷺ، ويحملُ الناس على شدة محبّته، ويُدْركَه عند ذكر ذلك البكاء وهو على كرسيِّ درسه وربما يطول»[2].

---

(١) «نزهة الفضلاء» (٢/ ٨١٦، ٨١٧) أخذًا من ترجمة الإمام أحمد في «السير» (١١/ ١٧٧- ٣٥٨).

(٢) «نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر» للشيخ محمد الطيب القادر (٤/ ٤٤١، ٤٤٢) نقلاً عن «المختار الصون من أعلام القرون» (٣/ ١٤٨٠) لمحمد بن حسن بن عقيل آل موسىٰ -طبع دار الأندلس الخضراء- جدة.

وصلاح الدين الأيوبي يبكي عند سماع الحديث النبوي:

□ كان رَحِمَهُ اللهُ شديد الحب لرسول الله ﷺ وشديد الشغف بسماع حديثه حتى أنه كان يسمعه بين الصَّفَّين، وكان يبكي عند سماعه لحديث رسول الله ﷺ»[1]..

إمَّـا تَـسَلْهُ عـنِ النبـي وقولـه ... فـإن دمـوعَ العـين عنـه جـواب

اتبّاع السُّنَّة وإنْ قلّ المساعد دأبُ الشيخ الطالب الأمين بن الطالب الحبيب الحرشي:

من علماء التكرور وكان غاية في العبادة وخاصة قيام الليل.

جاء في كتاب «فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور» للشيخ الطالب محمد البرتلي في ترجمة «الطالب الأمين»[2] أنه كان «كثير القيام بالسُّنَّة، ولقد رأيته يومًا خسفت الشمس وأرسل للناس يأتون للصلاة، فاعتذروا ولم يأته أحد فمضى وحده نحو المسجد يريد أن يصليها ومشيت معه، فلما دخلنا المسجد انجلت الشمس. ورأيته يخرج لصلاة الاستسقاء في بعض المرّات ما معه إلَّا نحو رجلَيْن أو ثلاثة، ويمرُّ بالجماعة الكثيرة ويدعوها للصلاة فلا يقوم معه أحد، وربما قام معه واحد أو اثنان. ويصلي على النبي ﷺ إذا جلس قبل أن يتكلم لئلا ينساها في ذلك المجلس، وكان أول دهره يصلي صلاة التراويح في بيته، حتى إذا رآها ضعُفت في المسجد، فداوم عليها حتى قبضه الله تعالى».

---

(١) انظر «سيرة صلاح الدين» لابن شدائد، و«أخبار الدولتَيْن» لأبي شامة، وسيأتي في علو همة القادة.

(٢) «فتح الشكور» (ص٦٤- ٦٧)، وعنه «المختار المصون» (٣/ ١٤٩٩).

العلامة الرابعة: تمنِّي رؤيته والشوق إلى لقائه ﷺ:

• هذه العلامة نصّ عليها رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «**مِن أَشَدِّ أُمَّتي لي حُبًّا ناس يكونون بعدي يودُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله**»[(١)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد في يده ليأتينَّ علي أحدكم يوم لا يراني، ثُمَّ لأن يراني معهم أحبُّ إليه من أهله وماله**»[(٢)].

• روى البخاري بإسناده عن حماد بن زيد، ثنا ثابت عن أنس، قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشّاهُ الكرب، فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أبتاه. فقال لها: «**ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم**»، فلما مات قالت: وا أبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه من جنّة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. فلما دُفن قالت فاطمة رضي الله عنها: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟».

□ وعند أحمد: «عن أنس: فلما دُفن النبي ﷺ قالت فاطمة: «يا أنس أطابت أنفُسُكم أن دفنتم رسول الله ﷺ في التراب ورجعتم؟!»[(٣)].

□ وعند ابن ماجه: «قال حمّاد: فكان ثابت إذا حدّث بهذا الحديث

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها -باب فيمن يودُّ رؤية النبي ﷺ بأهله وماله (٨/ ١٤٥).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»- كتاب الفضائل- باب فضل النظر إلى النبي ﷺ وتمنِّيه (٧/ ٩٦).

(٣) رواه البخاري (٦/ ١٨)، وأحمد (٣/ ٢٠٤)، ورواه ابن ماجه مختصراً، وابن عساكر وأبو يعلى (٣٣٧٩) و(٣٣٨٠) نحوه. وأخرج ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣١١) عن أنس نحوه.

بكى حتى تختلف أضلاعه».

□ قال ابن كثير: «وهذا لا يُعَدُّ نياحة بل هو من باب ذكر فضائله الحق عليه أفضل الصلاة والسلام».

□ وعن أنس رضي الله عنه قال: «لمّا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيءٍ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء».

□ وقال: «وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا»[(١)].

✍ إن كان الجذع وهو جماد يبكي على فراقه لما تركه وخطب على المنبر، أفلا يبكي الصحابة حزنًا عليه وشوقًا إليه؟!!!

حَنَّ إليه جِذْع وهو جمادٌ ... فعجيبٌ أَنْ تجمُدَ الأحياءُ

• عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشدُّ أمتي لي حُبًّا قومٌ يكونون بعدي، يودُّ أحُدهم أنه فَقَد أهلَهُ ومالَهُ وأنَّه رآني»[(٢)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ أُناسًا من أُمَّتي يأتونَ بعدي، يَوَدُّ أحدُهم لو اشترى رؤيتي بأهله ومَالِه»**[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي، وابن ماجه. والبزار واللفظ له. وقال الترمذي: هذا حديث غريب. وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٢٢٩): وإسناده على شرط الشيخين.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٤١٨)، و«صحيح الجامع» (١٠٠٣).

(٣) حسن: أخرجه الحاكم عن أبي هريرة، وحسَّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٦٧٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٠٠٨).

✍ والله يعلم مِنَّا أنا نشتري رؤيته بأهلنا وأموالنا، فاللَّهم ازرقنا شرف محبَّته..

مكانُك من قلبي وعيني كلاهما ... مكانُ السُّوَيدَا من فؤادي وأقربُ
وذِكركُ في نفسي وإن شفَّها الظَّما ... ألذُّ من الماء الزُّلالِ وأعذبُ

✍ نعم وألف نعم:

دماءٌ مَزَجْناها بحُبِّ محمدٍ ... وأكبادُنا من شوقها تتوقَّدُ

✍ نعم وألف نعم:

قصرتُ عليكَ العُمْرَ وهو قصيرُ ... ونَما لَبْتُ فيك الشوقَ وهو قديرُ
وأنشأتُ في صدري لِحُسْنِك دولةً ... لها الحُبُّ جُنْدٌ والولاءُ سفيرُ
فؤادي لها عَرْشٌ وأنت مَلِيكُهُ ... ودونَك من تلك الضُّلُوع ستورُ
وما انتقَضَتْ يومًا عليك جوانِحِي ... ولا حَلَّ في قلبي سواك أميرُ

✍ نعم وألف نعم:

إِنْ كنتُ أَحببتُ بعد الله مِثلَكَ في ... بَدْوٍ وحَضَرٍ ومِنْ عُرْب ومِن عَجَمِ
فلا اشتفى ناظري مِن منظَرٍ حَسَنٍ ... ولا تفوَّهَ بالقول السَّدِيدِ فمي [(١)]

العلامة الخامسة: الإكثارُ من ذكره ﷺ:

فمن أحبَّ شيئًا أكثر من ذِكره، ودوام الذكر سببٌ لدوام المحبَّة - وزيادتها ونمائها. والمقصودُ بالذكر هنا الذكرُ المشروع وعلى رأسه الصلاة والسلام عليه ﷺ امتثالًا لِأَمر الله تعالى الوارد في قوله تعالى:

(١) مقامات عائض القرني -«المقامة النبوية» (ص٥٣)- طبع مكتبة الصحابة- الإمارات.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

فذكره شرع لإظهار محبته واحترامه وتوقيره وتعظيمه ﷺ وهذا من علامات محبته، ولقد ورد أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا بعد وفاته ﷺ لا يذكرونه إلَّا خشعوا واقشعرَّت جلودهم وبكوا، وكذلك كان كثير من التابعين من يفعلُ ذلك محبَّةً له وشوقًا إليه[(١)].

□ عن عاصم بن محمد عن أبيه قال: «ما سمعتُ ابن عمر رضي الله عنهما ذاكرًا رسول الله ﷺ إلَّا ابتدرت عيناه تبكيان»[(٢)].

□ وعن المثنى بن سعيد الذراع، قال: «سمعتُ أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: ما من ليلةٍ إلَّا وأنا أرى فيها حبيبي، ثم يبكي»[(٣)].

□ ويدخُلُ ضمن الذكر المشروع تعدادُ فضائله وخصائصه وما وهبه الله من الصفات والأخلاق والخلال الفاضلة، وما أكرمه به من المعجزات والدلائل؛ وذلك من أجل التعرُّف على مكانته ومنزلته والتأسِّي بصفاته وأخلاقه وتعريف الناس وتذكيرهم بذلك ليزدادوا إيمانًا ومحبَّةً له ﷺ ولكي يتأسَّوْا به»[(٤)].

السلام عليك أيها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاته:

□ للإمام ابن القيم ذوقٌ عالٍ، وهو يُبيِّنُ الحكمة في السلام على النبي

---

(١) «الشفا» للقاضي عياض (٢/ ٥٧٣).

(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٤/ ١٦٨).

(٣) المصدر نفسه (٧/ ٢٠).

(٤) «حقوق النبي على أمته» (ص٣١٦- ٣١٧).

ﷺ في التشهُّد بصيغة الخطاب، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا السلام عليه، فأتى بلفظِ الحاضرِ المُخَاطَب تنزيلًا له منزلةَ المُواجَه لحكمةٍ بديعةٍ جدًّا؛ وهي أنَّه لما كان أحبَّ إلى المؤمن من نفسِه التي بيْن جنبيْه، وأَوْلَى به منها، وأقربَ، وكانت حقيقتُه الذِّهنيةُ ومثالُه العِلميُّ موجودًا في قلبه بحيث لا يَغيبُ عنه إلَّا شخصه كما قال القائل:

مِثالُك في عَيني وذِكرُك في فَمي ... ومَثْوَاك في قلبي فأين تغيبُ!

ومَن كان بهذا الحال فهو الحاضرُ حقًّا، وغيرُه -وإن كان حاضرًا للعيان- فهو غائبٌ عن الجَنان، فكان خِطابُه خطابَ المواجهةِ والحضورِ بالسلام عليه أَوْلَى من سلامِ الغَيبة، تنزيلًا له منزلةَ المواجَهِ المعايَنِ لقربه من القلب، وحلوله في جميعِ أجزائه بحيث لا يبقى في القلب جزءٌ إلَّا ومحبَّتُه وذِكرُه فيه، كما قيل: «لو شُقَّ عن قلبي يُرى وسطَه ذكرُك»، ولا يُستنكر استيلاءُ المحبوبِ على قلب المحبِّ وغَلبتُه عليه حتى كأنه يراه، ولهذا تجدُهم في خطابهم لمحبوبهم إنما يعتمدون خطابَ الحضور والمشاهَدة مع غايةِ البُعد العياني لكمالِ القرب الرُّوحي، فلم يَمْنَعْهم بُعْدُ الأشباحِ عن محادثةِ الأرواح ومخاطبتها، ومَن كَثُفت طباعُه فهو عن هذا كلِّه بمعزل، وإنه لَيَبلغُ الحبُّ ببعضِ أهلِهِ أن يَرى محبوبَه في القرب إليه بمنزله رُوحه التي لا شيء أدنى إليه منها كما قيل:

يا مقيمًا مدى الزمانِ بقلبي ... وبعيدًا عن ناظري وعياني

أنت رُوحي إن كنتُ لستُ أراها ... فهيَ أدْنى إليَّ من كلِّ داني

□ وقال آخر:

يا ثاويًا بين الجوانح والحَشَا منِّي وإنْ بَعُدَتْ عَلَيَّ ديارهُ

□ وإنه لَيَلْطُفُ شأنُ المحبَّة حتى يرى أنه أَدْنَى إليه وأقربُ من رُوحه، ولي من أبياتٍ تلمُّ بذلك:

وأدْنَى إلى الصَّبِّ مِن نفسِهِ وإنْ كانَ عن عينه نائيا
ومَن كان مع حُبِّهِ هكذا فأَنَّى يكون له ساليا

ثم يلطُفُ شأْنها ويَقهرُ سلطانُها حتى يغيب المحبُّ بمحبوبهِ عن نفسِه، فلا يشعر إلَّا بمحبوبه ولا يشعر بنفسه»[1].

لا تنقطع عن نبيِّك الكريم ﷺ ولو ثانيةً من الزمان.. وعِش فيه أبدًا:

□ قال الرافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عجيبٌ أن يجهلَ المسلمون حِكمةَ ذِكرِ النبي العظيم ﷺ خمسَ مراتٍ في الأذان كلَّ يومٍ، يُنادَى باسمه الشريف ملءَ الجوِّ؛ ثم حكمةَ ذِكرِه في كلِّ صلاةٍ من الفريضة والسُّنَّة والنافلة، يُهمَس باسمِه الكريم ملءَ النَّفْس! وهل الحكمةُ من ذلك إلَّا الفرضُ عليهم ألَّا ينقطعوا من نبيِّهم ولا يومًا واحدًا من التاريخ، ولا جُزْءً وحِدًا من اليوم، فيمتد الزمنُ مهما امتدَّ والإسلامُ كأنه على أَوَّله، وكأَنَّه في يومِهِ لا في دَهْرٍ بعيد؛ والمسلمُ كأنه مع نبيِّه بين يديْه تبعثُه رُوح الرسالة، ويَسطعُ في نفسِه إشراقُ النُّبُوَّة، فيكونُ دائمًا في أمره كالمُسلِم الأوَّل الذي غَيَّر وجه الأرض، ويظهرُ هذا المسلمُ الأولُ بأخلاقه وفضائله وَحَمِيَّته

---

(١) «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (٢/ ١٩١- ١٩٢)- مكتبة ابن تيمية- القاهرة.

في كلِّ بقعةٍ من الدنيا مكانَ إنسانِ هذه البقعة، لا كما نرى اليوم؛ فإن كلَّ أرضٍ إسلاميةٍ يكادُ لا يظهر فيها إلَّا إنسانُها التاريخيُّ بجهله وخرافاتِه وما وَرِثَ مِن القِدَم؛ فهنا المسلمُ الفرعوني، وفي ناحيةٍ المسلمُ الوثني، وفي بلدٍ المسلمُ المجوسي، وفي جهةٍ المسلمُ المعطَّل.. وما يريدُ الإسلامُ إلَّا نفسَ المسلمِ الإنساني.

✍ أيها المسلم!.

لا تنقطعْ من نبيِّك العظيم، وعِشْ فيه أبدًا، واجعَلْه مَثَلَكَ الأعْلَى؛ وحين تذكرُه في كل وقت فكُن كأنك بين يديْه؛ كنْ دائمًا كالمسلم الأول؛ كنْ دائمًا ابنَ المُعْجِزَة..

أُحَيْبابَ قلبي هل سواكم لِعِلَّتي ... طبيبٌ بداءِ الهائمين خَبيرُ؟!

جيوشُ هُدَاكمُ كلُّ لَمْحَةِ ناظِرٍ ... على حِضنِ قلبي بالغرام تُغيرُ

ودَمْعي غزيرُ السَّكْب في ... فكيفَ أَكُفُّ الدَّمْعَ وهوَ غزيرُ!

وإن تباريحي بكم وصَبَابتي ... لَهُنَّ رَواحٌ في الحشا وبُكورُ

أَحِنُّ إذا غَنَّت حمائِم رَوْضِكم ... وينزِعُ قلبي نحوَكم ويَطيرُ

عَدِمنا على الدنيا وجودَ نَظيركُم ... لقدْ قلَّ مَوْجودٌ وعَزَّ نظيرُ

وكيف يسامَى خيرُ مَن وطئ ... وفي كل باع عن عُلاكَ قُصورُ

وكلُّ شريفٍ عندكم متواضِعٌ ... وكُلُّ عظيم القَرْيَتين حقيرُ

إذا ذُكر ارتاحتْ قلوبٌ لذكركم ... وطابتْ نفوسٌ وانشَرَحْنَ صدورُ

تَضيقُ بنا الدنيا إذا غبتُمُ عنا:

العيشُ مع محمد ﷺ يَسكُبُ في القلوب الطاهرةِ أجملَ ما يُسكَب..

فأيُّ طمأنينةٍ وأيُّ سكينةٍ يُفيضُها على القلب؟! وأيُّ ثقةٍ في الحق والخيرِ والصلاح؟! وأيُّ قوةٍ واستعلاءٍ على الواقع الصغير يسكبُها في الضمير؟!.

العيشُ مع محمدٍ رسول الله ﷺ وسُنَّتِه نعمةٌ ترفعُ العمرَ وتُباركه وتُزكِّيه، يَعيشُ المسلمُ هادئَ النفس.. مطمئنَّ السريرة، قريرَ الضمير، في ملاذٍ أمين، ونجوةٍ من الهواجس والوساوسِ والشياطين.. فعِشْ معه ﷺ، وفيه، ولا تَغِبْ عنه طرفةَ عين..

تَضيقُ بنا الدُّنْيَا إذا غِبْتُمُو عَنَّا ... وَتَزهَقُ بالأشواقِ أرواحُنا مِنَّا
بعادكمُ مَوْتٌ وقُرْبُكُمو حَيَا ... وإنْ غِبْتمو عَنَّا ولَوْ نَفَسًا مِتْنَا
نعيشُ بِذِكْراكُمْ إذا لَمْ نَراكُمُو ... ألَا إنَّ تِذْكَارَ الأَحِبَّةِ يُنْعِشْنَا
يُحَرِّكُنَا ذِكْرُ الأحاديثِ عَنْكُمُو ... ولولا هَواكُم في الحَشَا ما تَحَرَّكْنَا
ولولا مَعَانِيكم تَرَاها قلوبُنا ... إذا نحنُ أيقاظٌ وفِي الليل إنْ نِمْنَا
نموتُ أسًى من بُعْدِكُم وصبَابَةً ... ولَكنَّ في المعنى مَعَانِيكُمُو مَعْنَا
إذَا لم تَذُقْ ما ذاقتِ النَّاسُ فِي ... فَبِالله يا خاليَ الحَشَا لا تُعَنِّفْنَا
أما تَنْظُرُ الطَّيْرَ المُقَفَّصَ يا فتَى ... إذَا ذَكَر الأوطانَ حَنَّ إلى
وَفَرَّجَ بالتَّغْرِيدِ مَا في فُؤادِهِ ... فيُفْلِقُ أربابَ القُلوبِ إذا غَنَّى
كذلكَ أرواحُ المُحِبِّين يا فتَى ... تُهزْهِزُها الأشواقُ لنبيِّنا الأسْنَى

□ «فسبحان مَن جَعَل الرسولَ ﷺ لأدواءِ القلوب شافيًا، وإلى الإيمان وحقائقه مناديًا، وإلى الحياة الأبديَّةِ والنعيمِ المقيمِ داعيًا، وإلى طريق الرشاد هاديًا.. لقد أسمع منادي الإيمان ﷺ لو صادف آذانًا

واعية، وشفت مواعظُ القرآن لو وافقت قلوبًا خالية، ولكن عَصَفَتْ على القلوب أَهوِيةُ الشبهاتِ والشهوات، فأطفأت مصابيحَها، وتمكَّنت منها أيدي الغفلة والجهالة فأغلقت أبوابَ رُشدِها وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبُها فلم ينفعْ فيها الكلام، وسَكِرت بشهوات الغَيِّ وشبهاتِ الباطل، فلم تُصْغِ إلى الملام، ووُعِظت بمواعظَ أنكى فيها من الأسِنَّة والسِّهام، ولكن ماتت في بحرِ الجهل والغفلة، وأَسْرِ الهوى والشهوة، وما لِجُرحٍ بميت إيلام»[١].

العلامة السادسة: النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وسيأتي في فصل: «علو الهمة في النصيحة».

العلامة السابعة: تعلُّم القرآن وتعلُّمُ سنته وإحياء المهجور منها.

وسيأتي في فصل: «علو الهمة في تلاوة القرآن وتدبره».

العلامة الثامنة: حب آل بيته ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن:

وحُبُّ مَن أحَبَّه النبي بأبي هو وأمي ﷺ:

يدخل أولًا وقبل كل شيءٍ محبة آلِهِ ﷺ.

□ قال البيهقي: «ودخل في جملة محبته ﷺ حب آله»[٢].

«وإن من أصول أهل السُّنَّة والجماعة أنهم يُحبُّون أهل بيت رسول الله ﷺ، ويتوَلَّوْنهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ»[٣].

---

(١) «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية (ص٦٨- ٧٠).

(٢) «شعب الإيمان» للبيهقي (١/ ٢٨٢).

(٣) «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (٣/ ٤٠٧).

• عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «قام رسول الله ﷺ فينا خطيبًا بماء يدعى «خما» بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكَّر، ثم قال: **«أمّا بعد ألا أيُّهَا الناس، فإنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم ثقلَيْن: أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»**، فحثّ على كتاب الله ورغَّب فيه.

ثم قال: **«وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»**. فقيل لزيد: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده.

قيل: ومن هم؟ قال: آل عليّ، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس. قيل: كل هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال: نعم»[(١)].

• وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الله لما أنزل عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب].

سأل الصحابةُ النبيَّ ﷺ كيف يُصَلُّون عليه فقال: **«قولوا: اللَّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صلَّيت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللَّهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»**[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»- كتاب فضائل الصحابة- باب فضائل عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه (٧/ ١٢٢، ١٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١١/ ١٥٢) (ح٦٣٥٧)- كتاب الدعوات، باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ وأخرجه مسلم -كتاب الصلاة، باب الصلاة علىٰ النبي =

فالصلاة على النبي ﷺ حقٌّ له ولآله دون سائر أمته»[١].

«فآل بيت رسول الله ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها، فإن الله جعل لهم حقًّا في الخمس والفيء وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ﷺ»[٢].

«فالصلاة على آله هي من تمام الصلاة عليه وتوابعها؛ لأن ذلك مما تقرُّ به عينه، ويزيده الله به شرفًا وعُلُوًّا، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا»[٣].

«وكذلك علينا احترامهم وإكرامهم والإحسان إليهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيتٍ وُجِد على وجه الأرض فخرًا وحسبًا ونسبًا.

ولا سيما إذا كانوا مُتَّبعين للسُّنَّة النبوية الصحيحة الواضحة الجليّة كما كان سلفهم كالعبّاس وبنيه، وعليّ وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين»[٤].

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وآل محمد ﷺ هم الذين حرمت عليهم الصدقة هكذا قال الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرها من العلماء»[٥]،[٦].

ﷺ بعد التشهد (٢/ ١٦).

(١) «جلاء الأفهام» لابن قيم الجوزية.

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٤٠٧).

(٣) «جلاء الأفهام» (ص١٧٥).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١١٣).

(٥) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ٤٠٧).

(٦) قال ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ- : «واختُلِف في آل النبي ﷺ علىٰ أربعة =

□ قال أبو بكر الصديق ﷺ: «ارقبوا [(١)] محمدًا ﷺ في أهل بيته»[(٢)].

أقوال:
القول الأول: هم الذين حُرِّمت عليهم الصدقة وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء:
أحدها: أنهم بنو هاشم، وبنو المطلب، وهذا مذهب الشافعي وأحمد في رواية عنه.
والثاني: أنهم بنو هاشم خاصة، وهذا مذهب أبي حنيفة، والرواية عن أحمد، واختيار ابن القاسم صاحب مالك.
والثالث: أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلىٰ غالب، ويدخل فيهم بنو المطلب، وبنو أمية، وبنو نوفل، ومن فوقهم إلىٰ بني غالب، وهذا اختيار أشهب من أصحاب مالك حكاه صاحب «الجواهر» عنه، وحكاه اللخمي في «التبصرة» عن أصبغ، ولم يحكه عن أشهب. وهذا القول في الآل أعني – أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة- هو منصوص الشافعي وأحمد والأكثرين وهو اختيار جمهور أصحاب أحمد والشافعي.
القول الثاني: أن آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة، حكاه ابن عبد البر في «التمهيد».
القول الثالث: أن آله ﷺ أتباعه إلىٰ يوم القيامة، حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم، وأقدمُ من رُوِي عنه هذا القول جابر بن عبد الله، ذكره البيهقي عنه، ورواه عن سفيان الثوري وغيره، واختاره بعض أصحاب الشافعي. حكاه عنه أبو الطيب الطبري في تعليقه، ورجّحه الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم واختاره الأزهري.
القول الرابع: أن آله ﷺ هم الأتقياء من أُمّته حكاه حسين والراغب وجماعة.
ثم ذكر رَحِمَهُ اللهُ حُجَجَ هذه الأقوال، وبيّن ما فيها من الصحيح والضعيف إلىٰ أن قال: «والصحيح هو القول الأول، ويليه القول الثاني، أما القول الثالث والرابع فضعيفان «جلاء الأفهام» (ص١٦٤- ١٧٧).

(١) ارقبوا: المراقبة للشيء: المحافظة عليه، يقول: احفظه فيهم فلا تُسيئوا إليهم..» «فتح الباري» (٧/ ٧٩).
(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧/ ٧٨) (ح٣٧١٣)- كتاب فضائل الصحابة- باب مناقب قرابة الرسول ﷺ.

□ وعنه أيضًا أنه قال لعليٍّ رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحبُّ إليّ أن أصل من قرابتي»(١).

□ وعن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال: «يا فاطمة، والله ما رأيت أحدًا أحبَّ إلى رسول الله ﷺ منك، والله ما كان أحدٌ من الناس بعد أبيك أحب إليَّ منك»(٢).

□ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لما أُسِرَ الأسارى يوم بدر أُسِرَ العباس فيمن أُسِرَ، أَسَرَه رجل من الأنصار، قال: وقد أوعدته الأنصار أن يقتلوه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**إني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه**». قال عمر: أفآتيهم؟ قال: نعم. فأتى عمر الأنصار فقال لهم: أرسلوا العبّاس، فقالوا: لا والله لا نرسله، فقال لهم عمر: فإن كان لرسول الله رِضَى؟ قالوا: فإن كان له رضى فخذه، فأخذه عمر. فلما صار في يده قال له عمر: يا عباسُ أَسْلِم، فوالله لَئِن تُسْلِم أحبُّ إليَّ مِن أن يسلم الخَطّابُ وما ذاك إلّا لما رأيتُ رسول الله يعجبه إسلامك. قال: واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر فقال أبو بكر: عشيرتك فأرسلهم، واستشار عمر فقال: اقتلهم ففاداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] »(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧/ ٧٧، ٧٨) (ح٣٧١٢)- كتاب فضائل الصحابة- باب مناقب قرابة الرسول ﷺ، وأخرجه مسلم في «صحيحه» (٥/ ١٥٥، ١٥٦)- كتاب الجهاد والسير- باب قول النبي ﷺ: «**لا نورث وما تركناه صدقة**».

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٥٥)، وانظر «كنز العمال» (٧/ ١١١).

(٣) صحيح: رواه الحاكم في «المستدرك»، وابن مردويْه، وقال الحاكم في «صحيحه»: هذا حديث صحيح ولم يخرِّجاه.. انظر: «البداية والنهاية» (٣/ ٢٩٨- ٢٩٩).

• والله إنا نُحبُّ آل رسول الله ﷺ أكثر من حُبِّنا لأهلينا وقرابتنا وذوينا نحب عليًّا رضي الله عنه لحب رسول الله ﷺ إياه وقرابته من رسول الله ﷺ عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطِينَّ هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**» قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم، أيُّهم يُعطَاها؟ فلما أصبح الناسُ غدَوا على رسول الله ﷺ، كُلُّهم يرجو أن يُعْطاها، فقال: «**أين علي ابن أبي طالب؟**» فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيْه. قال: فأرسلوا إليه فأتى به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيْه ودَعَا له، فبرأ حتى كأنه لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الراية، فقال عليٌّ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «**انفُذ على رسلك حتى تنزَل بساحتهم، ثم ادْعُهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقِّ الله فيهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم**»[١].

والذي نفسي بيده إنا لنحب فاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، وكذا جعفر والعباس رضي الله عنهما أكثر من حُبِّنَا لأهلينا وذوينا:

• قال رسول الله ﷺ: «**ابنايَ هذان الحسنُ والحُسَيْن سَيِّدَا شباب أهل الجنة، وأبوهما خيرٌ منهما**»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦)، والنسائي في «فضائل الصحابة»، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٣٣)، وفي «فضائل الصحابة» (١٠٣٧)، والنسائي في «الخصائص» (١٦)، وأبو يعلىٰ (١/ ٢٩١، ٢٩٢)، وفي الباب عن أبي هريرة عند مسلم، وأحمد، والنسائي في «الخصائص»، وعن سلمة بن الأكوع رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح: رواه ابن عساكر والحاكم عن علي، وعن ابن عمر، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (٧٩٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٤٧).

• وقال ﷺ: «أتاني جبريل، فبشَّرني أن الحسن والحُسَيْن سيِّدَا شباب أهل الجنة»(١).

• وقال رسول الله ﷺ: «أتاني مَلَكٌ فسلَّمَ عليَّ - نزلَ من السماء، لم ينزل قبلَها- فبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»(٢).

• وقال ﷺ: «إن ابْنيَّ هذيْن ريحانتاي من الدنيا»(٣).

• وقال ﷺ: «إن الحسن والحُسَيْن ريحانتايَ من الدنيا»(٤).

• وقال ﷺ: «من أحبَّ الحسن والحسين، فقد أحبَّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»(٥).

• وقال رسول الله ﷺ: «هذان ابنايَ وابنا بِنتي، اللَّهم إني أُحُبُّهما، فأَحِبَّهما وأَحِبَّ من يُحِبُّهما»(٦).

---

(١) صحيح: رواه ابن سعد عن حذيفة، وكذا رواه أحمد في «مسنده»، وصحّحه الألباني في «الصحيحة» (٧٩٦٠)، و«صحيح الجامع» (٦٣).

(٢) صحيح: رواه ابن عساكر عن حذيفة، وكذا رواه أحمد، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٩٦٠)، و«صحيح الجامع» (٧٩).

(٣) صحيح: رواه ابن عدي، وابن عساكر عن أبي بكرة، ورواه أحمد، والبخاري، والترمذي عن ابن عمر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٦٤)، و«صحيح الجامع» (١٥٢٩).

(٤) صحيح: رواه الترمذي عن ابن عمر، والنسائي عن أنس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٦٤)، و«صحيح الجامع» (١٦٠٠).

(٥) حسن: رواه أحمد، وابن ماجه، والحاكم عن أبي هريرة، وحسّنه الألباني في «أحكام الجنائز» (١٠١)، و«صحيح الجامع» (٥٩٥٤).

(٦) حسن: رواه الترمذي، وابن حبان عن أسامة بن زيد، وحسّنه الألباني في «تخريج =

• وقال رسول الله ﷺ: «**عَمِّي وصِنْوُ** [(١)] **أبي العبّاسُ**»[(٢)].

• وقال ﷺ: «**من آذى العبَّاس فقد آذاني، إنما عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أبيه**»[(٣)].

• وقال رسول الله ﷺ: «**حمزة سيد الشهداء يوم القيامة**»[(٤)].

• وقال ﷺ: «**حمزةُ بنُ عبد المطلب أخي من الرَّضاعة**»[(٥)].

• وقال رسول الله ﷺ: «**أما أنت يا جعفرُ فأشبهَ خَلْقَكَ خَلْقي وأشبه خُلُقِي خُلُقك. وأنت مني وشجرتي** [(٦)]**، وأما أنت يا علي فخَتَني** [(٧)] **وأبو ولَدَيَّ، وأنا منكَ وأنت مني، وأما أنت يا زيدُ، فمولايَ ومِنِّي وإليَّ، وأحبُّ القوم إليَّ**»[(٨)].

المشكاة» (٦١٥٦)، و«صحيح الجامع» (٧٠٠٣).

(١) أي: مِثله.

(٢) صحيح: رواه أبو بكر في «الغيلانيات» عن عمر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٠٦)، و«صحيح الجامع» (٤١٠٤).

(٣) حسن: رواه ابن عساكر عن ابن عبّاس، والنسائي والحاكم عن عبد المطلب، وابن سعد عن أبي مجلز، وحسّنه الألباني في «تخريج المشكاة» (٣١٥٦)، و«صحيح الجامع» (٥٩٢٢).

(٤) صحيح: رواه ابن سعد عن ابن عباس وأم سلمة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٥٧).

(٥) صحيح: رواه الشيرازي في «الألقاب» عن جابر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٧٤)، و«صحيح الجامع» (٣١٥٨).

(٦) أي: تابع لي.

(٧) أي: زوج ابنتي.

(٨) صحيح: رواه أحمد، والطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك» عن أسامة =

• وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحبَّ عَلِيًّا فقد أَحَبَّني، ومن أبغض عليًّا فقد أبغضني**»[١].

• وصح أن النبي ﷺ جلَّلَ فاطمة وزوجَها وابنيهما بكساء، وقال: «**اللَّهم هؤلاء أهل بيتي، اللَّهم فأذهبْ عنهم الرِّجْسَ وطهِّرهم تطهيرًا**».

□ عن الشعبي، قال: «لما مَرضتْ فاطمةُ، أتَى أبو بكر فاستأذن، قال علي: يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذن عليك. فقالت: أتُحِبُّ أن آذن له. قال: نعم. قال: فأذِنت له، فدخل عليها يترضَّاها، وقال: والله ما تركتُ الدارَ والمالَ والأهلَ والعشيرةَ إلَّا ابتغاء مرضاةِ الله ورسوله ومرضاتكم أهل البيت. قال: ثم ترضَّاها حتى رَضِيَتْ»[٢].

وصحت هذه القصة:

□ عن الحُسَيْن قال: «صعدت المنبرَ إلى عمر [٣]، فقلتُ: انزِلْ عن منبر أبي [٤]، واذهب إلى منبر أبيك. فقال: إن أبي لم يكن له منبر! فأقعدني معه، فلما نزل، قال: أي بُنَيَّ مَن علَّمكَ هذا؟ قلتُ: ما عَلَّمنِيه أحد. قال:

ابن زيد، والبخاري في «التاريخ». وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٥٠)، و«صحيح الجامع» (١٣٤٨).

(١) صحيح: رواه الحاكم عن سلمان، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٩٩)، و«صحيح الجامع» (٥٩٦٣).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٢٧)، وإسناده صحيح، لكن مُرسَل، وذكره الحافظ في «الفتح» (٦/ ١٣٩)، ونسبه إلى البيهقي وقال: وهو وإنْ كان مُرْسلاً فإسناده إلى الشعبي صحيح.

(٣) أي بعد موت النبي ﷺ.

(٤) يعني منبر رسول الله ﷺ.

أيْ بنيَّ! وهل أنبتَ على رؤوسنا الشعر إلَّا الله ثم أنتم، ووضع على رأسه، وقال: أي بنيَّ! لو جعلتَ تأتينا وتغشانا»[١].

□ وروى جعفر بن محمد، عن أبيه، أن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل للحُسَيْن مثل عطاء عليٍّ، خمسةَ آلاف»[٢].

□ وعن الزهري: «أن عُمر كسا أبناء الصحابة؛ ولم يكنْ في ذلك ما يصلُحُ للحسن والحُسَيْن؛ فبعث إلى اليمن، فأُتِي بكسوةٍ لهما، فقال: الآن طابَتْ نفسي»[٣].

□ وعن العَيْزار بن حُرَيث، قال: «بينا عمرو بن العاص في ظلِّ الكعبة، إذْ رأى الحسينَ، فقال: هذا أحبُّ أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم»[٤].

□ وعن عبد الرحمن الهمْداني قال: «دخل أبو الطُّفَيل[٥] على معاوية، فقال: ما أبقى لك الدهر مِن ثُكْلِك عليًّا؟ قال: ثُكل العجوز المِقْلات[٦] والشيخ الرَّقُوب. قال: فكيف حبُّك له؟ قال: حبُّ أمِّ موسى لموسى، وإلى الله أشكو التقصير»[٧].

---

(١) إسنادها صحيح: أخرجها الخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ١٤١)، وذكرها الحافظ في «الإصابة»، وصحح إسنادها، وقال الذهبي في «السير» (٣/ ٢٨٥): إسناده صحيح.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٨٥).

(٣) الهامش السابق.

(٤) «السير» (٣/ ٢٨٥).

(٥) هو آخر من رأى النبي ﷺ واسمه عامر بن وائلة الكناني.

(٦) المِقلات: هي التي لم يبق لها ولد، وكذلك الشيخ الرَّقوب.

(٧) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٦٩)، و«تاريخ دمشق» (٨/ ٤١٣).

□ قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ لعبد الله بن الحسن بن حُسَين: «إذا كانت لك حاجة فأرسِلْ إليَّ أو اكتب، فإني أستحِي من الله أن يراك الله على بابي، فهذا تعظيمٌ وأي تعظيم من عمر لأهل بيتَ رسول الله ﷺ»(١).

□ وقال الربيع بن سليمان: حجَجْنا مع الشافعي، فما ارتقى شرفًا، لا هبط واديًا إلَّا وهو يبكي، ويُنشِدُ..

يا راكبًا قف بالمُحصَّب من مِنَـى ... واهتِـف بقاعـدِ خَيْفنـا والنَّـاهِضِ
سَحَرًا إذا فاض الحجيجُ إلى مِنى ... فيضًا كمُلْتَطِم الفُـرَاتِ الفـائضِ
إن كـان رفْـضًا حُـبُّ آلِ محمـد ... فليـشهد الـثقلان أني رافـضي

✍ ولم يكن الشافعي شيعيًّا - وحاشاه - طرفة عين - بل هو من أئمة أهل السنة والجماعة-.

ومن علامات محبته ﷺ محبة زوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين رضي الله عنهن:

وهذا من أصول أهل السنة أنهم يتوَلَّوْن أزواج رسول الله ﷺ، ويحفَظُون لهن فضلهُنَّ، وحقوقهُنَّ.

* فقد أبانهنَّ الله من نساء العالمين في الفضيلة فقال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

* وجعلهن أمهات المؤمنين فقال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ

---

(١) «هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب» (ص٤٩٩) للشيخ أبي بكر الجزائري -طبع دار السلام.

﴿أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]»[١].

* وجعل حُرمة الزوجيّة بعد وفاة النبي ﷺ باقية ما بقين فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

• فعلينا من حِفْظ حقوقِهنَّ بعد ذهابِهنَّ الصلاة عليهن مع الصلاة على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**قولوا: اللَّهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»[٢].

فالصلاة على أزواجه تابعة لاحترامهن»[٣].

□ وكذلك الاستغفار لهن، وذكر مدائحهنَّ وفضائلهن، وحسن الثناء عليهن، وما على الأولاد في أمهاتهم اللاتي وَلَدْنَهُم وأكثر، وذلك لمكانتهن من رسول الله ﷺ، وزيادة فضلهن على غيرهن من نساء الأمة»[٤].

وكذا نبغض من عاداهن أو قدحَ فيهن، ومن رَمى حبيبة رسول الله ﷺ بالفاحشة بعد أن برَّأها الله فقد خرج من الإسلام بالكُلِّية، وأنكر معلومًا من الدين بالضرورة وكذَّب صريح القرآن.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٥٤)، و«تفسير القرطبي» (١٤/ ١٢٣، ١٧٧).

(٢) رواه البخاري (١١/ ١٦٩) «فتح» (ح٦٣٦٠)- كتاب الدعوات- باب هل يُصَلِّي علىٰ غير النبي ﷺ. وأخرجه مسلم (٢/ ١٧)- كتاب الصلاة- باب الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهُّد.

(٣) «جلاء الأفهام» (ص ٢٠٠).

(٤) «شعب الإيمان» للبيهقي.

وأزواج النبي ﷺ هُن مَن دخلَ بهن من النساء وهن إحدى عشرة:

١- خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وهي خير نساء الأمة سلَّم الله عليها.

٢- عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها: وهي أحب أزواج رسول الله ﷺ إليه، فقد سئل النبي ﷺ: أيُّ الناسِ أحبُّ إليك؟ قال: «**عائشة**». قيل: ومِن الرِّجَال؟ قال: «**أبوها**»[1].

٣- سودة بنت زمعة رضي الله عنها وهي التي آثرت بيومها عائشة تقرُّبًا إلى النبي وحُبًّا له[2].

٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها وعن أبيها.

٥- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها.

وهي التي أكرمتْ فراش رسول الله ﷺ أن يجلس عليه أبوها لما قدم المدينة، وقالت: إنك مشرك، ومنعته من الجلوس عليه»[3].

٦- أم سلمة رضي الله عنها.

٧- زينب بنت جحش رضي الله عنها.

٨- أمُّ المساكين زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها.

٩- جويرية بنت الحارث رضي الله عنها.

١٠- صفية بنت حُيَيّ رضي الله عنها.

١١- ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٣٥٨)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٢) «جلاء الأفهام» (ص١٨٢).

(٣) «الإصابة» لابن حجر (٤/ ٢٩٨- ٣٠٠).

ومن محبته ﷺ محبة أصحابه رضي الله عنهم:

* قال البيهقي: «ويدخل في جُملة حب النبي ﷺ محبة أصحابه؛ لأن الله عز وجل أثنى عليهم ومدحهم فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

* وقال تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح].

* وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة].

* وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال].

فإذ أُنزِلوا هذه المنزلة استحقُّوا من جماعة المسلمين أن يحبوهم ويتقرّبوا إلى الله عز وجل بمحبتهم؛ لأن الله تعالى إذا رضي عن أحدٍ أحبَّهُ وواجبٌ على العبد أن يُحِبَّ من يحب مولاه»(١).

* فمن واجب الأمة نحو أصحاب رسول الله ﷺ محبتهم والترضي عنهم والدعاء لهم كما أمرنا الله تعالى بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

---

(١) «شعب الإيمان» للبيهقي (١/ ٢٧٨).

فهم قوم اختارهم الله وشرفهم بصحبة نبيه ﷺ وخصهم في الحياة الدنيا بالنظر إليه وسماع حديثه من فمه الشريف ونصرته والذب عنه والجهاد معه في سبيل الله ونشر دين الإسلام.

وبعد وفاته كانوا هم الواسطة بين الرسول وبين الأمة، فقد بلغوا عن رسول الله ﷺ ما بعثه الله به من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها ونشروا هذا الدين في شتى بقاع الأرض، وجاهدوا في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وذبوا عن هذا الدين بسِنانهم ولسانهم فكان لهم بذلك الأجر العظيم والمنزلة العالية عند ربهم وعند نبيهم وعند المسلمين الموحدين جميعًا.

كيف لا يكونوا كذلك وهم:

خير أمة أخرجت للناس:

* قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

□ قال الزجّاج: «وأصل الخطاب لأصحاب النبي ﷺ وهو يعمُّ سائر أمته»[(١)].

□ قال الخطيب رحمه الله: «وهذا اللفظ وإن كان عامًّا فالمرادُ به الخاص، وقيل: هو وارد في الصحابة»[(٢)].

* وهم الذين اصطفاهم الله قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ

(١) «معاني القرآن» للزجّاج (١/ ٤٦٧)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٤٣٨-٤٣٩).

(٢) «الكفاية في علم الرواية» للخطيب البغدادي.

ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ﴾ [النمل: ٥٩].

□ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبيه»، وقال الثوري: «هم أصحاب رسول الله ﷺ» وهو قول الطبري [(١)].

* وشهد الله لهم بأنهم الأمة الوسط والشهداء على الناس: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

* وهم الذين أحبهم الله عز وجل، وجاهدوا في سبيله، لا يخافون لومة لائم، هم الذين أحبُّوا ربهم وكان الذل على المؤمنين والعزة على الكافرين شعارهم: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة].

وأسعد الناس وأولى الناس بهذه الآية أبو بكر والصحابة.

* وشهد الله لهم بالإيمان الحق وكماله: قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنفال].

وقد خُوطب الصحابة بوصف الإيمان في القرآن ما يقرب من تسعين مرة.

□ وهم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.. ويا لها من منازل في الفضل تتقطّع دونها الأعناق لعُلُوِّها.

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٢).

* وهم الذين تاب الله عليهم.. ومن تاب الله عليه لا يُعذِّبه أبدًا. قال تعالى: ﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة].

* وشهد الله لهم بالصبر على البلاء وتفويض كل الأمور إلى الله: قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران].

* وهم الذين نصروا النبي ﷺ في أحلك الظروف وفي كل المواطن: قال تعالى: ﴿ ..فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف].

* وشهد الله لهم بأنهم هم الصادقون: قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزمر].

□ قال ابن تيمية: «فيها ثناء على الصحابة رضي الله عنهم.. والصحابة هم أفضل من جاء بالصدق وصدّق به بعد الأنبياء، وليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أعظمُ افتراء للكذب على الله وتكذيبًا بالحق من المنتسبين إلى التشيُّع»[1].

□ وهم الذين شهد الله بأنهم سادات العباد أصحاب الخشوع

(١) «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية (١/ ١٥٦).

والتواضع والتراحم والسمت الحسن كما جاء نعتهم بذلك في أواخر سورة الفتح، الآية (٢٩).

* وصحابة رسول الله ﷺ أحبُّ شيء إليهم الإيمان وأبغض شيء إليهم الكفر؛ ولذا وصفهم الله بأنهم هم الراشدون. قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧)﴾ [الحجرات].

* وهم الذين بشرهم الله عز وجل بالفوز بالجنّان وعظيم الدرجات، وهم المبشرون من ربهم بأعلى النعيم. قال تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩)﴾ [التوبة].

* وقال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١)﴾ [التوبة].

* وشهد الله للصحابة بالإخلاص ودوام الذكر والدعاء وأنهم يدعون ربهم بالغداة والعشيِّ. قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)﴾ [الكهف].

* وهم الذين لهم الكرامة والنور التام يوم القيامة، وهم أولى الناس بالتكريم في هذا اليوم العصيب. قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم].

* وهم أهل التقوى: قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح].

وقد وردت في السُّنَّة العطرة أحاديثُ مطهَّرةٌ في فضل الصحابة:

• عن أبي بردة عن أبيه ﷺ قال: صلينا مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي العشاء قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: «**ما زلتم ههنا؟**»، قلنا يا رسول الله صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: «**أحسنتم**» أو «**أصبتم**» قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء فقال: «**النجوم أَمَنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أَمَنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**»(١).

• وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يأتي على الناس زمان يغزو فئام**(٢) **من الناس فيقال لهم: فيكم من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون نعم فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون نعم: فيفتح لهم، ثم يغزو**

(١) رواه مسلم (٢٥٣١)- (٤/ ١٩٦)، وأحمد (٤/ ٣٩٨- ٣٩٩).
(٢) الفئام: الجماعة الكثيرة.. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٤٠٦).

فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم»[١].

ولفظ البخاري: «يأتي على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس، فيقولوا: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيُفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس فيُقال: فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيُفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزون فئام من الناس فيُقال لهم: هل فيكم من صاحب مَن صاحبَ مَن صاحبَ أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم».

• عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحبني»[٢].

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رجل النبي ﷺ: أي الناس خير؟ قال: «القرنُ الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث»[٣].

• وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سُئِل رسول الله ﷺ أي الناس خير؟ قال: «قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تبدر شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٣٦٤٩) (٢/ ٢٨٧)، ومسلم (٢٥٣٢) (٤/ ١٩٦٢) واللفظ له وأحمد (٣/ ٧).

(٢) حسن: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ١٧٨)، وحسن الحافظ إسناده في «الفتح» (٧/ ٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٣٦)، وأحمد (٦/ ١٥٦).

(٤) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم واللفظ له، والترمذي.

وعند البخاري: «**تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**».

• وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم يجيء قوم لا خير فيهم**»(١).

• وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، قال عمران: فلا أدري قال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثة»(٢).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير أمتي القرن الذي بُعثت فيهم، ثم الذين يلونهم**»، والله أعلم أذكر الثالث أم لا قال: «**ثم يخلف قوم يحبون السمانة ويشهدون قبل أن يستشهدوا**»(٣).

• وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمَّنون، ويحبون السِّمَن، يُعْطون الشهادة قبل أن يُسألوها**»(٤).

• وقال ﷺ: «**خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يكون بعدهم قوم يخونون ولا يُؤتمنون، ويشهدون ولا يُستشهدون،**

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، وحسنه الألباني «صحيح الجامع» (٣٢٩٣).

(٢) رواه البخاري (٢/ ٢٨٧)، ومسلم (٤/ ١٩٦٤).

(٣) رواه مسلم (٤/ ١٩٦٣- ١٩٦٤). والمراد بالسمن هنا كثر اللحم. ومعناه أن يكثر ذلك فيهم، وليس معناه أن يتمحضوا سمانا، والمذموم منه من يستكسبه بالمأكول والمشروب الزائد على المعتاد.

(٤) صحيح: رواه الترمذي، والحاكم عن عمران بن حصين، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٩٩).

ينذرون ولا يُوفُون، ويظهر فيهم السِّمَن»[١].

• وقال رسول الله ﷺ: **«طوبى لمن رآني، ولمن رأى من رآني، ولمن رأى مَنْ رأى من رآني»**[٢].

• وقال رسول الله ﷺ: **«طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن رأى مَن رآني، ولمنْ رأى من رأى مَنْ رآني وآمن بي، طوبى لهم وحسن مآب»**[٣].

• دعا عليه الصلاة والسلام لسامعي سنته ومبلغيها بالنضرة والرحمة، والصحابة رضي الله عنهم يدخلون في هذه الدعوة المباركة الميمونة دخولًا أوليًّا لأنهم هم الذين سمعوا سنته مباشرة ودون واسطة وأدوها إلى من بعدهم، وهذه خصيصة لهم رضي الله عنهم تميزوا بها دون غيرهم، فرضوان الله عليهم أجمعين، وتلك الدعوة التي كان لهم فيها الحظ الأوفر والنصيب الأكبر هي قوله ﷺ: **«نضّر الله امَرأً سمع منا حديثًا، فحفظه حتى يبلِّغه غيره، فربَّ حامل فقهٍ إلى مَن هو أفقه، ورُبّ حامل فقهٍ ليس بفقيه»**[٤].

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تسُبوا**

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم (٢٥٣٥)، وأحمد (٤/ ٤٢٧- ٤٣٦)، وأبو داود (٤٦٥٧)، والنسائي (٧/ ١٧)، والترمذي، والطيالسي.

(٢) صحيح: رواه عبد بن حُميد عن أبي سعيد، وابن عساكر عن واثلة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٥٤)، و«صحيح الجامع» (٣٩٢٧).

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك» عن عبد الله بن بسر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٢٦)، و«الصحيحة» (١٢٥٤).

(٤) صحيح: رواه الترمذي، والضياء عن زيد بن ثابت، وكذا رواه ابن حبان، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٠٣)، و«صحيح الجامع» (٦٧٦٣).

أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذَهَبًا ما بلغ مُدَّ [(١)] أحدهم ولا نصيفه [(٢)]» [(٣)].

□ وقد نقل الحافظ ابن حجر عن البيضاوي في شرح الحديث المتقدم أنه قال: «معنى الحديث لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبًا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص وصدق النية». قال الحافظ: «وأعظم من ذلك في سبب الأفضلية عظم موقع ذلك لشدة الاحتياج إليه، وأشار بالأَفضلية بسبب الإنفاق إلى الأفضلية بسبب القتال كما وقع في الآية: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ [الحديد: ١٠]، فإن فيها إشارة إلى موقع السبب الذي ذكرته وذلك أن الإنفاق والقتال كان قبل فتح مكة عظيمًا لشدة الحاجة إليه وقلة المعتنى به بخلاف ما وقع بعد ذلك لأن المسلمين كثروا بعد الفتح ودخل الناس في دين الله أفواجًا فإنه لا يقع ذلك الموقع المتقدم» [(٤)] اهـ.

---

(١) المدّ: ضرب من المكاييل، وهو ربع صاع وهو قدر مُدّ النبي ﷺ وجاء في «لسان العرب» أيضًا: قيل إن أصل المدّ مقدَّر بأن يمد الرجل يديه فيملأ كفّيه طعامًا.

(٢) نصيفه: قال الترمذي: أي نصف المُدّ.

(٣) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، وأبو داود (٤٦٥٨)، والترمذي (٣٨٦١)، وقال: هذا حديث حسن صحيح وعزاه المزيّ للنسائي، وأخرجه أحمد (٣/ ١١)، وفي «فضائل الصحابة» (٥، ٦، ٧، ١٧٣٥)، وعبد بن حميد (٩١٦)، والطيالسي (٢١٨٣).

(٤) «فتح الباري» (٧/ ٣٤)، وانظر: «عيون المعبود شرح سنن أبي داود» (١٢/ ٤١٣).

□ فالذي يستفاد من كلام هؤلاء الأئمة الذين قدمنا نقولهم أن الصحابة لا يدركهم أحد في فضلهم وعملهم رضي الله عنهم أجمعين، بل إن القليل من عملهم لا يوازيه عمل غيرهم مهما بلغ من الكثرة ومهما صاحبه من إخلاص وصدق ويقين وإيمان، وذلك فضله -تَعَالَى- يؤتيه من يشاء.

□ روى ابن بطة بالإسناد الصحيح كما في منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة مع النبي ﷺ خير من عمل أحدكم أربعين سنة «وفي رواية وكيع خير من عبادة أحدكم عمره» [١].

□ وروى أبو داود بإسناده إلى سعيد بن زيد رضي الله عنه أنه قال بعد أن ذكر العشرة المبشرين بالجنة «لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر فيه وجهه خير من عمل أحدكم عمره ولو عُمِّر عمر نوح» [٢] فسعيد بن زيد رضي الله عنه يريد بهذا عموم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

• قال رسول الله ﷺ: **«دَعُوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد ذهبًا ما بلغتم أعمالهم»** [٣].

• قال رسول الله ﷺ: **«إذا ذُكِرَ أصحابي فأمسِكُوا، وإذا ذُكِر النجوم فأمسكوا، وإذا ذُكِر القدر فأمسكوا»** [٤].

---

(١) «منهاج السُّنَّة النبوية» (١/ ١٥٤).

(٢) «سنن أبي داود» (٢/ ٥١٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد عن أنس، وكذا رواه البزار عن ابن أبي أوفى، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٨٦)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (١٩٢٣).

(٤) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود، وابن عدي عن عمر وعن =

• ومن الأحاديث الدالة على فضلهم وعلو منزلتهم أن النبي ﷺ بشر من رآه وآمن به واتبعه وصدقه أن له طوبى والصحابة ﷺ حازوا قصب السبق في هذا على كل أحد أتى بعدهم فقد روى البزار والطبراني من حديث أبي عبد الرحمن الجهني قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ جلوس إذ طلع راكبان فقال رسول الله ﷺ كنديان[١] مذحجيان[٢] حتى أتياه فإذا رجلان من مذحج قال: فدنا أحدهما ليبايعه فلما أخذ بيده قال: يا رسول الله أرأيت من رآك وآمن بك واتبعك وصدقك ماذا له؟ قال: «**طوبى له**»، قال فمسح على يده وانصرف، ثم أتاه الآخر حتى أخذ بيده ليبايعه فقال: يا رسول الله أرأيت من آمن بك واتبعك وصدقك ماذا له؟ قال: «**طوبى له ثم طوبى له**»[٣].

• وقال رسول الله ﷺ: «**احفظوني في أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يَلُونَهُم، ثم يفشو الكذب، حتى يشهد الرجل، وما يُستشهد**[٤]**، ويحلف وما يُسْتَحلَف**[٥]»[٦] ومعنى «**احفظوني**» أي: اعرفوا حقهم

ابن مسعود، وعن ثوبان وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٤)، و«صحيح الجامع» (٥٤٥).

(١) كندة: بالكسر اسم لقبيلة «معجم البلدان» (٤/ ٤٨٢).

(٢) مذحج: اسم قبيلة.

(٣) إسناده حسن: أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨)، وقال: إسناده حسن.

(٤) دون أن تطلب منه الشهادة، وهو كاذب في ذلك.

(٥) دون أن يُطلب منه الحلف، وهو كاذب في ذلك.

(٦) صحيح: رواه ابن ماجه عن عمر، وزاد أحمد والنسائي في «الكبرىٰ»، والطيالسي عن جرير، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١١١٦)، و«صحيح الجامع» (٢٠٦).

وعظِّموهم.

• وقال رسول الله ﷺ: «**آية الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**»(١).

• وقال ﷺ: «**مَنْ أحبّ الأنصار أحبَهُ الله، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله**»(٢).

• وعن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحبُّ الأنصار إلّا مؤمن، ولا يبغضهم إلّا منافق، ومن أَحَبَّهُم أحبَّهُ الله، ومَن أبغضَهُم أبغضه الله**»(٣).

والحاصل أن الأحاديث الواردة في فضلهم كثيرة وشهيرة بل متواترة.

□ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر بعض الأحاديث المتقدم ذكرها: «وهذه الأحاديث مستفيضة بل متواترة في فضائل الصحابة والثناء عليهم وتفضيل قرنهم على من بعدهم من القرون والقدح فيهم قدح في القرآن والسنة»(٤) اهـ. وهو كما قال رحمه الله بل إن القادح في الكتاب والسنة لا حظ له في الإسلام، وهذا حال الرافضة، فإنهم طعنوا في الكتاب والسنة عن طريق القدح في الصحابة رضي الله عنهم، إذ هم

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي عن أنس.

(٢) صحيح: رواه أحمد، والبخاري في «التاريخ» عن معاوية، وابن ماجه وابن حبان عن البراء، ورواه ابن حبان عن الحارث بن يزيد الأنصاري، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٩١)، (١٦٠١)، و«صحيح الجامع» (٥٩٥٣).

(٣) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي.

(٤) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٤٣٠).

نقلة هذا الدين إلى من بعدهم، والطعن في الصحابة أيضًا: طعن في الرسول ﷺ «كما قال الإمام مالك وغيره من أئمة العلم: هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ إنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه صالحين»(١).

والذي يعتقد هذا هو من أبخس الناس حظًّا في الدنيا والآخرة، وقد تبنى هذا المعتقد الفاسد الشيعة والخوارج «فإن الشيعة يفضلون أنفسهم وهم شر خلق الله تعالى على أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وجميع الصحابة رضي الله عنهم حاشا، عليًّا والحسن والحسين وعمار بن ياسر، والخوارج يفضلون أنفسهم – وهو شر خلق الله وكلاب النار- على عثمان – وعلي وطلحة والزبير- ولقد خاب من خالف كلام الله تعالى وقضاء رسوله ﷺ في أن الصحابة رضي الله عنهم هم صفوة الأمة المحمدية وسادتها على الإطلاق»(٢).

لعن مَن سَبَّهُم:

- قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله مَن سَبَّ أصحابي**»(٣).
- وقال ﷺ: «**مَن سَبَّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»(٤).

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٤٢٩).

(٢) ابن حزم الأندلسي ورسالته في «المفاضلة بين الصحابة» (١٧٨).

(٣) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، والخطيب عن أنس، والبغوي، وأبو نعيم في «الحلية» عن عطاء مرسلاً، وحسّنه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٤٠) و«صحيح الجامع» رقم (٥١١١).

(٤) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، وحسنه الألباني في «الصحيحة» =

□ قال المناوي: «من سب أصحابي»، أي شتمهم فعليه ﴿لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ﴾ أي الطرد والبعد عن مواطن الأبرار ومنازل الأخيار، والسبُّ والدعاء من الخلق أجمعين.

وهذا شامل لمن لابس القتل منهم؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأوّلون، فسبّهم كبيرة، ونسبتهم إلى الضلال والكفر كفر»[1].

□ قال النووي: «واعلم أن سبّ الصحابة ﭫ حرام من فواحش المحرّمات، سواءٌ مَن لابس الفتن منهم وغيره لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون..، قال القاضي: «وسبّ أحدهم من المعاصي والكبائر ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزّر ولا يُقتل»[2]. وقال بعض المالكية: «يُقتل».

□ وقال ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٣٦): «اختلف في ساب الصحابي فقال عياض: ذهب الجمهور إلى أنه يعزر، وعن بعض المالكية: يُقتَل، وخصّ بعض الشافعية ذلك بالشيخين والحسنيْن، فحكى القاضي حُسين في ذلك وجهيْن، وقوّاه السبكي في حق مَنْ كفّر الشيخيْن، وكذا مَن كفّر مَن صرّح النبي ﷺ بإيمانه أو تبشيره بالجنة إذا تواتر الخبر بذلك عنه لما تضمّن من تكذيب رسول الله ﷺ».

□ وعقد شيخ الإسلام ابن تيمية فصلًا في كتابه «الصارم المسلول

(٢٣٤٠)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٢٨٥). وقال الهيثمي: فيه عبد الله بن خراش وهو ضعيف، ورمز لحسنه السيوطي.

(١) «فيض القدير» للمناوي (٦/ ١٤٦- ١٤٧).

(٢) «شرح مسلم» (٥/ ٤٠٠).

على شاتم الرسول»[١] فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأمّا من سبّ أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بيته وغيرهم، فقد أطلق الإمام أحمد أنه يُضرب ضربًا نكالًا، وتوقّف عن قتله وكفره».

□ قال أبو طالب: «سألت أحمد عمن شتم أصحاب النبي ﷺ قال: القتل أجبنُ عنه، ولكن أضربه ضربًا نكالًا».

□ وقال عبد الله: «سألت أبي عمّن شتم أصحاب النبي ﷺ قال: أرى أن يُضرب. قلتُ له: حدّ؟ فلم يقف على الحد إلَّا أنه قال: يضرب، وقال: ما أراه على الإسلام».

□ وقال في الرسالة التي رواها أبو العباس أحمد بن يعقوب الإصطخري وغيره: «وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر، وعلي بعد عثمان، وهؤلاء خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساويهم، ولا يطعن على أحدٍ منهم بعيبٍ ولا نقصٍ، فمن فعل ذلك فقد وجب تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قُبل منه، وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلّده في الحبس حتى يموت أو يُراجع، وحكى الإمام أحمد هذا عمّن أدركه من أهل العلم، وحكاه الكرماني عنه، وعن إسحاق والحميدي، وسعيد بن منصور وغيرهم».

□ وقال الميموني: «سمعت أحمد يقول: ما لهم ولمعاوية؟ نسأل الله العافية، وقال لي: يا أبا الحسن إذا رأيت مَن يذكر أحدًا أصحاب رسول الله

---

(١) «الصارم المسلول على شاتم الرسول» لابن تيمية (ص٥٦٧).

ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام».

فقد نصّ ؓ على وجوب تعزيره واستتابته حتى يرجع بالجلد، وإن لم ينته حُبِس حتى يموت أو يراجع، وقال: ما أراه على الإسلام، وقال اتهمه على الإسلام وقال: أجبن عن قتله».

□ وقال إسحاق بن راهويه: «من شتم أصحاب النبي ﷺ يُعاقب ويُحبَس، وهذا قول أكثر أصحابنا منهم ابن أبي موسى قال: ومن سبّ السلف من الروافض فليس بكفؤ ولا يُزَوّج، ومن رمى عائشة ؓ بما برّأها الله منه فقد مرق من الدين ولم ينعقد له نكاح على مسلمة إلَّا أن يتوب ويُظهر توبته، وهذا في الجملة قول عمر بن عبد العزيز وعاصم الأحول وغيرهما من التابعين».

□ وقال القاضي أبو يعلى: «الذي عليه الفقهاء في سبّ الصحابة إن كان مستحِلًّا لذلك كفر، وإن لم يكن مستحِلًّا فسق».

□ وقال ابن المنذر: «لا أعلم أحدًا يُوجب قتل من سبّ مَنْ بعد النبي ﷺ».

□ وقال أحمد في رواية المروزي: «من شتم أبا بكر وعمر وعائشة ما أراه على الإسلام».

□ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلَّا نفرًا قليلًا لا يبلغون بضعة عشر نفسًا أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب في كفره».

□ وقد قال إمام عصره أبو زرعة الرازي مِن أجلّ شيوخ البخاري: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه

زنديق؛ وذلك لأن الرسول ﷺ حق، والقرآن الكريم حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، فمن جرّحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنَّة، فيكون الجرح بهم ألصق، والحكم عليهم بالزندقة والضلالة والكذب والفساد هو الأقوم الأحق»[(١)].

□ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لا تسُبُّوا أصحاب محمد فلمُقام أحدهم ساعة خيرٌ من عبادة أحدكم أربعين سنة»[(٢)].

□ وعنه رضي الله عنه قال: «لا تسبوا أصحاب محمد، فلمُقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره»[(٣)].

□ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أُمِرُوا بالاستغفار لأصحاب محمد فسَبُّوهُم»[(٤)].

لله در مالك بن أنس من إمام عظيم!! ما أفقهه وما أعلى همته في حبِّ الصحابة:

□ جاء في «ترتيب المدارك» قال مصعب الزبيري وابن نافع: «دخل هارون الرشيد المسجد، فركع ثم أتى قبر النبي ﷺ، ثم أتى مجلس مالك فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال مالك: وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثم قال لمالك: هل لمن سب

---

(١) «حكم سبِّ الصحابة» لابن حجر الهيتمي (ص٢٠، ٢١).
(٢) إسناده صحيح: رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (٢٠) (١/ ٦١).
(٣) إسناده صحيح: أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٥) (١/ ٥٧- ٥٨)، وابن ماجه (١/ ٥٧) وابن أبي حاتم في السنة.
(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٣١٧) من طريقين وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٤) (١/ ٥٧) وأبو عاصم في «السُّنَّة».

أصحاب النبي ﷺ في الفيء حق، قال: لا ولا كرامة، قال: من أين قلت ذلك، قال: قال الله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] فمن عابهم فهو كافر ولا حق للكافر في الفيء، واحتج مرة أخرى، بقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨]، قال: فهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين هاجروا معه وأنصاره الذين جاءوا من بعده يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾[الحشر: ١٠].

فما عدا هؤلاء فلا حق لهم فيه»[1].

□ قال صاحب «العقيدة الطحاوية»: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلَّا بخير وحبهم دين وإحسان، وبغضهم كفر وطغيان»[2].

□ وقال البيهقي: «وإذا ظهر أن حب الصحابة من الإيمان، فحبهم أن يعتقد فضائلهم ويعترف لهم بها ويعرف لكل ذي حق منهم حقه، ولكل ذي عنا في الإسلام عناه ولكل ذي منزلة عند الرسول ﷺ منزلته، وينشر محاسنهم ويدعو بالخير لهم ويقتدي بما جاء في أبواب الدين عنهم ولا يتتبع زلاتهم وهفواتهم ولا يتعمد تهجين أحد منهم ببث ما لا يحسن عنه، ويسكت عما لا يقع ضرورة إلى الخوض فيه فيما كان بينهم وبالله التوفيق»[3].

---

(١) «ترتيب المدارك» (ص١٧٤).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٥٢٨).

(٣) «شعب الإيمان» للبيهقي (ص٢٩٧).

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ﴾ [الحشر].

• وطاعة النبي ﷺ في قوله: **«لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**.

□ ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع: من فضائلهم ومراتبهم فيفضلون من أنفق من قبل الفتح -وهو صلح الحديبية- وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر -وكانوا ثلاثمئة وبضعة عشر-: **«اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**[1] وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة[2]. كما أخبر به النبي ﷺ، بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمئة.

ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة كالعشرة وغيرهم من الصحابة.

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ويثلثون

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرًا. «فتح الباري» (٧/ ٣٠٤- ٣٠٥) (ح٣٩٨٣). وأخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب فضائل الصحابة أهل بدر (٧/ ١٦٨- ١٦٩).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان (٧/ ١٦٩).

بعثمان، ويربعون بعليّ رضي الله عنه، كما دلت عليه الآثار وكما أجمع الصحابة رضي الله عنهم على تقديم عثمان في البيعة.. ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم».

لله درُّ الإمام حماد بن زيد وفهمه العالي:

▫ روى أبو عمر ابن عبد البر بإسناده إلى إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: «سالت أبا أسامة – حماد بن أسامة بن زيد القرشي-: أيما كان أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لا نعدل بأصحاب محمد ﷺ أحدًا»[1].

▫ وقال الإمام السفاريني: «ولا يرتاب أحدٌ من ذوي الألباب أن الصحابة الكرام هم الذين حازوا قصبات السبق، واستولوا على معالي الأمور من الفضل والمعروف والصدق، فالسعيد من اتبع صراطهم المستقيم، واقتفى منهجهم القويم، والتعيس من عدل عن طريقهم، ولم يتحقّق بتحقيقهم، فأي خطة رُشدٍ لم يستولوا عليها، وأي خطّة خير لم يسبقوا إليها، تالله قد وردوا ينبوع الحياة عذبًا صافيًا زلالًا، ووطَّدُوا قواعد الدين والمعروف فلم يدعوا لأحدٍ بعدهم مقالًا، فتحوا القلوب بالقرآن والذكر والإيمان، والقُرى بالسيف والسنان، وبذلوا النفوس النفيسة في مرضاة الرحيم الرحمن، فلا معروفَ إلَّا ما عُرِف عنهم، ولا بُرهان إلَّا ما بعلومهم كُشِف، ولا سبيل نجاة إلَّا ما سلكوا، ولا خير وسعادة إلَّا ما حقّقوه وحكوه، فرضوان الله – تعالى – عليهم أجمعين»[2].

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/ ٢٢٧).

(٢) «الوامع الأنوار» للسفاريني (٢/ ٣٧٩- ٣٨٠).

ومن محبَّتيه محبة الخصال والأعمال والأعيان التي يحبُّها ﷺ:

من هذه:

أ- الخصال والأعيان التي يحبها رسول الله ﷺ:

(١) الصلاة: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[(١)].

(٢) الصوم في شعبان: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصوم شعبان بل كان يصله برمضان»[(٢)]

وفي رواية لأحمد رضي الله عنه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يصوم فلا يفطر، حتى نقول: ما في نفس رسول الله ﷺ أن يفطر العام، ثم يفطر فلا يصوم، حتى نقول ما في نفسه أن يصوم العام، وكان أحب الصوم إليه في شعبان»[(٣)] . لقد كان ﷺ كثير الصيام لله عز وجل وكان أكثر ما يصوم في شعبان، وذلك استعدادًا وتهيئة لرمضان فكان يصوم أكثره ليعلِّم المسلمين هذه القربة العظيمة -ألا وهي الصوم- ويهيأهم لاستقبال شهر الرحمة والخير رمضان المبارك، فعلينا بالاقتداء به ﷺ فإن ذلك طريق الفلاح.

---

(١) رواه النسائي كتاب عشرة النساء باب حب النساء (٦/ ٦٢- ٦٣) حديث (٣٩٤٠) وأحمد (٣/ ١٢٩ و١٩٩ و٢٨٥).

(٢) رواه النسائي - كتاب الصوم باب صوم النبي ﷺ (٤/ ١٩٩) حديث (٢٣٥٨) وأحمد (٦/ ١٨٨).

(٣) أحمد (٣/ ٢٣٠).

(٣) العمل الصالح الدائم: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رجلًا قال لها: حدثيني بأحب العمل إلى رسول الله ﷺ، قالت: «كان أحب العمل إليه الذي يدوم عليه وإن كان يسيرًا»[(١)].

وعنها رضي الله عنها أنها سئلت أي الأعمال أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: «الدائم، قيل فأي الليل كان يقوم؟ قالت: إذا سمع الصارخ»[(٢)] رواه النسائي[(٣)].

(٤) ذكر الله تعالى بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلَّا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**»[(٤)].

(٥) الصلاة التي يداوم عليها: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان أحب الصلاة إلى رسول الله ﷺ ما دوام عليها».

وفي رواية: «ما دووم عليها وإن قل، وكان إذا صلى يداوم عليها»[(٥)].

(ب) الأعيان والذوات التي يحبها رسول الله ﷺ:

(١-٢-٣) عائشة وأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم: فعن

---

(١) أحمد (٦/ ١١٣ و٢٥٠ و٦/ ٦١) بنحوه.

(٢) الصارخ: هو الديك كما قال الإمام النووي باتفاق العلماء وسمي بذلك لكثرة صياحه انظر «سنن النسائي» (٣/ ٢٠٨- ٢٠٩).

(٣) صحيح: رواه النسائي – كتاب قيام الليل- باب وقت الصيام (٣/ ٢٠٨) حديث (١٦١٦).

(٤) رواه مسلم – كتاب الذكر والدعاء- باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٤/ ٢٠٧٢) حديث (٣٢).

(٥) رواه أحمد (٦/ ٨٤، ١٢٨، ١٨٩).

عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**» قلت من الرجال؟ قال: «**أبوها**»، قلت: ثم من؟ قال: «**عمر**» فعد رجالًا.

(٤) علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٥-٦) الحسن والحسين ريحانتا رسول الله ﷺ من الدنيا وسيِّدا شباب أهل الجنة رضي الله عنهما.

(٧) أسامة بن زيد: فقد روي البخاري عنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يأخذه والحسن يقول: «**اللَّهم إني أُحبُّهما فأَحِبَّهما**».

(٨) زيد بن حاثة: وابنه أسامة: عن ابن عمر رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ بعثًا وأمّر عليهم أسامة بن زيد فطعن الناس في إمرته[1] فقام رسول الله ﷺ فقال: «**إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقًا[2] للإمرة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده**».

وفي رواية: «**وأيم الله إن كان لأحب الناس إليّ وأيم الله، إن هذا لخليق** - يعني أسامة بن زيد- **وأيم الله إن كان لأحبهم إليّ من بعده، فأوصيكم به فإنه من صالحيكم**»[3].

(٩) خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما

---

(١) أي: ولايته.

(٢) أي: جديرًا بها.

(٣) رواه مسلم في «فضائل الصحابة» باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد (٤/ ١٨٨٤) حديث (٦٤٦٣).

غرت على نساء النبي ﷺ إلَّا على خديجة وإني لم أدركها، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: «**أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**»، قالت: فأغضبته يومًا فقلت: خديجة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أني قد رزقت حبها**»[١].

(١٠) **ثياب الحِبَرة**: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان أحب الثياب إلى النبيّ ﷺ أن يلبسها الحبرة[٢]»[٣].

وفي رواية: «أن أنس بن مالك رضي الله عنه سُئِل أي الثياب كان أحب إلي النبي ﷺ قال: الحبرة»[٤].

(١١) **الخيل**: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لم يكن شيء أحب إلي رسول الله ﷺ بعد النساء من الخيل[٥] وإنما كان حبه ﷺ للخيل كبيرًا لأنه من أدوات الجهاد وسلاحه والذي هو مما يعين على طاعته لله في

---

(١) رواه مسلم – فضائل الصحابة- باب فضائل خديجة بنت خويلد (٤/ ١٨٨٨) حديث (٧٥).

(٢) الحبرة بكسر الحاء ويفتح الباء ثياب من كتاب أو قطن محبرة وهي من برود اليمن وهي أشرف الثياب عندهم، والتحبير: التزين والتحسين، «فتح الباري» (١٠/ ٢٧٧)، و«شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٥٦).

(٣) البخاري كتاب اللباس باب البرود والحبر والشملة (١٠/ ٢٧٦) حديث (٥٨١٢) ومسلم - كتاب اللباس باب فضل لباس ثياب الحبرة (٣/ ١٦٤٨) حديث (٣٣).

(٤) رواه البخاري – كتاب اللباس باب البرود والحبر والشملة (١٠/ ٢٧٦) (ح٥٨١٢) ومسلم – كتاب اللباس- باب فضل لباس ثياب الحبرة (٣/ ١٦٤٨) (ح٣٢).

(٥) رواه النسائي ك عشرة النساء باب حب النساء (٧/ ٦٢).

أداء هذه الفريضة – الجهاد- العظيمة والتي هي من أحب الأعمال إلى الله ومن أكثر ما يقرب العبد إليه عز وجل.

• وهو القائل ﷺ مادحًا الخيل: «**الخير معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة**»(١). فلذا كان يحبها لما فيها من خير.

(١٢) **الشراب البارد الحلو**: فقد كان ﷺ يحب الشراب البارد الحلو(٢).

(١٣-١٤) **الحلواء والعسل**: وكان ﷺ يحب الحلواء والعسل(٣).

(١٥) **لبس القميص**: كما كان أحب الثياب إليه القميص(٤) ومحبته عليه الصلاة والسلام لهذه الأشياء يعتبر مما يعين على محبته الله عز وجل. ولا تزاحم هذه المحبات محبة الله تعالى، بل قد تجمع الهمم والقلب على التفرغ لمحبة الله، وإن كانت طبيعة تتبع فيه صاحبها وقصده بفعل ما يحبه، إلا أن رسول الله ﷺ كان يحب ذلك لأنها كانت تعينه على طاعة الله

---

(١) البخاري كتاب «المناقب» (٦/ ٦٣٣) حديث (٣٦٤٤- ٣٦٤٥) ومسلم كتاب الإمارة باب الخيل في نواصيها الخير (٣/ ١٤٩٣) حديث (٩٦- ٩٧).

(٢) رواه أحمد (٦/ ٣٨- ٤٠) والترمذي ك الأشربة باب ما جاء أي الشراب أحب إلى رسول الله (٤/ ٣٠٧) حديث (١٨٩٥) والحديث صحيح كما قال الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ١٩٨) حديث (٤٥٠٣).

(٣) البخاري ك «الأطعمة» (٩/ ٥٥٧) حدي ث(٥٤٣١) ك «الأشربة» (١٠/ ٦٢) حديث (٥٥٩٩) ومسلم ك الطلاق باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق (٢/ ١١٠١) حديث (٢١).

(٤) رواه أبو داود ك «اللباس» ما جاء في لباس القميص (٤/ ٣١٢) حديث (٤٠٢٥) والترمذي ك «اللباس» (٤/ ٢٣٧- ٢٣٨) باب في القميص حديث (١٧٦٢) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ١٩٧) حديث (٤٥٠١).

ومحبته وكانت تقويه عليها فلذلك نال أجر من أحسن النية لله تعالى[(١)].

فعلى المؤمن أن يخلص نيته لله في كل أمر من الأمور حتى فيما يعتبر طبيعيًّا عند الناس ليفوز بالأجر العظيم عند الله وبالهداية الربانية ببركة اتباع خير الأنام ﷺ.

إن حب هذه المحبوبات من أعمال وخصال وأعيان هي من محبة رسول الله ﷺ؛ لأن محبة ما يحبه الحبيب شرط من شروط الصدق في محبته.

▫ والعمل بما يحبه الحبيب من أعمال والتخلق بما يحبه لنا من خصال من فوائد التعرّف على هذه المحبوبات.

▫ يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن المتخلِّف المسكين عن العمل بما يحبه الله ورسوله ﷺ لا يزال مزريًا على نفسه ذامًّا لها»[(٢)].

أن يشهد منازل المحبين السابقين وهو في زمرة المنقطعين، ويشهد بضائع التجار وهو في رفقة المحرومين.

بعض فوائد معرفة الأعيان والأعمال التي يحبها رسول الله ﷺ:

▫ منها: أنه عساه أن تنهض همته يومًا إلى التشبث والتعلق بساقة القوم والمحبوبين لله ولرسوله ولو من بعيد.

▫ ومنها: أنه لعله أن يصدق في الرغبة والالتجاء إلى الله عَزَّ وَجَلَّ الذي بيده الخير كله حتى يلحقه بهؤلاء الذين يحبهم ورسوله ﷺ ويهيئه ويأخذ بناصيته للعمل بما يحبه عَزَّ وَجَلَّ منهم.

---

(١) راجع «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٤٠).

(٢) «طريق الهجرتين» (ص٢٠٥، ٢٠٦).

□ **ومنها**: أن العلم بمحبوبات الله ورسوله من أشرف العلوم وليس بعد علم التوحيد أشرف منه، وهو لا يناسب إلَّا النفوس الشريفة ولا يناسب النفوس الدنيئة المهينة، فإذا رأى نفسه تناسب هذا العلم وتشتاق إليه وتحبه وتأنس بأقله فليبشر بالخير، فقد أُهِّل له فليجاهد نفسه على العمل بهذا العلم؛ لأن السعادة وكمال المحبة في العمل به.

□ **ومنها**: أن العلم بكل حال خير من الجهل، فالعلم بهذا الشأن وإن لم يكن موصوفًا به أو قائمًا به خير ممن لا يعلم عن هذا العلم شيئًا ولا يتصف به أو يقوم به.

□ **ومنها**: أنه إذا كان العلم بهذا الشأن هَمَّ المرء ومطلوبه، فلا بدَّ أن ينال منه بحسب استعداده ولو لحظة، ولو بارقة، ولو أنه يحدث نفسه بالنهضة إليه.

□ **ومنها**: أنه يجري على لسانه ما ينتفع به غيره بقصده أو بغير قصده، والله لا يضيع مثقال ذرة فعسى أن يرحم بذلك العامل.

وبالجملة ففوائد العلم بهذا الشأن لا تنحصر، فلا ينبغي أن تصغي إلى من يثبطك عنه ويقول: إنه لا ينفع بل احذره واستعن بالله ولا تعجز، ولكن لا تغتر وفرّق بين العلم والحال، ولا تظن أنك بمجرد العلم بهذا الشأن قد صرت من أهله، هيهات ما أظهر الفرق بين العلم بوجود الغنى وهو فقير، وبين الغني بالفعل، وبين العلم بأسباب الصحة وحدودها وهو سقيم وبين الصحيح بالفعل [(١)].

فإن وجدت في نفسك حركة وهمة إلى التشبه بهؤلاء المحبين

---

(١) «طريق الهجرتين» لابن القيم (ص٢٠٥- ٢٠٦).

المحبوبين لله ورسوله فاحمد الله وادخل فالطريق واضح والباب مفتوح.

إذا أعجبتك خصال امرئ ... فكنه تكن مثل ما يعجبك

فليس على الجود والمكرما ... ت إذا جئتها حاجب يحجبك[1]،[2]

العلامة التاسعة لمحبة النبي ﷺ: بغض من أبغض الله ورسوله:

ومن علامات محبته ﷺ بغض من أبغض الله ورسوله، ومعاداة من عاداه، ومجانبة من خالف سنته، وابتدع في دينه واستثقال كل أمر يخالف شريعته[3].

• عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ لله، **وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[4].

* قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

فجعلهم إخوة مع وجود القتال، البغي، وأمر بالإصلاح بينهم.

---

(١) المصدر السابق (ص٢٠٦).

(٢) «محبة الله ورسوله في الكتاب والسنة» (ص١٠٠ - ١١٢) باختصار - للدكتور غسّان أحمد عبد الرحمن - طبع دار ابن حزم.

(٣) «الشفا» (٢/ ٥٧٥).

(٤) صحيح: رواه أبو داود، والضياء، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٨٠)، و«صحيح الجامع» (٥٩٦٥).

فالمؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك.

والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك.

فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله فيكون الحب والإكرام والثواب لأوليائه.

ويكون البغض والإهانة والعقاب لأعدائه.

وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور، وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة.

استحق الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير.

واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر.

فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا: كاللص الفقير تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته.

هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة»[(١)].

فالناس باعتبار الحب والبغض والولاء والبراء ينقسمون إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: من يُحَبُّ جملة:

وهو من آمن بالله ورسوله، وقام بوظائف الإسلام ومبانيه العظام علمًا وعملًا واعتقادًا، وأخلص أعماله وأفعاله وأقواله لله، وانقاد لأوامره وانتهى عما نهى الله عنه ورسوله، وأحب في الله، ووالى في الله وأبغض في الله، وعادى في الله، وقدم قول رسول الله ﷺ على قول كل أحد كائنًا من كان.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٠٨- ٢٠٩).

الصنف الثاني: من يُحَبُّ من وجه، ويُبغَضُ من وجه.

وهو المسلم الذي خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا.

فيُحبُّ ويوالى على قدر ما معه من الخير، ولا يُبغض أكثر مما يصلح، وإذا أردت الدليل على ذلك: فهو في قصة ذلك الرجل من الصحابة، والذي كان يشرب الخمر، فأتي به إلى رسول الله ﷺ فلعنه رجل وقال: ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله**»[(١)].

الصنف الثالث: مَن يُبغَضُ جملة.

وهو من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ولم يؤمن بالقدر خيره وشره وأنه كله بقضاء الله وقدره، وأنكر البعث بعد الموت، أو أنكر أحد أركان الإسلام الخمسة، أو أشرك الله في عبادته أحدًا من الأنبياء والأولياء والصالحين، وصرف لهم نوعًا من أنواع العبادة: كالحب والدعاء والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر والإنابة والذل والخضوع والخشية والرغبة والرهبة والتعلق. أو ألحد في أسمائه وصفاته واتبع غير سبيل المؤمنين، وانتحل ما كان عليه أهل البدع والأهواء المضلة، وكذلك من قامت به نواقض الإسلام العشرة أو أحدها»[(٢)].

فعلى هذا التقسيم تتضح صورة الحب والبغض، والولاء والبراء.

فيوالي ويحب المؤمن المستقيم على دينه ولاءً وحبًّا كاملين.

ويتبرأ ويعادي الكفرة والملحدين والمشركين والمرتدين ويعاديهم

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) «إرشاد الطالب» لابن سحمان (ص٢٩).

عداوة وبغضًا كاملين.

وأما من خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فيوالى بحسب ما عنده من الإيمان، ويعادى بحسب ما هو عليه من الشر.

العلامة العاشرة لمحبة الرجل لنبيه ﷺ: الزهد في الدنيا:

ومن المحبة للنبي ﷺ أن لا يركن العبد إلى الدنيا وأن يزهد فيها لينال حب الله ورسوله ﷺ «إنما الشأن أن تُحَبَّ».

• عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبَّكَ الناس»**[1].

• وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ازهد في الدنيا يحبك الله، وأما الناس فانبذ إليهم هذا يحبوك»**[2].

أي اترك لهم المال يحبوك.

• ومن جعل رسول الله أسوته وقدوته لا يركن إلى الدنيا وهو يسمع حبيبه ﷺ يقول عنها فيما يروي عنه ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما لي وللدُّنيا! ما أنا في الدنيا إلَّا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ، ثم راح وتركها»**[3].

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه، والطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٤٤)، و«صحيح الجامع» رقم (٩٢٢).

(٢) صحيح: رواه أبو نعيم في «الحلية» وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٤٤)، و«صحيح الجامع» (٩٢٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك»، والضياء في «المختارة»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٣٨)، و«صحيح الجامع» (٥٦٦٨).

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما لي وللدنيا، وما للدنيا ومالي! والذي نفسي بيده، ما مثلي ومثل الدنيا، إلّا كراكب سار في يومٍ صائف، فاستظلَّ تحت شجرة ساعة من النهار، ثم راح وتركها**»[1].

العلامة الحادية عشرة: الغيرة لله ولرسوله ﷺ:

ومن علامة محبته ﷺ الغيرة على محارم الله ورسوله ﷺ إذا استُحلَّت والغضب لها كما يغضب النمر إذا حَرِب.

فكيف لا يغار العبد المحب لرسوله ﷺ ويغضَب والتطاول على أزكى الرسل وسيدهم ﷺ فاق كلَّ حَدٍّ من المغضوب عليهم والضالين، من اليهود والنصارى، ومن عُبّاد البقر، والزنادقة، والملاحدة، وأهل النفاق.. والتطاول على سُنَّتِه وإنكار المتواتر منها، وإنكار ما صححه جهابذة الحديث وشيوخ الحفَّاظ أصبح تجارةً رائجة بين الدهماء والغوغاء أتباع كل ناعق، وأهل الخُبْث ممن يعرفهم الناس من لحن قولهم.

فالمحب لله ورسوله يكون شجًى في حلوق المارقين والمنافقين، ويجعل أنفاسه وقفًا على الذبِّ عنه.

إنه لمقام كريم ليس هناك مقام أرفع منه أن يكون العبد نصيرًا لله ولرسوله ﷺ إن هذه الصفة تحمل من التكريم ما هو أكبر من كل نعيم، فما أجدر محبِّي رسول الله ﷺ أن ينتدبوا لهذا الأمر الدائم.

• طوبى لمن يغار لرسول الله ﷺ وينافح عنه، إن له لنصيب من قول

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والحاكم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٣٩)، و«صحيح الجامع» (٥٦٦٩).

رسول الله ﷺ لحسان: «**إن رُوح القدس**(١) **لا يزال يؤيِّدُك ما نافحت عن الله ورسوله**»(٢).

عِرْضِي فدا عِرْض الحبيب محمد	وفداهُ مُهجةُ خافقي وجناني
وفِداهُ كُلُّ صغيرنا وكبيرنا	وفداهُ ما نظرت له العينانِ

الصلاة على رسول الله ﷺ:

ومن حقوق النبي ﷺ على أمته الصلاة عليه بأبي هو وأمي ﷺ، ومن أجمل ما كُتب في الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ما كتبه ابن القيم في «جلاء الأفهام» ونضيف له شاهده من الأحاديث الصحيحة.

□ قال رَحِمَهُ اللهُ في «جلاء الأفهام» تحت عنوان «في الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه»(٣):

الأولى: امتثال أمر الله سبحانه وتعالى.

* قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب].

الثانية: موافقته سبحانه في الصلاة عليه ﷺ، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف.

الثالثة: موافقة ملائكته فيها.

الرابعة: حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.

---

(١) روح القدس: جبريل عليه السلام.

(٢) رواه مسلم عن عائشة.

(٣) انظر: «جلاء الأفهام» (ص٦١٢- ٦٢٥).

الخامسة: أنه يرفع له عشر درجات.

السادسة: أنه يكتب له عشر حسنات.

السابعة: أنه يمحى عنه عشر سيئات.

• عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلَّى عليَّ صلاةً واحدةً، صلَّى الله عليه عشرَ صلوات، وحطَّ عنه عشرة خطيئات، ورفع له عشرَ درجات**»[1].

الثامنة: أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه، فهي تصاعد الدعاء إلى عند رب العالمين عز وجل. «وكان موقوفًا بين السماء والأرض قبلها».

التاسعة: أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها «بسؤال» الوسيلة له أو أفردها.

• عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صلَّى عَليَّ حين يصبح عشرًا، وحين يُمسي عشرًا أدركته شفاعتي يوم القيامة**»[2].

العاشرة: أنها سبب لغفران الذنوب.

الحادية عشرة: أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.

• عن الطفيل بن أُبي بن كعب عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام، فقال: «**يا أيها الناس، اذكروا الله، جاءت الراجفة**

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والبخاري في «الأدب»، والنسائي، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب»، و«تخريج المشكاة» (٩٢٢)، و«صحيح الجامع» (٦٣٥٩).

(٢) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي الدرداء، وحسّنه في «صحيح الترغيب» و«صحيح الجامع» (٦٣٥٧).

تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه». قال أُبيّ: قلت: يا رسول الله! إني أُكثِرُ الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: «ما شئتَ»، قال: قلتُ الربع؟ قال: «ما شئت، فإن زِدتَ؛ فهو خيرٌ لك»، قلتُ: النصف؟ قال: «ما شئتَ، فإن زدتَ، فهو خير لك». قال: قلتُ: فالثلثيْن؟ قال: «ما شئت، فإن زدتَ؛ فهو خير لك». قال: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إذًا تُكفَى هَمَّك، ويُغفرُ لك ذنبك»[1].

□ قال ابن القيم في «جلاء الأفهام»: «وسُئِل شيخنا أبو العباس ابن تيمية رحمه الله عن تفسير هذا الحديث، فقال: كان لأُبيٍّ دعاءٌ يدعو به لنفسه، فسأل النبي ﷺ: هل يجعل له منه ربعه صلاةً عليه ﷺ؟ فقال: «إن زدت فهو خير لك»، فقال له: النصف؟ فقال: «إنْ زدتَ فهو خير لك»، إلى أن قال: أجعل لك صلاتي، أي: أجعل دعائي كله صلاة عليك، قال: «إذًا تُكفَى هَمك، ويُغفَر لك ذنبك»؛ لأن من صلَّى على النبي ﷺ صلَّى الله عليه بها عشرًا، ومَن صلَّى الله عليه كفاه همه، وغفر له ذنبه»، هذا معنى كلامه رحمه الله»[2].

الثانية عشرة: أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة.

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ١٣٦)، والترمذي (٢٤٥٧)، والحاكم في «المستدرك» وابن أبي شيبة (٨٧٠٦، ٣١٧٨٣)، والقاضي إسماعيل (١٤)، وابن أبي عاصم في «الصلاة على النبي ﷺ» (٥٨)، وابن شاهين في «الترغيب» رقم (٢١)، وله شاهد عن الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٣٨٩)، وابن أبي عاصم في «الصلاة على النبي ﷺ» (٦٠) والطبراني (٤/رقم ٣٥٧٤)، والبيهقي في «الشعب» (١٧٤٨).

(٢) «جلاء الأفهام» (ص١٤٩).

الثالثة عشرة: أنها تقوم مقام الصدقة لذي العسرة.

الرابعة عشرة: أنها سبب لقضاء الحوائج.

الخامسة عشرة: أنها سبب لصلاة الله على المصلِّي، وصلاة ملائكته عليه. وهذا سببٌ من أسباب الخروج من الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته وأخرجوهم من الظلمات إلى النور، فأي خير لم يحصل لهم؟! وأي شر لم يندفع عنه؟ فيا حسرة الغافلين عن ربِّهم ماذا حرموا من خيره وفضله! وبالله التوفيق»[(١)].

السادسة عشرة: أنها زكاة للمصلي وطهارة له.

السابعة عشرة: أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته، ذكره الحافظ أبو موسى في كتابه.

الثامنة عشرة: أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة، ذكره أبو موسى.

التاسعة عشرة: أنها سبب لرد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصلاة والسلام على المصلي والمسلم عليه.

العشرون: أنها سبب لتذكر العبد ما نسيه.

الحادية والعشرون: أنها سبب لطيب المجلس، وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.

الثانية والعشرون: أنها سبب لنفي الفقر.

---

(١) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» (١٠٠).

الثالثة والعشرون: أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره، صلى الله تعالى عليه وسلم.

الرابعة والعشرون: نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف إذا تركها عند ذكره ﷺ.

الخامسة والعشرون: أنها ترمي صاحبها على طريق الجنة، وتخطئ بتاركها عن طريقها.

السادسة والعشرون: أنها تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر فيه الله تعالى ورسوله ﷺ، ويحمد الله ويثنى عليه فيه، ويصلى على رسوله ﷺ.

السابعة والعشرون: أنها سبب لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله تعالى والصلاة على رسوله ﷺ.

الثامنة والعشرون: أنها سبب لوفور نور العبد على الصراط.

التاسعة والعشرون: أنه يخرج بها العبد عن الجفاء.

الثلاثون: أنها سبب لإبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض؛ لأن المصلي طالب من الله أن يثني على رسوله ويكرمه وشرفه، والجزاء من جنس العمل، فلا بد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك.

الحادية والثلاثون: أنها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه؛ لأن المصلي داعٍ ربَّه أن يبارك عليه، وعلى آله، وهذا الدعاء مستجاب، والجزاء من جنسه.

الثانية والثلاثون: أنها سبب لنيل رحمة الله له؛ لأن الرحمة إما معنى

الصلاة -كما قاله طائفة-، وإما من لوازمها وموجباتها على القول الصحيح، فلا بد للمصلي عليه من رحمة تناله.

الثالثة والثلاثون: أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها. وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلَّا به؛ لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه؛ تضاعف حبه له، وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه. وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره وإحضار محاسنه بقلبه؛ نقص حبه من قلبه، ولا شيءَ أقر لعين العبد المحب من رؤية محبوبه، ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه، فإذا قوي هذا في قلبه؛ جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه، والحسُّ شاهد بذلك، حتى قال بعض الشعراء في ذلك:

عَجِبتُ لمن يَقُولُ ذَكَرتُ حِبِّي ... وَهَلْ أنْسَى فَأذْكُرُ مَنْ نَسِيتُ

فتعجَّب هذا المحب ممن يقول: ذكرت محبوبي؛ لأن الذكر يكون بعد النسيان، ولو كمل حب هذا؛ لما نسي محبوبه.

□ وقال آخر:

أُريد لأنسَى ذِكْرَهَا فَكَأنَّما ... تَمَثَّل لي لَيلى بكُلِّ سَبيلِ

فهذا أخبر عن نفسه أن محبَّتَهُ لها مانعٌ له من نسيانها.

□ وقال آخر:

يُرادُ من القَلْب نِسْيانُكُم ... وَتأبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ

فأخبر أنَّ حبَّهم وذكرهم قد صار طبعًا له، فمن أراد منه خلاف ذلك؛

أبت عليه طباعُه أن تنتقلَ عنه، والمثل المشهور: «من أحبَّ شيئًا؛ أكثر من ذكره»، وفي هذا الجناب الأشرف أحقُّ ما أنشد:

لـو شُـقَّ عـن قَلْبـي ففـي وَسْـطِهِ ... ذِكْـــرُكَ والتَّوحيـــدُ في شـــطره

فهذا قلب المؤمن: توحيدُ الله وذكرُ رسوله مكتوبان فيه لا يتطرق إليهما محوٌ ولا إزالةٌ. ولما كانت كثرةُ ذكر الشيء موجبةً لدوام محبته، ونسيانُه سببًا لزوال محبته أو ضعفها، وكان الله سبحانه هو المستحقَّ من عباده نهاية الحب مع نهاية التعظيم، بل الشرك الذي لا يغفره الله تعالى هو أن يُشرَكَ به في الحُبِّ والتَّعظيم، فَيُحِبُّ غيره ويُعظِّمُ من المخلوقات (غيرَه) كما يُحِبُّ الله تعالى ويعظِّمه. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فأخبر سبحانه أن المشرك يحب النِّدَّ كما يحب الله تعالى، وأنَّ المؤمنَ أشدُّ حبًا لله من كل شيءٍ.

وقال أهل النار في النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء]، ومن المعلوم أنهم إنما سووهم به سبحانه في الحب والتأله والعبادة، وإلَّا فلم يقل أحد قط: إنَّ الصَّنم أو غيره من الأنداد مساوٍ لرب العالمين سبحانه وتعالى في صفاته، وفي أفعاله، وفي خلق السماوات والأرض، وفي خلق عابده أيضًا. وإنما كانت التسوية في المحبة والعبادة.

وأضل من هؤلاء وأسوأ حالًا مَنْ سَوَّى كلَّ شيءٍ بالله سبحانه وتعالى في الوجود وجعله وجودَ كلِّ موجودٍ كامل أو ناقص، فإذا كان الله قد حكم بالضَّلال والشَّقاء لمن سوَّى بينه وبين الأصنام في الحب -مع

اعتقادهم تفاوت ما بين الله وبين خلقه في الذات والأوصاف والأفعال- فكيف بمن سوَّى الله بالموجودات في جميع ذلك، وزعم أنه ما عبد غير الله في كلِّ معبود(١).

والمقصود: أن دوام الذكر لما كان سببًا لدوام المحبة، وكان الله سبحانه أحقَّ بكمال الحب والعبودية والتعظيم والإجلال؛ كان كثرةُ ذكره من أنفع ما للعبد، وكان عدوُّه حقًّا هو الصَّاد له عن ذكر ربه عَزَّ وَجَلَّ وعبوديته؛ ولهذا أمر الله سبحانه بكثرة ذكره في القرآن وجعله سببًا للفلاح، فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون]، وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال النبي ﷺ: «**سبق المفرِّدُون**»، قالوا: يا رسول الله، وما المفرِّدون؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا**»(٢).

وفي الترمذي: عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا أدلكم على خير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم،**

---

(١) القائلون بذلك: هم أهل وحدة الوجود: مثل ابن عربي، وابن الفارض، وابن سبعين، وعبد الكريم الجيلي، ومن اتبع طريقهم كما بين الشيخ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في غير هذا الموضع.

(٢) أخرجه مسلم (٤) رقم (٢٦٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وخير لكم من إنفاق الذَّهب والوَرِق، وخيرٍ لكم من أن تَلْقَوا عدوَّكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ذكر الله»[1].

وهو في «الموطأ»[2] موقوف على أبي الدرداء رضي الله عنه.

وذكره رسوله ﷺ تبع لذكره.

والمقصود: أن دوام الذكر سبب لدوام المحبة، فالذكر للقلب كالماء للزرع، بل كالماء للسمك لا حياة له إلَّا به.

وهو أنواع: ذكره بأسمائه وصفاته، والثناء عليه بها.

الثاني: تسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله وتمجيده، وهو الغالب من استعمال لفظ الذكر عند المتأخرين.

الثالث: ذِكْرُهُ بأحكامه وأوامره ونواهيه، وهو ذِكْر العَالِم، بل الأنواع الثلاثة هي ذكرهم لربهم.

* ومن أفضل ذكره؛ ذكره بكلامه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه].

فذكره هنا: كلامه الذي أنزله على رسوله.

* وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، وأحمد (٤/ ١٩٥)، (٦/ ٤٤٧)، والحاكم (١/ ٤٩٦)، والطبراني في «الدعاء» (١٨٧٢)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٢)، والبغوي (١٢٤٤)، وإسناده صحيح.

(٢)(١/ ١٦٥).

ومن ذكره سبحانه: دعاؤه واستغفاره والتضرع إليه، فهذه خمسة أنواع من الذِّكر.

الفائدة الرابعة والثلاثون: أن الصلاة عليه ﷺ سبب لمحبته للعبد، فإنها إذا كانت سببًا لزيادة محبة المصلَّى عليه له، فكذلك هي سبب لمحبته هو للمصلي عليه.

الخامسة والثلاثون: أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره؛ استولت محبتُه على قلبه، حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيءٍ من أوامره، ولا شك في شيءٍ مما جاء به، بل يصير ما جاء به مكتوبًا مسطورًا في قلبه، لا يزال يقرؤه على تعاقُب أحواله، ويقتبس الهدى والفلاحَ وأنواعَ العلوم منه، وكلما ازداد في ذلك بصيرة وقوة ومعرفة؛ ازدادت صلاتُه عليه ﷺ.

ولهذا؛ كانت صلاة أهل العلم العارفين بسنته وهديه المتبعين له عليه خلافَ صلاة العوام عليه الذين حظهم منها إزعاجُ أعضائهم بها ورفع أصواتهم، وأما أتباعه العارفون بسنته، العالمون بما جاء به؛ فصلاتُهم عليه نوعٌ آخر، فكلما ازدادوا فيما جاء به معرفة، ازدادوا له محبة ومعرفة بحقيقة الصلاة المطلوبة له من الله.

وهكذا؛ ذِكر الله سبحانه، كلما كان العبدُ به أعرفَ وله أطوع، وإليه أحب، كان ذكرهُ غير ذكر الغافلين واللاهين، وهذا أمرٌ إنما يعلم بالخُبر لا بالخَبر، وفرق بين من يذكر صفات محبوبه الذي قد ملك حبُّه جميعَ قلبه، ويثني عليه بها ويُمجِّده بها، وبين من يذكرها إما إثارة وإما لفظًا، لا يدري ما معناه لا يُطابقُ فيه قلبُه لسانَه، كما أنه فرق بين بكاء النائحة

وبكاء الثكلى، فذكرُه ﷺ وذكرُ ما جاء به وحمد الله تعالى على إنعامه علينا ومنته بإرساله ﷺ هو حياةُ الوجود وروحُه، كما قيل:

رُوحُ المجالِس ذِكْرُهُ وحديثُهُ ... وهُدًى لِكُلِّ مُلدَّدٍ حَيْرَانِ
وإذا أُخِلَّ بِذِكْرِه في مَجْلِسٍ ... فأُولئِكَ الأمواتُ في الحيَّانِ

السادسة والثلاثون: أنها سبب لعرض اسم المصلي عليه ﷺ وذكره عنده.

• عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن لله ملائكة سيَّاحين يُبَلِّغوني عن أمَّتي السلام»**[1].

وكفى بالعبد نبلًا أن يُذكر اسمه بالخير بين يدي رسول الله ﷺ، وقد قيل في هذا المعنى:

ومن خَطَرَتْ منه ببالك خَطْرَةٌ ... حقيقٌ بأن يَسْمو وأنْ يتقدّما

□ وقال الآخر:

أهلًا بما لم أكنْ أهلًا لِموقِعِهِ ... قَوْلَ المُبَشِّر بَعْدَ اليأسِ بالفَرَج
لَكَ البَشارَةُ فاخْلَعْ ما عَلَيْكَ فَقَدْ ... ذَكرتَ ثَمَّ على ما فيكَ مِنْ عِوَج

---

(١) إسناده صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣/ رقم ٩١٣)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٥٢١٣) وابن أبي شيبة (٨٧٥٥)، وعبد الرزاق (٣١١٦)، والدارمي (٢٧٧٧)، والقاضي إسماعيل (٢١)، والحاكم (٢/ ٤٢١)، والطبراني (١٠٥٢٨- ١٠٥٣٠)، وابن أبي عاصم في «الصلاة علىٰ النبي ﷺ» (٢٨)، والبهقي في «الدعوات» (١٥٩)، والبغوي (٣/ رقم ٦٨٧)، وأبو نُعيم (٤/ ٢٠١)، و(٨/ ١٣٠)، وقال ابن القيم في «جلاء الأفهام» (ص١٢٠): «وهذا إسناد صحيح».

السابعة والثلاثون: أنها سبب لتثبيت القدم على الصِّراط، والجواز عليه، لحديث عبد الرحمن بن سَمُرَة الذي رواه عنه سعيد بن المسيب في رؤيا النبي ﷺ، وفيه.

«ورأيت رجلًا من أمتي يزحف على الصراط ويحبو أحيانًا ويتعلق أحيانًا، فجاءته صلاتُه عليَّ، فأقامته على قدميه وأنقذته»[1].

رواه أبو موسى المديني وبنى عليه كتابه في «الترغيب والترهيب»: «وقال: هذا حديث حسن جدًّا».

الثامنة والثلاثون: أن الصلاة عليه ﷺ أداءٌ لأقلِّ القليل من حقّه،

---

(١) حسن: أخرجه التيمي في «الترغيب» (رقم ١٦٥٥، ٢٤٩١)، وبحشل في «تاريخ واسط» (ص١٦٩- ١٧٠)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص٩) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩/ ق٩٦٧)، والحكيم الترمذي في «النوادر» (ص٣٢٤)، وساق سنده القرطبي في «التذكرة» - يسر الله إتمامها بخير- ، والبيهقي في «الشعب» (٥/ رقم ٥٥٠٩، ٥٥١٠)، والطبراني -كما في «المجمع» (٧/ ١٨٠)- ، والديلمي في «الفردوس»، وابن شاهين في «الترغيب» (رقم ٥٢٦)، وأبو موسىٰ المديني في «ترغيبه»، وبناء عليه جعله شرحًا له، وقال: «هذا حديث حسن»، وأبو المحاسن الروياني في كتابه «الألف حديث عن مئة شيخ»، وأبو يعلىٰ في «إبطال التأويلات»، وابن شاذان، والباغيان في «فوائده» عن أبي عمرو بن منده، وقال: غريب، - كما في «عجالة الإملاء» للناجي (ق٣٦)، و«القول البديع» (ص١٣٠- ١٣١)، و«الكنز» (١٥/ رقم ٤٣٥٩٢)- ، وابن الجوزي في «مشيخته» (رقم ٨٠)، وضعفه الذهبي في «الميزان» (٤/ ٨٣). قال المصنف في «الروح» (ص١١٥)، و«الوابل الصيِّب» (١٤٤): «سمعت شيخ الإسلام يعظِّم أمر هذا الحديث. وقال: أصول أهل السنة تشهد له، وهو من أحسن الأحاديث». وقال القرطبي في «التذكرة» (ص٢٩٣): «هذا حديث عظيم، ذكر فيه أعمالاً خاصة، تنجِّي من أهوال خاصة».

وشكر له على نعمته التي أنعم الله تعالى بها علينا، مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يحصى علمًا ولا قدرةً ولا إرادةً، ولكن الله سبحانه -لكرمه- رضي من عباده باليسير من شكره، وأداء حقه.

التاسعة والثلاثون: أنها متضمنة لذكر الله وشُكره، ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله، فالمصلي عليه ﷺ قد تضمَّنت صلاتُه عليه ذكر الله تعالى، وذكرَ رسوله، وسؤاله أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهلُه، كما عرفنا ربنا (تعالى) وأسماءه وصفاته، وهدانا إلى طريق مرضاته، وعرفنا ما لنا بعد الوصول إليه، والقدوم عليه، فهي متضمنة لكل الإيمان، بل هي متضمنة للإقرار بوجود الرَّبِّ المدعو (تعالى)، وعلمه وسمعه وقدرته وإرادته وصفاته وكلامه، وإرسال رسوله، وتصديقه في أخباره كلها، وكمال محبته، ولا ريب أن هذه هي أصول الإيمان، فالصلاة عليه ﷺ متضمنة لعلم العبد ذلك، وتصديقه (به)، ومحبته له، فكانت من أفضل الأعمال.

الأربعون: أن الصلاة عليه ﷺ من العبد هي دعاء، ودعاء العبد وسؤاله من ربه (تعالى) نوعان:

أحدهما: سؤالُه حوائجه ومهماته وما ينوبه في الليل والنهار، فهذا دعاء وسؤال، وإيثار لمحبوب العبد ومطلوبه.

والثاني: سؤاله أن يُثنيَ على خليله وحبيبه ﷺ، ويزيد في تشريفه وتكريمه وإيثاره ذكره، ورفعه. ولا ريب أن الله تعالى يحب ذلك ورسوله يحبه ﷺ، فالمصلي عليه ﷺ قد صرف سؤاله ورغبته وطلبه إلى محاب الله تعالى ورسوله، وآثر ذلك على طلبه حوائجه ومحابه هو، بل كان هذا المطلوب من أحب الأمور إليه وآثرها عنده، فقد آثر ما يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ على ما يُحبُّه هو، فقد آثر الله ومحابّه على ماسواه، والجزاء

من جنس العمل، فمن آثر الله على غيره؛ آثره الله على غيره، واعتبر هذا بما تجد النَّاس يعتمدونه عند ملوكهم ورؤسائهم إذا أرادوا التقرب إليهم والمنزلة عندهم، فإنهم يسألون المطاعَ أن يُنعِمَ على من يعلمونه أحب رعيته إليه، وكلما سألوه أن يزيد في حبائه وإكرامه وتشريفه؛ علت منزلتُهم عنده، وازداد قربُهم منه، وحظوتهم لديه؛ لأنهم يعلمون منه إرادةَ الإنعامِ والتشريف والتكريم لمحبوبه، فأحبُّهم إليه أشدُّهم له سؤالًا ورغبةً أن يُتمَّ عليه إنعامَه وإحسانَه؛ هذا أمر مشاهد بالحسِّ، ولا تكون منزلة هؤلاء ومنزلة من يسأل المطاع حوائجه هو، وهو فارغ من سؤاله تشريف محبوبه والإنعام عليه واحدًا، فكيف بأعظم مُحبٍّ وأجله لأكرم محبوب وأحقه بمحبة ربه له؟ ولو لم يكن من فوائد الصلاة عليه إلَّا هذا المطلوب وحده؛ لكفى المؤمن به شرفًا.

وهاهنا نكتة حسنة لمن علَّم أمته دينه وما جاء ﷺ به، ودعاهم إليه، وحضَّهم عليه، وصبر على ذلك، وهي أن النبي ﷺ له من الأجر الزائد على أجر عمله مثل أجور من اتبعه، فالداعي إلى سنته ودينه ﷺ، والمعلم الخير للأمة إذا قصد توفيرَ هذا الحظ على رسول الله ﷺ، وصرفه إليه، وكان مقصودهُ بدعاء الخلق إلى الله التَّقربَ إليه بإرشاد عباده، وتوفير أجور المطيعين له على رسول الله ﷺ مع توفيتهم أجورهم كاملةً؛ كان له من الأجر في دعوته وتعليمه بحسب هذه النية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

الحادية والأربعون: أنها سبب لإخراج العبد من الظلمات إلى النور كما مرّ من كلام ابن القيم ولم يفردها في «الفوائد والثمرات» وأعظم بها من فائدة.

وعالي الهمة المحبُّ الصادق لنبيه ﷺ يعلم جيِّدًا مواضع الصلاة عليه، لا يفوته شيءٌ منها؛ وذلك لعظِم حرصه على الصلاة على حبيبه ﷺ:

ومواطن الصلاة عليه ﷺ التي يتأكد طلبها إما وجوبًا وإما استحبابًا مُؤَكَّدًا هي:

الموضع الأول: وهو أهمها وأكدها في الصلاة في آخرها التشهد، وقد أجمع المسلمون على مشروعيته، واختلفوا في وجوبه فيها.

الموطن الثاني: من مواطن الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأول.

الموطن الثالث: الصلاة عليه آخر القنوت.

الموطن الرابع: صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية.

الموطن الخامس: الخُطبُ كخُطْبَة الجمعة، والعيدين، والاستسقاء وغيرها.

الموطن السادس: بعد إجابة المؤذِّن وعند الإقامة.

• عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن؛ فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلَّا لعبد من عباد الله تعالى، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة؛ حلت عليه شفاعتي**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣)، ونحوه: أحمد (٢/ ١٦٨)، والترمذي (٤/ ٣٦) والنسائي (٢/ ٢٥)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٤٥)، و«الكبرىٰ» (١٥٦٨)، وعبد بن حميد (٣٥٤)، وابن خزيمة (٤١٨)، وابن حبان (٤/ رقم ١٦٩٠)، وابن المنذر في «الأوسط» (٣/ رقم ١١٩١)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤٦)، وابن أبي شيبة (١/ ٢٢٦- ٢٢٧).

الموطن السابع من مواطن الصلاة على النبي ﷺ عند الدعاء:

وله ثلاث مراتب:

إحداها: أن يُصَلِّيَ عليه قبل الدعاء، وبعد حمد الله تعالى.

والمرتبة الثانية: أن يُصَلِّيَ عليه في أول الدعاء وأوسطه وآخره.

والثالثة: أن يصلي عليه في أوله وآخره، ويجعل حاجته متوسطة بينهما.

• عن فَضَالة بن عُبَيْد رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ قال: سمع رسول الله ﷺ رجُلًا يدعو في صلاته لم يحمد الله، ولم يُصَلِّ على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**عَجِل هذا**»، ثم دعاه، فقال له أو لغيره: «**إذا صلَّى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ويدعو بما شاء**»[1].

• وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أصلَي والنبيُّ ﷺ وأبو بكر وعمرُ معه، فلما جلستُ؛ بدأتُ بالثناء على الله تعالى، ثم بالصلاة على النبي ﷺ، ثم دعوت لنفسي، فقال النبي ﷺ: «**سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَه**»[2].

---

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد (٦/ ١٨)، وأبو داود (١٤٨١)، واللفظ له، والنسائي (٣/ ٤٤)، والترمذي (٣٤٧٧)، وقال: حديث صحيح. ورواه ابن حبّان في «صحيحه» (٥/ برقم ١٩٦٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣/ ٧٦- ٧٧) و(٦/ رقم ٢٢٤٢)، وابن المنذر في «الأوسط» (٣/ رقم ١٥٢٩)، والقاضي إسماعيل في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (١٠٦)، والطبراني (١٨/ ٧٩١، ٧٩٣)، والحاكم (١/ ٢٣٠، ٢٦٨)، والبيهقي (٢/ ١٤٧- ١٤٨)، وتابع أبا عبدالرحمن المقري: ابن وهب، وعبد الله بن المبارك..

(٢) إسناده حسن: رواه الترمذي (٥٩٣)، وقال: حديث حسن صحيح. ورواه أحمد =

الموطن الثامن من مواطن الصلاة على النبي ﷺ: «عند دخول المسجد وعند الخروج منه»:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دخل أحدكم المسجد؛ فلْيُسلِّم على النبي ﷺ، وليقل: اللَّهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج؛ فلْيُسلِّم على النبي ﷺ وليقل: اللَّهم أجِرْني من الشيطان الرجيم**»[1].

• عن عبد الله بن الحسن عن أمه أن النبي ﷺ قال لابنته فاطمة رضي الله عنها: «**إذا دخلتِ المسجد فقولي: بسم الله، والحمد لله، اللَّهم صلِّ على محمد وسلم، اللَّهم اغفر لي وسهِّل لي أبواب رحمتك، فإذا خرجت فقولي كذلك**» إلَّا أنه قال: «**وسهِّل لي أبواب رزقك**»[2].

الموطن التاسع: على الصَّفَا والمروة.

عن نافع؛ أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يُكبِّر على الصَّفا ثلاثًا، يقول: «لا إله

ابن حنبل مختصرًا (١/ ٧)، رقم (٣٥) وأخرجه مختصرًا أيضًا: ابن ماجه رقم (١٣٨)، وأبو يعلىٰ (رقم ١٧، ٥٠٥٩)،والبزار رقم (٢٦٨١- زوائده)، وإسناده حسن من أجل عاصم بن بهدلة.

(١) صحيح: أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (رقم ٤٥٢)، وابن حبان في «صحيحه» (رقم ٣٢١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٩٠)، وابن ماجه (٧٧٣)، وابن أبي شيبة (٢٩٧٦٧)، وعبد الرزاق (١٦٧١)، والحاكم (١/ ٢٠٧)، وابن السني (٨٦)، والبيهقي (٢/ ٤٤٢)، والطبراني في «الدعاء» (٤٢٧ و٤٢٨).

(٢) صحيح بشواهده: رواه أحمد (٦/ ٢٨٣)، وابن ماجه (٧٧١)، والقاضي إسماعيل (٨٣)، و«الدعاء» (٤٢٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ رقم ١٠٤٢)، وابن حجر في «نتائج الأفكار» (١/ ٢٨٧).

إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير، ثم يُصلِّي على النَّبيّ ﷺ، ثم يدعو، ويُطيل القيام والدُّعاء، ثم يفعل على المروة مثل ذلك»[١].

الموطن العاشر: عند اجتماع القوم قبل تفرُّقِهم:

• عن جابر رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**ما اجتمع قوم، ثم تفرَّقوا عن غيرِ ذكر الله، وصلاةٍ على النبي ﷺ إلَّا قاموا عن أنتنَ مِن جيفة**»[٢].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمع قومٌ في مجلس فتفرّقوا، ولم يذكروا الله، ويصلُّوا على النبي ﷺ، إلَّا كان مجلِسُهم تِرةً عليهم يوم القيامة**»[٣].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما جلس قومٌ مجلسًا فلم يذكروا الله تعالى، ولم يُصَلُّوا على نبيِّه ﷺ إلَّا كان مجلسُهم عليهم تِرَة**[٤] **يوم القيامة، إن شاء عفا عنهم، وإن شاء آخذهم**»[٥].

---

(١) إسناده صحيح: رواه القاضي إسماعيل في «الصلاة على النبي» (رقم ٨٧)، وأخرج نحوه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ رقم ٢٩٦٣٩).

(٢) صحيح: رواه الطيالسي، والبيهقي في «الشعب»، والضياء في «المختارة»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٠)، و«صحيح الجامع» (٥٥٠٦). وقال أبو عبد الله المقدسي: هذا عندي على شرط مسلم.

(٣) صحيح: رواه أحمد، وابن حبان، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٧)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٥١٠).

(٤) تِرَة: نقص. وقال الترمذي: حسرة وندامة.

(٥) صحيح: رواه الترمذي (٣٣٨٠)، وقال: حديث حسن، ورواه أحمد (٢/ ٤٤٦، ٤٨١)، (٢/ ٤٨٤)، وأبو نعيم (٨/ ١٣٠)، (٨/ ١٣٠- ١٣١)، والحاكم (١/ ٤٩٦)، والطبراني في «الدعاء» (١٩٢٣)، وعبد الله بن المبارك في «الزهد» =

• وعند ابن حبان من حديث أبي هريرة ولفظه: «ما قعد قومٌ مقعدًا لا يذكرون الله فيه، ويُصَلُّون على النبي ﷺ إلَّا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإنْ دَخُلوا الجنَّة للثواب»(١).

• وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: **«ما من قوم يقعدون، ثم يقومون لا يُصَلُّون على النبي ﷺ؛ إلَّا كان عليهم يوم القيامة حسرةً، وإن دخلوا الجنة يَرَوْن الثواب»**(٢).

الموطن الحادي عشر: عند ذكره ﷺ:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«رَغِمَ أنفُ رجلٍ ذُكِرْتُ عنده فلم يصل عليَّ! ورغم أنف رَجُل دخل عليه رمضان، ثم انسلخ قبل أن يُغفرَ لهُ! ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يُدْخِلاه الجنَّة!»**(٣).

---

(٩٦٢). وسفيان ممَّن سمع من صالح مولىٰ التَّوْأمة بعد الاختلاط، ولكنه لم ينفرد به، فقد تابعه ابن أبي ذئب عند أحمد (٢/ ٤٥٣)، وزياد بن سعد عند أحمد (٢/ ٤٩٥). وعمارة بن غزية عند ابن السني (٤٥١)، والطبراني في «الدعاء» (١٩٢٤، ١٩٢٥).

(١) إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم: رواه ابن حبّان في «صحيحه» (٢/ رقم ٥٩١).

(٢) إسناده صحيح وله حكم الرَّفْع: أخرجه القاضي إسماعيل في «الصلاة علىٰ النبي ﷺ» (٥٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤١٠)، والبغوي في «الجعديات» (٧٦١)، ورفعه بعضهم كما عند الذهبي في «معجم الشيوخ» (١/ ٦٧) وللمرفوع شواهد عن أبي هريرة وعن واثلة بن الأسقع وهو صحيح.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٤٥)، والحاكم (١/ ٥٤٩)، والقاضي إسماعيل (١٦، ١٧)، وابن أبي عاصم في «الصلاة علىٰ النبي ﷺ» (٦٥)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (١٥٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥١٠)، =

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ رقى المنبر، فقال: «آمين! آمين! آمين!»، فقيل له: يا رسول الله! ما كنت تصنع هذا! فقال: «قال لي جبريل: رَغِم أنفُ رجل دخل عليه رمضان، ولم يُغفر له! فقلتُ: آمين! ثم قال: رغم أنفُ عبدٍ أدركَ أبويْهِ أو أحدهما الكِبَر، لم يدخل الجنة! فقلتُ: آمين، ثم قال: رغم أنفُ عبدٍ ذُكِرْت عنده، فلم يُصَلِّ عليك! فقلت: آمين»[١].

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ ذُكرتُ عنده فليُصَلِّ عليَّ، ومَن صلَّى عليَّ مرَّةً صلَّى الله عليه عشرًا»[٢].

• وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ذُكِرْتُ عِندَه فَخَطِئَ الصلاة عليّ؛ خَطِئَ طريقَ الجنة»[٣].

و«الإرواء» (٦)، و«تخريج المشكاة» (٩٢٧).

(١) إسناده صحيح: رواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» رقم (١٨)، وابن خزيمة (١٨٨٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٤٦)، وابن أبي عاصم في «الصلاة على النبي ﷺ» (٦٦)، وأبو يعلى (٥٩٢٢). وعند ابن حبان رقم (٨٩٥) بلفظ «مَن ذُكرتَ عندَه فلم يصلِّ عليك فمات، فدخل النار، فأبعده الله، قل آمين! فقلتْ: آمين»..

(٢) صحيح: رواه الترمذي، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٦١)، واللفظ له، وأبو يعلى في «معجم الشيوخ» رقم (٢٤٠)، وصححه ابن القيم في «جلاء الأفهام» (ص٤٣٩، ٥٤٣)، وقال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ١٣٢): «سنده جيد»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٢٤٦)، و«صحيح الترغيب والترهيب».

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ رقم ٢٨٨٧)، وأخرجه ابن أبي عاصم في «الصلاة على النبي ﷺ» (٨٣) عن ابن أبي شيبة في «مصنفه» =

• وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «البخيلُ مَن ذُكِرْتُ عندهُ ولم يُصَلِّ عليَّ»[1].

الموطن الثاني عشر: إذا قام الرجل من نوم الليل.

• عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «يضحك الله عز وجل إلى رجلين؛ رجل لقي العدو وهو على فرس من أمثل خيل أصحابه، فانهزموا، وثبت، فإن قتل؛ استشهد، وإن بقي؛ فذلك الذي يضحك الله إليه، ورجل قام في جوف الليل لا يعلم به أحد، فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم حمد الله ومجَّده، وصلى على النبي ﷺ، واستفتح القرآن؛ فذلك الذي يضحك الله إليه، يقول: انظروا إلى عبدي قائمًا لا يراه أحد غيري»[2].

(٣١٧٩٣)، عن جعفر بن محمد عن أبيه، وإسناده صحيح إلا أنه مرسل. ورواه ابن ماجه عن ابن عباس. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٣٧)، و«صحيح الجامع» (٦٢٤٥).

(١) صحيح: رواه أحمد (١/ ٢٠١)، والترمذي (٣٥٤٦) وقال: حسن صحيح غريب، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٦)، وفي «فضائل القرآن» (١٢٥)، وابن حبان (٢٣٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٤٩)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ١٤٨)، وابن أبي عاصم في «الصلاة على النبي ﷺ» (٣٠)، وأبو يعلى (٦٧٧٦)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٨٢)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (١٥١)، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٩٣٣)، و«صحيح الجامع» (٢٨٧٨)، و«فضل الصلاة على النبي ﷺ» (٢٩- ٣١).

(٢) موقوف صحيح: رواه النسائي في «سننه الكبرى» و«في عمل اليوم والليلة» من (رقم ٨٦٧)، وعبد الرزاق (١١/ رقم ٨٧٩٨)، والطبراني (٩/ رقم ٨٧٩٨)، وصح عن ابن مسعود. ورفعه بعضهم كما عند ابن أبي شيبة (٥/ ٣١٣)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (رقم ١٢٥)، و«السُّنَّة» (رقم ٥٦٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ رقم ١٠٣٨٣)، وأحمد (١/ ٤١٦)، وأبو داود (٢٥٣٦- =

الموطن الثالث عشر: عقب ختم القرآن.

وهذا لأن المحل محل دعاء، وقد نصّ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ على الدعاء عقيب الختمة ونصّ على هذا متأخِّروا الحنفية، والمالكية، والشافعية.

الموطن الرابع عشر: يوم الجمعة.

• عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مِنْ أفضل أيَّامكم يوم الجمعة؛ فيه خُلِقَ آدم، وفيه قُبِض، وفيه النفخة، وفيه الصَّعْقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضةٌ عَلَيّ**»، قالوا: يا رسول الله ﷺ! كيف تُعرضُ عليك صلاتنا وقد أَرَمْت[1]! فقال: «**إن الله عَزَّ وَجَلَّ حرّم على الأرض أن تأكلَ أجساد الأنبياء**»[2].

• وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا**

مختصرًا)، وأبو يعلى (٩/ رقم ٥٢٧٢، ٥٣٦١)، والحاكم (٢/ ١١٢- مختصرًا) والبغوي في «شرح السنة» (٤/ رقم ٩٣٠)، و«التفسير» (٥/ ٢٢٥)، والصحيح هو الموقوف، قاله الدارقطني في «العلل» (٥/ رقم ٨٦٩)، ومتابعة إسرائيل لشريك تُقوِّي المرفوع.

(١) يعني: وقد بَلِيتَ.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٨)، والدرامي (١٥٨٠)، وأبو بكر المروزي في «الجمعة وفضلها» (رقم ١٣)، والقاضي إسماعيل في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (رقم ٢٢)، وإسحاق الحربي في «غريب الحديث» (١/ ٦٧- ٦٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣/ رقم ١٥٧٧)، و«فضل الصلاة على النبي ﷺ» (٦٣)، وابن خزيمة في «صحيحه» (رقم ١٧٣٣، ١٧٣٤)، والطبراني (١/ رقم ٥٨٩)، والبيهقي (٣/ ٢٤٨)، و«شعب الإيمان» (١/ ٢١٥) و«حياة الأنبياء» (رقم ١١)، و«فضائل الأوقات» (رقم ٢٧٥)، وصححه النووي في «الأذكار» (٩٧).

الصلاةَ عليَّ في يوم الجمعة؛ فإنه ليسَ يصلي عليَّ أحدٌ يوم الجمعة إلَّا عُرِضتْ عليّ صلاتُهُ»[(١)].

• وقال ﷺ: «أكثروا الصلاة عليّ يومَ الجمعة وليلة الجمعةِ، فمن صلَّى عليّ صلاةً صلَّى الله عليه عشرًا»[(٢)].

• وقال ﷺ: «أكثروا الصلاة عليَّ، فإن الله وكَّل بي مَلَكًا عند قبري، فإذا صلَّى عليَّ رجلٌ من أمتي قال لي ذلك المَلَك: يا محمدُ إنَّ فلان ابن فلانٍ صلَّى عليك الساعة»[(٣)].

• وعن عمّار بن ياسر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن لله تعالى مَلَكًا أعطاه سَمعَ العباد، فليس من أحدٍ يُصَلِّي عليَّ إلَّا أبلغَنيها، وإني سألتُ ربي أنْ لا يصليَ عليَّ عبدٌ صلاة إلَّا صلَّى عليه عشر أمثالها»[(٤)].

الموطن الخامس عشر: عند الهَمِّ والشدائد، وطلب المغفرة:

كما مرّ سابقًا من حديث أبيّ بن كعب.

الموطن السادس عشر: عند كتابة اسمه ﷺ.

---

(١) صحيح: أخرجه الحاكم (٢/ ٤٢١)، والبيهقي في «حياة الأنبياء» (رقم ١٢)، و«شعب الإيمان»، وابن أبي عاصم في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (٦٤)، والحديث صحيح بشواهد، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٢٧)، و«صحيح الجامع» (١٢٠٨).

(٢) حسن: رواه البيهقي في «سننه» عن أنس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٠٧)، و«صحيح الجامع» (١٢٠٩).

(٣) حسن: رواه الديلمي في «مسند الفردوس» عن أبي بكر، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٣٠)، و«صحيح الجامع» (١٢٠٧).

(٤) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، والبخاري في «التاريخ»، وأبو الشيخ. وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٥٣٠)، و«صحيح الجامع» (٢١٧٦).

الموطن السابع عشر: عند تبليغ العلم إلى الناس، وعند التذكير والقصص، وتعليم العلم في أول ذلك وآخره.

□ كتب عمر عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما بعد، فإنَّ أُناسًا من النَّاس قد التمسوا الدُّنيا بعمل الآخرة، وإنَّ مِنَ القُصَّاص قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عِدْلَ صَلاتِهم على النبي ﷺ، فإذا جاءك كتابي هذا؛ فَمُرْهُم أن تكونَ صلاتهم على النبيِّ، ودعاؤُهم للمسلمين عامّة، ويَدَعُوا ما سوى ذلك»[1].

والصلاة على النبي ﷺ في هذا الموطن؛ لأنه موطن لتبليغ العلم الذي جاء به ونشره في أمته وإلقائه إليهم، ودعوتهم إلى سنته وطريقته ﷺ. وهذا من أفضل الأعمال، وأعظمها نفعًا للعبد في الدنيا والآخرة.

الموطن الثامن عشر: أوَّلَ النهار وآخره:

وقد مرّ سابقًا حديث أبي الدرداء.

الموطن التاسع عشر: في الصلاة في غير التشهد.

□ قال الحسن: «إذا مرّ بالصلاة على النبي ﷺ، فليقف، وليُصَلِّ عليه في التطوُّع».

□ ونص الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ على ذلك فقال: «إذا مرّ المصلي بآية فيها ذكر النبي ﷺ، فإن كان في نفل؛ صلى عليه ﷺ»[2].

الموطن العشرون: في أثناء صلاة العيد، فإنه يُستَحَبُّ أن يحمد الله،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ رقم ٣٥٠٩٣) وإسناده صحيح، وعزاه ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٥٣٤) للقاضي إسماعيل، وصحح إسناده.

(٢) «جلاء الأفهام» (ص٦٠٥).

ويثني عليه ويصلي على النبي ﷺ.

□ عن إبراهيم، عن علقمة؛ أن ابن مسعود، وأبا موسى، وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة قبل العيد بيوم فقال لهم: «إن هذا العيد قد دنا، فكيف التكبير فيه؟ قال عبد الله: تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة، وتحمد ربك وتصلي على النبي ﷺ محمد، ثم تدعو وتكبِّر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تقرأ ثم تكبر وتركع، ثم تقوم وتقرأ وتحمد ربك، وتصلي على النبي ﷺ محمد، ثم تدعو وتكبِّر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تركع. فقال حذيفة، وأبو موسى: صدق أبو عبد الرحمن»[1].

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه القاضي إسماعيل في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (رقم ٨٨، ٨٩). وإسناده صحيح، وصححه ابن كثير في «تفسيره»، والسخاوي في «القول البديع» (ص٢٠٢)، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٥/ ٩٥).

تكملة علو الهمة في حب النبي ﷺ وتعظيمه وتوقيره ورعاية حقوقه

علو الهمة في تعزيره وتوقيره وتعظيمه:

أعطى الله عَزَّ وَجَلَّ رسوله ﷺ أعلى مكانة وأعظمها وأشرفها في الداريْن، وخصّه بخصائص أفرده بها دون سائر البشر، وجعله سيد الأولين والآخرين.. بأبي هو وأمي.

- قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما أعطى الله نبيًّا ما أعطى محمدًا ﷺ»[1].
- وقال السيوطي: «قال العلماء ما أُوتِي نبي معجزة ولا فضيلة إلَّا ولنبينا ﷺ نظيرها وأعظم منها»[2].

يا أيها الكاتبون عن حبيبي!!

اجمعوا وأنتم تكتبون بين عبير الفكر.. ورحيق الزهر.. وروعة البيان.. وسحر اللسان.. فإن حبيبي سيد الأنام.

سماحة نفْسٍ كرَوْح الصَّبا.. ورِقَّةُ طبع كعهدِ الصِّبَا.. وحُسْنُ بيان كزهر الرُّبَا.. وروعةُ خَلْق كبيض الظبا.. فمن ذا يساميه في العالمين؟! لأي النواحي يفيه المقال؟! وقدْ جمَّع الله فيه الكمال.. وألَّف فيه فنون الجمال.. وألْقى عليه رداء الجلال.. ففاق الملائك روحًا ونفسًا. ورقَّت حواشيه لُطفًا وأنسًا.. وحاز الكمالات طُهْرًا وقُدْسًا.. فمن ذا يقول؟! ومن ذا يبين؟!

فيا أيها الكاتبون! املؤوا القلب ببرد اليقين!.. وأطلقوا الأشواق في

---

(١) «آداب الشافعي ومناقبه» لابن أبي حاتم (ص٨٣).

(٢) «الخصائص الكبرىٰ» للسيوطي (٢/ ٣٠٤).

الآفاق.. وأنطقوا الأكوان بالأشواق.. فلغة الحب أقوى [(١)].

□ الدخول إلى هذا الجنان والرحاب الأطهر الأنور يحتاج إلى عُمْر جديد، أوَّل نَفَسٍ منه حتى آخرِه ملؤه الطهارةُ كلُّ الطهارة.. ونور الإيمان الغامر، وجمال الإحسان الباهر.. وأفق وضيء طليق مرفرف، نَرِفُّ بأجنحة الشوق والنور والطُّهْر إلى ذلك المقام الأعلى، ونتخذ من ذلك معراجًا إلى السِّراج المنير والقلب المصفّى لسيد الرسل، وأزكى العالمين، وأحبِّ الرجال، وأجلِّهم وأفضلِهم وأعلاهم.

□ الدخول إلى هذا الجناب والرحاب المُصَفَّى يحتاج إلى قلب حي كأجمل ما تكون القلوب.. رقيق ليِّن صافٍ.. تَنبضُ فيه كل نابضة بالإشراق والتفتحِ لاستقبال النور الذي يشرق في الضمائر مع النور الذي يُشرق في النواظِر.

□ الحديث عن هذا الحبيب الغالي ﷺ يحتاج إلى خَطَرات رفَّافة شفَّافة، وأعماق طاهرةٍ كلَّ الطُّهر تستجيش فيها وفي أغوارها كلُّ مشاعر الطُّهرِ اللامتناهيةً.

□ الحديث عن الطاهر والطيِّب المطيَّب يحتاج إلى كل رُوح مأنوسة شفيقة، يحتاج إلى إيناس ودودٍ نَدِيٍّ، وأنفاس مناجاة دامعة.. فيها كلُّ ذبول العبادة الوضيء وجمالها الحبيب الهامس اللطيف.. جمال لا يدانيه جمال التصوُّرَات الشاعرية الطليقة.. نحتاج لنتكلم عن الطيِّب الذي طابت من آثار طيب رسالته الحياة.. نحتاج إلى كُلِّ طيب في الجنة قبل

---

(١) «السيرة بلغة الحب والشعر» للأستاذ سعيد حوّىٰ (ص٨- ٩)- طبع دار السلام.

الدنيا كل مسكٍ أذفر، وكلُّ طيوب العنبر.. كل بريق الماس واللآلئ وأصفى الدر والجواهر.

◻ نحتاج حين نتكلم عن الحبيب العظيم ﷺ إلى كل جمالٍ في الكون.. نسائم الأسحار، وزجل المسبِّحين آناء الليل وأطراف النهار، وطُهر المستغفرين الأبرار قائمي الليل وصائمي النهار.. نحتاج إلى آهات المشتاقين الطاهرين.. كل طُهْر وطُمأنينة في الكونُ ويقين.. كل رُوح فجر وضيئة.

◻ نحتاج إلى غمس القلم في مدادٍ نير طاهر يُغمس في كل الجمال والنور.. جمال كل هامسٍ وكل جاهر، وكل مُسْتَخْفٍ وكل سارب.. نحتاج إلى كلام من نورٍ عليه رَوْنق الماء، كأنما اشتعلت به الغيوم، كلام يتلألأ بالنور، كأنما عُصِر من النُّجوم.

نقترب في حياء من يعلم أنه يجاوز قدره..

أَمِـنَ الحـضيضِ أُريـدُ لَـمْـسًا ... جَـلَّ المقـامُ فـلا يُطـالُ مُقـامُ

يا ملءَ روحي وَهْج حُبِّكَ في دمِي ... قَـبَسٌ يُـضيء سـريرتي وزمَـامُ

نقترب في تهلُّل، لنعيش لحظات مترعة بغبطة الحياة حين نتكلم عن توقير وتعظيم وتعزير السراج المنير.. وحامل النور إلى هذه البسيطة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾[الأحزاب].

✽ قال تعالى: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ ﴾ [المائدة].

◻ قال الطبري: «يعني بالنور محمَّدًا ﷺ الذي أنار الله به الحقَّ،

وأظهر به الإسلام، ومحقَ به الشرك، فهو نور لمن استنار به»[١].

فأي عبارات تليق بمقام النبوة؟!! وتتأب مع جلالها؟!

حروفُ معانٍ أو عقودُ جواهرِ تُحاكي مصابيح النجوم الزواهر
وإبريزُ تبريزٍ من النَّظْم فتّحتْ قوافيه زهْرًا في رياض الدَّفاترِ
يروح بأرواح المحامدِ حُسْنُها فيَرْقى بها في ساميات المفاخرِ
إذا ما هداها الفكرُ أَهْدَت لذي النُّهى شمائلَ أشهى من طُيوب المَعاصَر
تشعشع من نورِ المعاني عنايةً بها تُضربُ الأمثال بين المعاشر
وتنظِمُ من نَثْر المثاني قلائدًا تُزَخْرف جِيْدَ الجُودِ من كُلِّ فاخِرِ
وتنشر من طَيِّ المروءةِ للفتى مكارمَ أخلاقٍ وحُسْنَ سرائرِ
إذا سَتَروها بالحِجاب تبرَّجتْ محاسنُ تبدو من وراء الستائرِ
وإنْ فُضَّ في الأكوان مِسْكُ ختامها تَعَطَّرَ منها كُلُّ نَجْدٍ وغائرِ
تخيَّرتها اللهاشميُّ محمَّدٍ حميد المساعي خير بادٍ وحاضِرِ
هدانا الصراط المستقيمَ بهدْيه وأورَى بنور الحقِّ نورَ البصائرِ

تعزيره وتوقيره وتعظيمه ﷺ:

* قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح].

* وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) «تفسير الطبري» (٨/ ٢٦٤)- طبع دار هجر.

□ قال صاحب «معجم مقاييس اللغة عن أصل كلمة التعزير» عزر العين، والزاء، والراء كلمتان، أحدهما: التعظيم والنصر. والكلمة الأخرى: جنس من الضرب. فالأُولى: النصر والتوقير كقوله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾.

والأصل الآخر: التعزير وهو الضرب دون الحَدِّ»[1].

□ وفي «النهاية في غريب الحديث»: «أصل التعزير: المنع والرد، فكأنَّ من نصرته قد ردت عنه أعداءه ومنعتهم مِن أذاه.

ولهذا قيل للتأديب الذي هو دون الحدِّ تعزير؛ لأنه يمنع الجاني أن يعاود الذنب، يقال عَزَرْته، وعَزَّرْته. فهو من الأضداد»[2].

□ عن ابن عباس رضي الله عنهما: يقول: ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ «حَمَوه ووقّروه»[3].

□ وعن مجاهد قال: «عزروه: سدَّدوا أمره، وأعانوا رسوله ونصروه»[4].

□ وعن قتادة قال: «ينصروه»[5].

□ وقال الطبري: ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾: «وقروه وعظموه وحموه من الناس»[6].

□ وقال أيضًا بعد أن نقل قول ابن عباس ومجاهد وقتادة «وهذه

(1) «معجم مقاييس اللغة» (٤/ ٣١١)- لابن فارس- تحقيق عبد السلام هارون- طبع مصطفى الحلبي.
(2) «النهاية» لابن الأثير (٣/ ٢٢٨).
(3) «تفسير الطبري» (٩/ ٨٥).
(4) «تفسير الطبري» (٩/ ٨٥).
(5) «تفسير الطبري» (٢٦/ ٧٥).
(6) المصدر السابق (٩/ ٨٥).

الأقوال متقاربات المعنى، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها. ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنصر والمعونة، ولا يكون ذلك إلَّا بالطاعة والتعظيم والإجلال»(١).

□ وقال شيخ الإسلام: «التعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كلِّ ما يؤذيه»(٢).

(ب) وأما عن التوقير:

ففي «معجم مقاييس اللغة» «وقر» الواو والقاف. والراء: أصل يدلُّ على ثقل في الشيء. ومنه الوقار: الحلم والرزانة»(٣).

وفي «تهذيب اللغة»: وقر الرجل من الوقار، يقر، فهو وقور.

ووقرت الرجل: إذا عظمته ومنه قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾(٤).

وفي «لسان العرب»: «وقر الرجل: بَجَّله، والتوقير: التعظيم والترزين»(٥).

وأما المعنى الشرعي المراد هنا:

□ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «ويوقِّروه»، يعني: «التعظيم»(٦).

□ وقال قتادة: «ويوقروه»: «أمر الله بتسويده وتفخيمه»(٧).

---

(١) المصدر السابق (٢٦/ ٧٥).
(٢) «الصارم المسلول» لابن تيمية (ص٤٢٢).
(٣) «معجم مقاييس اللغة» (٦/ ١٣٢).
(٤) «تهذيب اللغة» للأزهري (٩/ ٢٨٠).
(٥) «لسان العرب» (٥/ ٢٩١).
(٦) «تفسير الطبري» (٢٦/ ٧٤).
(٧) «تفسير الطبري» (٢٦/ ٧٤).

□ وقال أيضًا: «ويوقروه»: «أيْ: ليعظموه»[١].

□ وقال ابن جرير الطبري: «فأما التوقير فهو التعظيم والإجلال والتفخيم»[٢].

□ وقال ابن تيمية: «التوقير: اسم جامع لكلِّ ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يُعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حدِّ الوقار»[٣].

□ وقال ابن كثير: «التوقير: هو الاحترام والإجلال والإعظام»[٤].

□ وإن تعظيم النبي ﷺ وإجلاله، وتوقيره، شُعبة عظيمة من شُعب الإيمان، وهذه الشُعْبة غير شعبة المحبَّة[٥]، بل إن منزلتها ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة، ذلك لأنه ليس كل مُحَبٍّ مُعظَّم، ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبّه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه. والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم. والسيد قد يحبُّ مماليكه ولكنه لا يُعظِّمهم. والمماليك يُحبُّون ساداتهم ويُعظِّمونهم. فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبته فوق رُتبة المحبّة»[٦].

* قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٦/ ٧٥).

(٢) المصدر السابق (٢٦/ ٧٥).

(٣) «الصارم المسلول» (ص٤٢٢).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٨٥).

(٥) انظر: «المنهاج في شعب الحليمي» (٢/ ١٢٤)- الشعبة الخامسة عشرة و«الجامع في شعب الإيمان» للبيهقي (١/ ٣٠٠)- الشعبة الخامسة عشرة.

(٦) «المنهاج في شعب الإيمان» للحليمي (٢/ ١٢٤).

أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف]. فأبان أن حق الرسول ﷺ في أُمَّته أن يكون معزرًا موقَّرًا مهيبًا.

وأخبر سبحانه أن الفلاح إنما يكون لمن جمع بين الإيمان به وتعزيره ولا خلاف في أن التعزير هنا التعظيم [(١)].

وفي الجمع الحاصل في الآيتيْن بين الإيمان به وتعظيمه، تنبيه وإرشاد إلى أن القيام بحقوقه ﷺ يُعَدُّ من الإيمان الواجب الذي لا يتمُّ إيمان العبد إلَّا به.

□ قال الحليمي [(٢)]: «فمعلوم أن حقوق رسول الله ﷺ أجلُّ وأعظمُ وأكرمُ وألزمُ لنا وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم والآباء على أولادهم؛ لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة، فهدانا به لما إذا أطعناه فيه أدَّانا إلى جنّات النعيم. فأيُّ نعمة توازي هذه النِّعم وأيَّةُ مِنَّة تُداني هذه المنن.

ثم أنه جلَّ ثناؤه ألزمنا طاعته، وتوعَّدنا على معصيته بالنار، ووعدنا باتباعه الجنة.

فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة، وأي درجة تساوي في العُلَا هذه الدرجة. فحقٌّ علينا أن نحبَّـه ونجلَّه ونعظمه ونهابه أكثر من إجلال كل عبـد سـيده وكل ولد والده. وبمثـل هذا نطق القرآن ووردت

---

(١) انظر: المصدر السابق (٢/ ١٢٥).

(٢) الحليمي: هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، فقيه شافعي، قاضي كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر. توفىٰ في بخارىٰ سنة ٤٠٣هـ وله كتاب «المنهاج في شعب الإيمان».

أوامر الله جل ثناؤه»[١]،[٢].

□ وفي القرآن الكريم آيات كثيرة جاء فيها التأكيد على هذا الحق من حقوقه وبخاصة في جوانب مُعيَّنة من جوانب تعظيمه، ومن تلك الآيات.

* قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣].

«ففي هذه الآية نهي من الله أن يدعو رسول الله بغلظ وجفاء، وأمرٌ لهم أن يدعوه بلينٍ وتواضع»[٣].

□ قال مجاهد: «أمرهم أن يدعوه يا رسول الله في لين وتواضع، ولا يقولوا: يا محمد في تجهم»[٤].

□ وعن قتادة قال: «أمرهم أن يفخِّموه ويُشرِّفوه»[٥].

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «خصّ الله نبيه في هذه الآية بالمخاطبة بما يليق به، فنهى أن يقولوا: يا محمد أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، وكيف لا يخاطبونه بذلك، والله سبحانه أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحدًا من الأنبياء، فلم يدعه باسمه في القرآن قط، بل يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ١]،

(١) «المنهاج في شعب الإيمان» (٢/ ١٢٤- ١٢٥)، «والجامع لشعب الإيمان» (١/ ٣٠٢- ٣٠٣).

(٢) «حقوق النبي ﷺ على أمته» (ص٤٠٤- ٤٠٥) للدكتور محمد خليفة التميمي.

(٣) «تفسير الطبري» (١٨/ ١٧٧).

(٤) الهامش السابق.

(٥) الهامش السابق.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ ﴾ [الأحزاب]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [الطلاق: ١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ﴾ [التحريم: ١]، ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ [المائدة: ٦٧]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ ﴾ [المزمل]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ ﴾ [المدثر]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال: ٦٤].

مع أنه سبحانه قال: ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ ﴾ [هود: ٤٦]، ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ ﴾ [هود: ٧٦]، ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾ [المائدة: ١١٠]»[1].

□ وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا كُنَّا في باب العبارة عن النبي ﷺ علينا أن نُفرِّق بين مخاطبته والإخبار عنه.

فإذا خاطبناه كان علينا أن نتأدَّب بآداب الله حيث قال: ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ﴾ [النور: ٦٣]، فلا تقول: يا محمد يا أحمد، كما يدعو بعضنا بعضًا، بل نقول: يا رسول الله، يا نبي الله، والله سبحانه وتعالى خاطب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم فقال: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ ﴾ [هود: ٤٨]، ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ [طه]، ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

ولما خاطبه ﷺ قال: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ

---

(١) «الصارم المسلول» (ص٤٢٢ - ٤٢٣).

﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ [المائدة: ٤١].. فنحن أحق أن نتأدَّب في دعائه وخِطابه.

وأما إذا كنا في مقام الإخبار عنه قلنا: «أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله»، وقلنا محمد رسول الله وخاتم النبيين، فنخبر عنه باسمه كما أخبر سبحانه لما أخبر عنه ﷺ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب]، وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ [محمد: ٢]، فالفرق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع والعقل»[(١)].

* وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ①﴾ [الحجرات].

□ قال ابن كثير: «أي لا تُسارعوا في الأشياء بين يديه أي قبله، بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور.

لقد تأدّب الصحابة مع ربهم ومع رسولهم ﷺ، فما عاد بعد نزول هذه الآية مقترح منهم يقترح على الله ورسوله، وما عاد واحد منهم يُدلي إن برأيه لم يطلب منه رسول الله ﷺ أن يُدلي به، وما عاد أحد يقضي برأيه في أمرٍ أو حُكم إلَّا أن يرجع قبل ذلك إلى قول الله وقول النبي ﷺ.

حتى كان الرسول ﷺ يسألهم عن اليوم الذي هم فيه والمكان الذي هم فيه، وهم يعلمونه حقَّ العلم، فيتحرَّجون أن يُجيبوا إلَّا بقولهم: الله

(١) «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (١/ ٢٩٧، ٢٩٨).

ورسوله أعلم، خشية أن يكون في قولهم تقدُّمٌ بين يدي الله ورسوله.

• ومن ذلك ما جاء في حديث أبي بكرة نُفَيْع بن الحارث الثقفي رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأل في حجة الوداع: «**أي شهر هذا؟**».. قلنا: الله ورسوله أعلم. حتى ظننا أنه سيُسمِّيه بغير اسمه، قال: «**أليس ذو الحِجَّة؟**»، قلنا: بلى، قال: «**فأي بلدٍ هذا؟**». قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سَيسمِّيه بغير اسمه، قال: «**أليس البلدة؟**». قلنا: بلى. قال: «**فأي يوم هذا؟**». قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظنَنَّا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: «**أليس يوم النحر؟**». قلنا: بلى.. الحديث..»[(١)].

* وكما سيأتي في «علو الهمة في الأدب» حُرِّم رفْع الصوت فوق صوت النبي وأن يُجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات].

□ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجُلَيْن في مسجد النبي ﷺ قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال: «أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: مِن أين أنتما؟ قالا من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربًا»[(٢)].

□ والمراد بقوله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ أنه إذا نطق

---

(١) أخرجه البخاري (٨/١٠٠٨) (ح٤٤٠٦)- كتاب المغازي- باب حجة الوداع.

(٢) أخرجه البخاري -كتاب الصلاة- باب رفع الصوت في المسجد (١/ ٥٦٠) (ح٤٧٠).

ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحدِّ الذي يبلغه بصوته وأن تغضُّوا منها بحيث يكون كلامه عاليًا لكلامكم، وجهره باهرًا لجهركم، حتى تكون ميزته عليكم لائحة، وسابقته واضحة، لا أن تغمروا صوته بلغطكم، وتبهروا منطقه بصخبكم؛ لأن في هذا خلوٌّ عن مراعاة أُبَّهَة النبوَّة، وجلالة مقدارها، وانحطاط الرتب وإنْ جلَّتْ عن رتبتها.

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب].

فالله تعالى من تعظيمه لنبيه ﷺ حفظ له كرامته وصان له حقه ففرق بين أذاه وأذى المؤمنين، فأوجب على من أذى النبي ﷺ اللعن والطرد من رحمته وهذا حكم على من أذاه بالكفر وفي الآخرة له العذاب المهين ومصيره إلى جهنم وبئس المصير.

بينما حكم على من أذى المؤمنين بالبهتان والإثم، والفرق بين الحكمين ناتج عن الفرق بين حق النبي ﷺ وحق غيره.

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في استدلاله بهذه الآية على وجوب قتل من أذى النبي ﷺ ودلالتها من وجوه.

أحدها: أنه قرن آذاه بآذاه كما قرن طاعته بطاعته، فمن آذاه فقد آذى الله تعالى، وقد جاء ذلك منصوصًا عنه، ومن آذى الله فهو كافر حلال الدم.

* بين ذلك أن الله تعالى جعل محبة الله ورسوله، وإرضاء الله ورسوله وطاعة الله ورسوله شيئًا واحدًا فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ

وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٢٤].

* وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ في مواضع متعددة.

* وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [التوبة: ٦٢]. فوحد الضمير، وفي ذلك إشارة إلى أن إرضاء الله فيه إرضاء للرسول وإرضاء الرسول فيه إرضاء لله.

* وقال أيضًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الفتح: ١٠].

* وقال أيضًا: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ١].

* وجعل شقاق الله ورسوله ومحادة الله ورسوله وأذى الله ورسوله ومعصية والله رسوله شيئًا واحدًا، فقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأنفال: ١٣].

* وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [المجادلة: ٢٠].

* وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [التوبة: ٦٣].

* وقال: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [النساء: ١٤].

وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقين، وأن جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة، فمن آذى الرسول فقد آذى الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله؛ لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلَّا بواسطة الرسول، ليس لأحد منهم طريق غيره، ولا سبب سواه، وقد أقامه الله مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه، فلا يجوز أن يفرق بين الله ورسوله في شيءٍ من هذه الأمور.

وثانيها: أنه فرق بين أذى الله ورسوله وبين أذى المؤمنين والمؤمنات، فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتانًا وإثمًا مبينًا وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة وأعد له العذاب المهين، ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم فيه الجلد، وليس فوق ذلك إلَّا الكفر والقتل.

الثالث: أنه ذكر أنه لعنهم في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابًا مهينًا، واللعن: الإبعاد عن الرحمة، ومن طرده من رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلَّا كافر، فإن المؤمن يقرب إليها بعض الأوقات ولا يكون مباح الدم؛ لأن حقن الدم رحمة عظيمة من الله، فلا تثبت في حقه..[1].

* وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٠٤﴾﴾ [البقرة].

□ قال بعض المفسرين: «هي لغة كانت في الأنصار، نهوا عن قولها تعظيمًا للنبي ﷺ وتبجيلًا له؛ لأن معناها ارعنا نرعك، فنهوا عن قولها، إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلَّا برعايته لهم، بل حقه أن يرعى على كل حال.

وقيل: كانت اليهود تعرض بها للنبي ﷺ بالرعونة فنهى المسلمون عن قولها قطعًا للذريعة، ومنعًا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا»[2].

* وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ

---

(١) «الصارم المسلول» (ص٤٠- ٤١).

(٢) «الصارم المسلول» (ص٥٩- ٦٠).

أَزْوَاجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأحزاب].

ففي هذه الآية حرم الله على الأمة أن تنكح أزواجه من بعده؛ لأن ذلك يؤذيه، وجعله عظيمًا عند الله تعظيمًا لحرمته ﷺ، فحرم تعالى على الأمة ما هو مباح أن يعامل به بعضهم بعضًا، وذلك تميزًا لنبيه ﷺ وتعظيمًا لشأنه.

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت لما قال بعض الناس: «لو قد توفي رسول الله ﷺ تزوجت عائشة»[١].

ولو أن أحدًا أقدم على هذا الأمر فنكح أزواجه أو سراريه لكانت عقوبته في الشرع هي القتل جزاء له بما انتهك من حرمته والدليل على ذلك ما رواه مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلًا كان يتهم بأم ولد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لعلي: «**اذهب فاضرب عنقه**»، فأتاه علي فإذا هو في ركي[٢] يتبرد فيها، فقال له علي: أخرج فناوله يده فأخرجه، فإذا هو مجبوب ليس له ذكر فكف عليّ عنه، ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنه مجبوب ما له ذكر»[٣].

□ قال ابن تيمية رحمه الله: «فهذا الرجل أمر النبي ﷺ بضرب عنقه لما قد استحل من حرمته، ولم يأمر بإقامة حد الزنا؛ لأن إقامة حد الزنا ليس هو ضرب الرقبة، بل إن كان محصنًا رجم، وإن كان غير محصن جلد، ولا يقام عليه الحد إلَّا بأربعة شهداء أو بالإقرار المعتبر فلما أمر النبي

---

(١) «الصارم المسلول» (ص٤٢٣).

(٢) الركي: جنس للركية، هي البئر، وجمعها ركايا «النهاية» (٢/ ٢٦١).

(٣) «صحيح مسلم» كتاب التوبة، باب براءة حرم النبي ﷺ من الريبة (٨/ ١١٩).

ﷺ بضرب عنقه من غير تفصيل بين أن يكون محصنًا أو غير محصن علم أن قتله لما انتهكه من حرمته.. فلما تبين أنه كان مجبوب علم أن المفسدة مأمونة منه..»(١).

وبالإضافة إلى ما تقدم، فقد أوجب الله على الأمة احترام أزواج النبي ﷺ وجعلهن أمهات في التحريم والاحترام(٢).

* فقال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ [الأحزاب: ٦]. ففي هذه الآية رفع الله مقام أزواج النبي ﷺ وبوأهن منزلة عالية، وهي منزلة الأمومة لجميع المؤمنين، وفي ذلك من الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام ما يوجب على كل مسلم أن يحفظ لهن هذا الحق ويؤديه على الوجه المطلوب منه شرعًا.

وهذه المنزلة لأمهات المؤمنين هي من التشريف والتعظيم الذي أعطاه الله للنبي ﷺ.

تعظيم الصحابة للنبي ﷺ في حياته:

✍ الصحابة رضي الله عنهم هم أعلم الأمة بالنبي ﷺ؛ ولذلك فقد كانوا بقدره ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم. وكان تعظيمهم وتوقيرهم للنبي ﷺ أشد وأكبر من غيرهم.

✍ وقد أوردت كتب السنة والتفسير وغيرها صورًا متعددة من ذلك التعظيم والتوقير الذي كان يفعله الصحابة رضوان الله عليهم مع النبي ﷺ.

---

(١) «الصارم المسلول» (ص٥٩- ٦٠).
(٢) المصدر السابق (ص٤٢٣).

توقير ذي النورين «عثمان بن عفان» رضي الله عنه:

في الحديبية أرسل رسولُ الله ﷺ عثمَانَ رضي الله عنه إلى قريش، ليخبرَهم أنه لم يأتِ ومَن معه لقتال، وإنمَا جاؤوا عُمَّارًا.

انطلق عثمَانُ، وبلَّغ رسالةَ رسولِ الله ﷺ، ولمَّا رجع عثمَانُ قال المسلمون: هنيئًا -أبا عبد الله-، لقد اشتَفيتَ من الطواف بالبيت. فقال: بِئسمَا ظننتم بي، والذي نفسي بيدِه، لو مكثتُ بها سنةً ورسولُ الله ﷺ بالحُديبية، ما طُفتُ بها حتى يطوفَ رسولُ الله ﷺ، ولقد دعتني قريشٌ إلى الطواف بالبيت فأبيت[1].

توقير المغيرة بن شعبة رضي الله عنه للنبي ﷺ:

• قال الصحابي الجليل أبو عيسى المغيرة بن شعبة: «بَعَثَت قريشٌ عامَ الحديبية عروة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ ليُكَلِّمَه. فأتاه، فكَلَّمه، وجعلَ يَمَسُّ لحيتَه، وأنا قائمٌ على رأس رسول الله ﷺ مُقَنَّعٌ في الحديد، فقال المغيرة لِعُروة: كُفَّ يدك قبل أن لا تصلَ إليك، فقال: مَن ذا يا محمد؟ ما أَفَظَّهُ وأغلَظَه. قال: «**ابنُ أخيك**»، فقال: يا غُدَر، والله ما غسلتُ عني سَوْءَتَكَ إلَّا بالأمس[2]»[3].

ومن أبلغ ما قيل في وصف هذا التعظيم ما قاله عروة بن مسعود.

---

(١) «نفح الطيب من محبة الحبيب ﷺ..» للشيخ عليٍّ القرْني.

(٢) قال ابن هشام في «السيرة» (٢/ ٣١٣): «أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف، فتهايج الحيَّان من ثقيف: بنو مالك رهط المقتولين، والأحلاف رهط المغيرة، فودىٰ عروة المقتولين ثلاث عشرة دية، وأصلح ذلك الأمر.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢١- ٣٢).

حين وجهته قريش إلى رسول الله ﷺ ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى وأنه لا يتوضأ إلَّا ابتدروا وضوءه، وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصاقًا، ولا يتنخم نخامة إلَّا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجساده، ولا تسقط منه شعرة إلَّا ابتدروها، وإذا أمرهم بأمرٍ ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له.

فلما رجع إلى قريش قال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت مليكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمدًا، والله إن انتخم نخامة إلَّا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له..[1].

◻ وعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: «أتيت رسول الله ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير..» الحديث[2].

◻ وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير..» الحديث[3].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، كتابة الشروط. انظر: «فتح الباري» (٥/ ٣٢٩، ٣٣١).

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» - كتاب الطب، باب في الرجل يتداوىٰ (ح٣٨٥٥)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٨).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٨٧) وأخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجلوس في المقابر (١/ ٤٩٤) (ح١٥٤٩).

• وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام على المنبر فقال: «**إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض**»، ثم ذكر زهرة الدنيا فبدأ بإحداهما وثنى بالأخرى، فقام رجل فقال: يا رسول الله، أو يأتي الخير بالشر؟

فسكت عنه النبي ﷺ، قلنا: يوحى إليه، وسكت الناس كأن على رؤوسهم الطير.. الحديث[1].

فالشاهد من الآثار الثلاثة المتقدمة قولهم: كأن على رؤوسهم الطير، فهذه العبارة هي كناية عن التعظيم الذي كانوا يظهرونه في مجلس الرسول ﷺ توقيًا وإجلالًا له صلوات الله وسلامه عليه، فلم يكن من عادة الصحابة رضي الله عنهم أن يتجادلوا في مجلس النبي ﷺ أو يعلوا أصواتهم بنقاش أو حوار بل يعطون لهذا المجلس حقه من التشريف والاحترام وعن بريدة ابن الحصيب رضي الله عنه[2] قال: «كنا إذا قعدنا عند رسول الله ﷺ لم نرفع رؤوسنا إليه إعظامًا له»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجهاد، باب فضل النفقة في سبيل الله. انظر «فتح الباري» (٦/ ٤٨، ٤٩) (ح٢٨٤٢).

(٢) بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي، قيل: أنه أسلم حين مر به النبي ﷺ مهاجرًا، وقيل: أسلم بعد منصرف النبي ﷺ من بدر، وفي «الصحيحين» عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة، وأخباره كثيرة ومناقبة مشهورة، مات سنة ثلاث وستين. «الإصابة» (١/ ١٥٠).

(٣) أخرجه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى»، باب توقير العالم والعلم (ص٣٨١) (ح٦٥٨).

علو همة عمرو بن العاص في توقير النبي ﷺ:

□ وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «وما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالًا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه»(١).

علو همة حَبْر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

• وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «قام رسول الله ﷺ يصلي من الليل، قال: فقمت وتوضأت أصلي خلفه فأخذ بيدي فجعلني حذاءه فخنست (٢) فقمت خلفه فأخذ بيدي فجعلني حذاءه فخنست فقمت خلفه، فانصرف رسول الله ﷺ فقال: «**ما لي كلما جعلتك حذائي خنست؟**».

قال: فقلت له: لا ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله.

قال: فدعا الله أن يزيدني فهمًا وعلمًا»(٣).

□ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن أبواب النبي ﷺ كانت تُقرَع بالأظافير»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (١/ ٧٨).

(٢) خنست: أي انقبضت وتأخرت. «النهاية» (٢/ ٨٣).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٣٠)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٣٤)، وقال: حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، باب شعبة تعظيم النبي ﷺ (١/ ٣٢٠، ٣٢١) (ح١٢٩).

(٤) رواه البزار في «كشف الأستار» (٢/ ٤٢١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» باب شعبة تعظيم النبي ﷺ (١/ ٣٣٨) (ح١٣٤).

□ وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرعون بابه بالأظافير»[(١)].

□ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يجلس معنا في المسجد يحدثنا فإذا قام، قمنا حتى نراه، وقد دخل بعض بيوت أزواجه..» الحديث[(٢)].

□ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لما كان يوم بدر فذكر الحديث في الأسارى وذكر قول عمر في قتلهم، فقال ابن مسعود قلت: يا رسول الله إلَّا سهل[(٣)] بن بيضاء فإني سمعته يذكر الإسلام فسكت رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه الحاكم في «معرفة علوم الحديث النوع الخامس» (ص١٩). وأخرجه البيهقي في «المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ» (ص٣٨١). وقال السخاوي في «فتح المغيث» (١/ ١١٧): الحديث أخرجه الحاكم في علومه، وكذا في «الأمالي» كما عزاه إليهما البيهقي في «المدخل» حيث أخرجه عن راو، ورواه أبو نعيم في «المستخرج علىٰ علوم الحديث» له – أي: الحاكم- عن راو آخر كلاهما عن أحمد بن عمرو (كذا) الزيبقي عن زكريا بن يحيىٰ المنقري، عن الأصمعي، عن كيسان مولىٰ هشام بن حسان، وفي رواية الآخرين، عن محمد بن حسان زاد البيهقي وهو أخو هشام بن حسان وهو حسن الحديث. انتهىٰ قول السخاوي.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» كتاب الأدب، باب في الحلم وأخلاق النبي ﷺ (٥/ ١٣٣، ١٣٤) (ح٤٧٧٣). وأخرجه النسائي في «سننه»، في القسامة، باب القود، من الجندة (٨/ ٣٣، ٣٤). وأخرجه البيهقي في «المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ» (ص٤٠١) (ح٧١٧).

(٣) سهل بن بيضاء القرشي، وبيضاء أمه واسمها دعد واسم أبيه وهب بن ربيعة بن هلال القرشي، كان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش علىٰ بني هاشم، أسلم بمكة فكتم إسلامه فأخرجته قريش إلىٰ بدر فأسر يومئذٍ فشهد له ابن مسعود أنه رآه يصلي بمكة فأطلق ومات بالمدينة. «الإصابة» (٢/ ٨٤).

فما رأيتني في يوم بدر أخوف أن تقع على حجارة من السماء مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله ﷺ إلَّا سهل بن بيضاء»[١].

□ وعن أبي رمثة [٢] قال: «قدمت المدينة ولم أكن رأيت رسول الله ﷺ فخرج وعليه ثوبان أخضران فقلت لابني: هذا والله رسول الله ﷺ فجعل ابني يرتعد هيبة لرسول الله ﷺ»[٣].

□ وعن أبي جري جابر بن سليم [٤] قال: «رأيت رجلًا يصدر الناس

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٨٣). وأخرجه الترمذي في «سننه، كتاب التفسير، تفسير سورة الأنفال (٤/ ٣٣٥) (ح٥٠٨٠) وقال: حديث حسن، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٧٧) (ح١٠٢٥٨) بنحوه وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢١- ٢٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٣٢٥) (ح١٣٠).

(٢) أبو رمثة – بكسر أوله وسكون الميم ثم مثلثة- التيمي اختلف في اسمه فقيل: رفاعة بن يثربي، ويقال: عكسه، ويقال: عمارة بن يثربي، وقيل غير ذلك، له صحبة، ومات بأفريقية. «الإصابة» (٤/ ٧١)، و«تقريب التهذيب» (٤٠٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٦- ٢٢٧- ٢٢٨) بعدة طرق عن لقيط بن إياد عن أبي رمثة به. وأخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب اللباس، باب في الخضرة (٤/ ٣٣٤) (ح٦٤٥/ ٤٠٥). وأخرجه الترمذي في «سننه» كتاب الأدب، باب ما جاء في الثوب الأخضر (٥/ ١١٩) (٢٨١٢). وأخرجه النسائي في «سننه» كتاب الزينة، باب لبس الخضر من الثياب (٨/ ٢٠٤). وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٣٤٢)، وفي «دلائل النبوة» (١/ ٢٣٧).

(٤) أبو جري – بالتصغير- الهجيمي وأسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر، وقال البخاري الأول أصح، له صحبة وهو من بني أنمار بن الهجيم بن عمرو ابن تميم. «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٥٤).

عن رأيه لا يقول شيئًا إلَّا صدورًا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ..» الحديث[١].

□ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلَّا في يد رجل»[٢].

□ وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه كان أبو طلحة[٣] أول من أخذ من شعره»[٤].

□ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلَّا غمس يده فيها فربما جاؤه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها»[٥].

□ ولما بعثت قريش أبا سفيان إلى الرسول ﷺ ليشهد في عقد صلح الحديبية ويزيد في المدة، فلما قدم المدينة دخل على ابنته أم حبيبة، فلما

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه»- كتاب اللباس- باب ما جاء في إسبال الإزار (٤/ ٣٤٤) (ح٤٠٨٤) واللفظ له..، وأخرجه الترمذي في «سننه» - كتاب الاستئذان- باب كراهية أن يقول عليك السلام مبتدئًا وقال: حسن صحيح (٥/ ٧١، ٧٢) (ح٢٧٢١).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الفضائل، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به (٧/ ٧٩).

(٣) اسمه زيد بن سهل.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان. انظر: «فتح الباري» (٣/ ٢٧٣) (ح١٧١).

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الفضائل، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به (٧/ ٧٩).

ذهب ليجلس على فراش رسول الله طوته، فقال: يا بنية ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عني؟

فقالت: هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراشه..»[١] فأكرمت فراش رسول الله ﷺ أن يجلس عليه رجل مشرك.

□ ولما قدم أبو سفيان مكة بعد ذلك قالت له قريش: «ما وراءك، هل جئت بكتاب من محمد أو عهد؟ قال: لا والله قد أبى علي، وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قومًا لملك عليه أطوع منهم له..»[٢].

علو همة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول رضي الله عنه في توقير النبي ﷺ:

ولما قال رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ ابن سلول [٣] لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

• قال رسول الله ﷺ: «**ادعوا لي عبد الله بن عبد الله بن أبيّ**»[٤]فدعاه،

---

(١) أورده ابن كثير في «البداية» (٤/ ٢٨٠) من طريق ابن إسحاق، وابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٢٩٩، ٣٠٠).

(٢) «البداية» لابن كثير (٤/ ٢٨٢).

(٣) عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحباب المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه، رأس المنافقين في الإسلام أظهر الإسلام بعد وقعة بدر، تقية، مات بالمدينة سنة تسع من الهجرة. «طبقات ابن سعد» (٣/ ٩٠).

(٤) عبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك، وهو ابن عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين الذي تقدمت ترجمته. وكان اسم عبد الله بن عبد الله «الحباب» فسماه النبي ﷺ «عبد الله» وهو صحابي جليل، شهد بدرًا وما بعدها، واستشهد باليمامة في قتال الردة سنة اثنتي عشرة «الإصابة» (٢/ ٣٢٧، ٣٢٨).

فقال: «**ألا ترى ما يقول أبوك؟**». قال: وما يقول بأبي أنت وأمي؟ قال: «**يقول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**»، فقال: فقد صدق والله يا رسول الله، أنت والله الأعز وهو الأذل، أما والله قد قدمت المدينة يا رسول الله، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبر مني، ولئن كان يرضي الله ورسوله أن آتيهما برأسه لآتيتهما به. فقال رسول الله ﷺ: «**لا**». فلما قدموا المدينة، قام عبد الله بن عبد الله بن أبيّ على بابها بالسيف لأبيه، ثم قال: أنت القائل لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، أما والله لتعرفن العزة لك أو لرسول الله، والله لا يأويك ظله، ولا تأويه أبدًا إلَّا بإذن من الله ورسوله. فقال: يا للخزرج ابني يمنعني بيتي، يا للخزرج ابني يمنعني بيتي فقال: والله لا تأويه أبدًا إلَّا بإذنٍ منه.

فاجتمع إليه رجال فكلموه، فقال: والله لا يدخله إلَّا بإذنٍ من الله ورسوله، فأتوا النبي ﷺ فأخبروه.

فقال: «**اذهبوا إليه، فقولوا له خله ومسكنه**»، فأتوه فقال: أما إذا جاء أمر النبي ﷺ فنعم»[(١)].

وفي رواية عند الترمذي: «فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله: «والله لا تنفلت حتى تقر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز ففعل»[(٢)].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٨/ ١١٤، ١١٥)، تفسير سورة المنافقين الآية (٨).

(٢) «سنن الترمذي» (٥/ ٤١٨) (ح٣٣١٥) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المنافقين. وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٧٢) وعزاه للحميدي في «مسنده». وأورده ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٦٥٢).

علو همة الأنصار رضي الله عنهم في تعظيم النبي ﷺ وتوقيره:

◻ عن أنس رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: «لو أتيْت عبد الله بن أبيّ فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حمارًا، فانطلق المسلمون يمشون معه، وهي أرضٌ سَبِخَة [(١)]، فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، والله لقد آذاني نَتْنُ حِمارِك. فقال رجلٌ من الأنصار منهم: والله لحَمَارُ رسول الله أطيب ريحًا منك» [(٢)].

✍ يا لَعِظَم الأنصار.. يقول أحدهم هذا لابن سلول الذي كانوا يعقدون له خرز التاج ليُنَصِّبوه ملكًا عليهم وقت هجرة النبي ﷺ إلى المدينة.. فلما آمنوا وكفر، ما كان شيءٍ أعظم وأوقر في صدورهم من رسول الله ﷺ.

توقير أبي محذورة للنبي ﷺ وتعظيمه لآثاره:

كانت لأبي محذورة قُصَّة في مُقدَّم رأسه، إذا قعد وأرسلها وَصَلَت إلى الأرض، فقيل له: ألا تحلِقُها؟ قال: لم أكن بالذي يحلقها، وقد مَسَّها رسول الله ﷺ بيده [(٣)].

تعظيم سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه لِشَعْر رسول الله ﷺ:

◻ وكانت لخالد بن الوليد رضي الله عنه قُلُنْسوة، فيها شَعَراتٌ من شَعْر

---

(١) السَّبِخَة: هي الأرض التي لا تنبت لملوحة أرضها.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه»- كتاب الصلح- باب ما جاء في الإصلاح بين الناس (٥/ ٢٩٧- ٢٦٩١)، ورواه مسلم في «صحيحه»- كتاب الجهاد والسير- باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين.

(٣) «هذا الحبيب محمد» (ص٤٤٧) للشيخ أبي بكر جابر الجزائري.

رسول الله ﷺ فسقطت منه في بعض حروبه، فشدَّ عليهم شدَّة، أنكرها عليه أصحابه؛ لكثرة مَن قُتِل فيها. فقال: «لم أفعلها من أجل القُلُنْسوة؛ بل لما فيها مِن شَعْر رسول الله ﷺ، لِئَلَّا أُسْلَبَ بركتها، وتقع في أيدي المشركين!!!»[١].

حُبُّ الصحابي البدري سواد بن غُزِيَّة رضي الله عنه وتوقيره لرسوله ﷺ:

◻ يَا لَحُبِّ الصحابي الجليل سَوَاد بن غُزِية بن وهب[٢] لرسول الله ﷺ يترجم ذلك في معركة بدر.

في يوم بدر عدل رسول الله ﷺ الصفوف وفي يده قَدَح، فَمَرَّ بسواد ابن غُزِيَّة فطعنه في بطنه، فقال: «أوْجَعتني فأَقِدْني، فكشف عن بطنه فاعتنقه وقبَّل بطنه، فدعا له بخير».

◻ قال أبو عمر ابن عبد البر: «رُويت هذه القصة لسواد بن عمرو. قال الحافظ ابن حجر: لا يمتنع التعدُّد، لا سيما مع اختلاف السبب».

◻ وفي رواية: «أنه لما كشف له عن بطنه فقبَّله وقال: أتركها لتشفع لي بها يوم القيامة، قال الحسن: «فأدركه الإيمان عند ذلك»[٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) قالوا: هو من بليّ بن عمرو بن الحاف من قضاعة حليف الأنصار. وقالوا: بل هو من بني عدي بن النجار. وحكىٰ السهيلي تشديد الواو أي يُقال سوّاد. شهد بدرًا وأُحُد والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

(٣) انظر: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٥١٦)، و«أسد الغابة» (ترجمة ٢٣٣٣)، و«الاستيعاب» (ترجمة ١١١٣)، و«الإصابة» (٣/ ١٨٠) (ترجمة ٣٥٩٥).

وسَوَاد بن عمرو الأنصاري رضي الله عنهما:

◻ أخرج ابن سعد عن الحسن أن رسول الله ﷺ رأى سواد بن عمرو ملتحفًا فقال: «خط خط ورس ورس. ثم طعنه بعود أو سواك في بطنه، فماد في بطنه فأثَّر في بطنه – فذكر نحوه [(١)].

◻ وأخرج عبد الرزاق [(٢)] عن الحسن قال: «كان رجل من الأنصار يُقال له: سوادة بن عمرو رضي الله عنه يتخلَّق [(٣)] كأنه عرجون، وكان النبي ﷺ إذا رآه نَغَضَ [(٤)] له، فجاء يومًا وهو متخلِّقٌ، فأهوى له النبي ﷺ بعُود كان في يده فجرحه، فقال له: القصاص يا رسول الله، فأعطاه العود – وكان على النبي ﷺ قَميصان- فجعل يرفعهما، فنهره [(٥)] الناس، وكفّ عنه حتى إذا انتهى إلى المكان الذي جرحه رمى بالقضيب وعلقه يقبِّله [(٦)]، وقال: يا نبي الله، بل أَدَعها لك تشفع لي بها يوم القيامة» [(٧)].

تقبيل أُسَيْد حُضير بن جسد رسول الله ﷺ:

• عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، قال: «كان أُسيد بن حُضَيْر رضي الله عنه رجلًا صالحًا ضاحكًا مليحًا، فبينما هو عند رسول الله ﷺ يُحدِّث

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (٣/ ٥١٦).
(٢) «المصنف» لعبد الرزاق (٩/ ٤٦٩) (١٨٠٣٩).
(٣) أي: يتطيَّب بالخلوق، وهو طيب مُركَّب من زعفران وغيره.
(٤) نغض له: أي حرَّك رأسه.
(٥) أي زجروه.
(٦) أي: طفق يُقَبلّه.
(٧) «الإصابة» لابن حجر (٢/ ٩٦).

القوم ويضحكهم، فطعنه رسول الله ﷺ في خاصرته. فقال: أوجعتني، قال: «اقتص»[(١)]، قال: يا رسول الله إنَّ عليك قميصًا ولم يكن عليَّ قميص. قال: فرفع رسول الله ﷺ قميصه فاحتضنه، ثم جعل يقبل كشحه، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أردتُ هذا»[(٢)].

◻ وأخرج ابن سعد عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن القاريّ أنه نظر إلى ابن عمر رضي الله عنهما وضع يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر، ثم وضعها على وجهه»[(٣)].

بأبي وأمي رسول الله ﷺ:

لقد جبل الله عز وجل نبيّه ﷺ على مكارم الأخلاق وكرائم الشيم، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه ﷺ علم أنها خير أخلاق، فإنه ﷺ كان أعلم الخلق، وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثًا وأجودهم وأسخاهم وأشدهم احتمالا، وأعظمهم عفوًا ومغفرة، كان لا يزيده شدة الجهل عليه إلَّا حلمًا، كما روى البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عمرو أنه قال في صفة رسول الله ﷺ في التوراة «محمد عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء وأفتح به أعينًا

---

(١) أي: خذ مني القصاص.

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٨٨)، وابن عساكر، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٥٦) و(٥٥٧)، انظر «كنز العمال» (٤/ ٤٣): وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. والكشح: الموضع الذي بين الإبط والخاصرة.

(٣) «الطبقات الكبرىٰ» (١/ ٢٥٤).

عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا، حتى يقولوا: لا إله إلَّا الله».

وأرحم الخلق وأرأفهم بهم وأعظم الخلق نفعًا لهم في دينهم ودنياهم وأفصح خلق الله وأحسنهم تعبيرًا عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد، وأصبرهم في مواطن الصبر، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمة، وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه، وأشدهم تواضعًا، وأعظمهم إيثارًا على نفسه، وأشد الخلق ذبًا عن أصحابه وحماية لهم ودفاعًا عنهم، وأقوم الخلق بما يأمر به، وأتركهم لما ينهى عنه، وأوصل الخلق لرحمه.

وكان أجود الناس صدرًا، وأصدقهم لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم ير قبله ولا بعده مثله ﷺ.

وقد خصه الله بصفتين خص بهما أهل الصدق والإخلاص وهما الإجلال والمحبة، فقد ألقى عليه هيبة منه ومحبة، فكان كل من يراه يهابه ويجله ويملأ قلبه تعظيمًا وإجلالًا، وإن كان عدوًا له، فإذا خالطه وعاشره كان أحب إليه من كل مخلوق، فهو المجل المعظم المحبوب المكرم، وهذا غاية كمال المحبة أن تقرن من كل مخلوق، فهو المجل المعظم المحبوب المكرم، وهذا غاية كمال المحبة أن تقرن بالتعظيم والهيبة، فالمحبة بلا تعظيم ولا هيبة ناقصة والهيبة والتعظيم من غير محبة -كما يكون الظالم القادر- نقص أيضًا، وكمال أن تجتمع المحبة والود والتعظيم والإجلال، وهذا لا يوجد إلَّا إذا كان في المحبوب

صفات الكمال التي يستحق أن يعظم لأجلها ويحب لأجلها»[(١)].

ولقد جمع الله تعالى لنبينا ﷺ من الصفات والخصائص ما لم يجمعه لبشر، وافترض على العباد طاعته وتعزيره وتوقيره ورعايته والقيام بحقوقه، وامتثال ما قرره في مفهومه ومنطوقه، والصلاة عليه والتسليم ونشر شريعته بالعلم والتعليم، وجعل الطرق مسدودة عن جنته، إلّا من سلك طريقه واعترف بمحبته، وشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، فيا سعد من وفق لذلك ويا ويح من قصر عن هذه المسالك[(٢)].

وما هذه المحبة والمهابة التي جعلها الله لنبيه ﷺ إلّا تبع لمحبته سبحانه وإجلاله.

ذلك لأن كل محبة وتعظيم للبشر إنما هي تبع لمحبة الله وتعظيمه، فمحبة الرسول وتعظيمه إنما هي من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فأمته يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ويبجلونه لإجلال الله له، فهي من موجبات محبة الله وتعظيمه، ولهذا لم يكن بشر أحب إلى بشر ولا أهيب ولا أجل في صدره من رسول الله ﷺ في صدر أصحابه ﭫ.

فإذا كان هذا شأن النبي ﷺ، وهذه مكانته التي بوأه الله إياها، فحري بهذه الأمة أن تعرف له قدره وتعظم من شأنه وذلك بموجب ما شرعه الله وأمر به، فذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلّا به.

---

(١) «جلاء الأفهام» (ص٨٩- ٩٤) بتصرف.

(٢) «القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع» للسخاوي (ص١١) بتصرف، و«حقوق النبي» (ص٤٤٥- ٤٤٦).

وهذا التعظيم والتوقير الواجب له ﷺ على كل فرد من أفراد هذه الأمة محله القلب واللسان والجوارح.

أما تعظيم القلب: فهو ما يتبع اعتقاد كونه عبدًا رسولًا، من تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين، والتي من لوازمها الإكثار من ذكره الذي هو سبب لدوام محبته ﷺ وزيادتها وتضاعفها.

وكذلك فإن من تعظيم القلب استشعاره لهيبة النبي ﷺ وجلالة قدره وعظيم شأنه، واستحضاره لمحاسنه ومكانته ومنزلته، والمعاني الجالبة لحبه وإجلاله وكل ما من شأنه أن يجعل القلب ذاكرًا لحقه من التوقير والتعزير، معترفًا به ومذعنا له.

فالقلب ملك الأعضاء وهي له جند وتبع، فمتى ما كان تعظيم النبي آثار ذلك ستظهر على الجوارح حتمًا لا محالة، وحينئذٍ سترى اللسان يجري بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وترى باقي الجوارح ممتثلة لما جاء به ومتبعه لشرعه وأوامره، ومؤدية لما له من الحق والتكريم.

أما تعظيم اللسان: فهو الثناء عليه بما هو أهله مما أثنى به عليه ربه وأثنى على نفسه من غير غلو ولا تقصير.

□ ومن توقير النبي ﷺ بعد مماته طاعته والذب عن سنته، واتباعه، وتعظيم حديثه.

□ كان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ أمر الحاضرين بالسكوت، وقال: «لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﷺ، ويرى أنه يجب الإنصاتُ عند قراءة حديثه، كما يجب ذلك عند سماع قوله ﷺ».

□ وما رُوي عن جعفر بن محمد الصادق: «أنه إذا ذُكِر عنده النبي ﷺ اصفرَّ وجهه، وما رُئي يحدث عن رسول الله ﷺ إلَّا على طهارة».

□ ومرّ مالك بن أنس - إمام دار الهجرة على أبي حازم وهو يحدِّث فجازه ولم يقف عنده، وعلل لذلك بقوله: «إني لم أرَ موضعًا أجلس فيه، فكرهتُ أن آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم، وكان رحمه الله تعالى إذا أراد أن يُحدِّث عن رسول الله ﷺ، اغتسل وتطيَّب، ولبس أحسن ثيابه، ثم خرج فحدَّث»[1].

ومن توقيره ﷺ بعد مماته توقير آله وذريته وأزواجه رضي الله عنهم:

إن من توقير النبي ﷺ ورعاية جنابه وتبجيله وتعظيمه توقير آله وذريته وأزواجه، كما حض عليه ﷺ وسلكه السلف الصالح رضوان الله عليهم.

١- فآل بيت النبي ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها، فإن الله جعل لهم حقًّا في الفيء قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال].

* وقال تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧].

وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ﷺ ففي الحديث عن

(١) «هذا الحبيب محمد ﷺ» (ص٤٤٦).

كعب ابن عجرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله فقلنا: قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟

قال: قولوا: «**اللَّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللَّهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»(١).

فالصلاة على آل محمد حق لهم عند المسلمين، وذلك سبب رحمة الله تعالى لهم بهذا النسب.

كما تجب محبتهم لحب رسول الله ﷺ لهم، ولأن محبتهم من محبة رسول الله ﷺ.

وأن نتولاهم ونحفظ فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال في يوم غدير خُم: «**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي..**» الحديث (٢).

□ قال ابن كثير رحمه الله: «ولا تنكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على ظهر الأرض فخرًا وحسبًا ونسبًا ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾. انظر: «فتح الباري» (٨/ ٥٣٢). وأخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد. انظر: (٢/ ١٦).

(٢) تقدم تخريجه.

كالعباس وبنيه وعليّ وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم»(١).

□ وقال ابن تيمية رحمه الله: «ولا ريب أن لآل محمد ﷺ حقًّا على الأمة لا يشركهم فيه غيرهم، ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة ما لا يستحقه سائر بطون قريش، كما أن قريشًا يستحقون من المحبة والموالاة ما لا يستحقه غير قريش من القبائل، كما أن جنس العرب يستحق من المحبة والموالاة ما لا يستحقه سائر أجناس بني آدم، وهذا على مذهب الجمهور الذين يرون فضل العرب على غيرهم، وفضل قريش على سائر العرب وفضل بني هاشم على سائر قريش، وهذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره»(٢).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١١٣).

(٢) هذا من تفضيل الجملة على الجملة وهو لا يقتضي تفضيل كل فرد على كل فرد، فالعرب في الأجناس، وقريش فيها ثم هاشم في قريش مظنة أن يكون فيهم من الخير أعظم مما يوجد في غيرهم. ولهذا كان في بني هاشم النبي ﷺ الذي لا يماثله أحد في قريش فضلاً عن وجوده في سائر العرب وغير العرب، وكان في قريش الخلفاء الراشدون وسائر العشرة وغيرهم ممن لا يوجد له نظير في العرب وغير العرب، وكان في العرب من السابقين الأولين من لا يوجد له نظير في سائر الأجناس.

فلا بد أن يوجد في الصنف الأفضل ما لا يوجد مثله في المفضول. وقد يوجد في المفضول ما يكون أفضل من كثير مما يوجد في الفاضل كما أن الأنبياء الذين ليسوا من العرب أفضل من العرب الذين ليسوا بأنبياء، والمؤمنين المتقون من غير قريش أفضل من القرشين الذين ليسوا مثلهم في الإيمان والتقوى، وكذلك المؤمنين المتقون من قريش وغيرهم أفضل ممن ليس مثلهم في الإيمان والتقوى من بني هاشم.

فهذا هو الأصل المعتبر في هذا الباب دون من ألغى فضيلة الأنساب مطلقًا، =

• والنصوص دلت على هذا القول، كقوله ﷺ: «إن الله اصطفى قريشًا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»(١).

٢- أما زوجات النبي ﷺ رضوان الله عليهن أجمعين فيجب علينا أن نحفظ لهن حقهن في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام،

ودون من ظن أن الله تعالىٰ يفضل الإنسان بنسبه علىٰ من هو مثله في الإيمان والتقوىٰ، فضلاً عمن هو أعظم إيمانًا وتقوىٰ، فكلا القولين خطأ وهما متقابلان، بل الفضيلة بالنسب فضيلة جملة، وفضيلة لأجل المظنة والسبب.

والفضيلة بالإيمان والتقوىٰ فضيلة تعيين وتحقيق وغاية.

فالأول: يفضل به لأنه سبب وعلامة؛ ولأن الجملة أفضل من جملة تساويها في العدد.

والثاني: يفضل به لأنه الحقيقة والغاية، ولأن كل من كان أتقىٰ لله كان أكرم عند الله، والثواب من الله يقع علىٰ هذا؛ لأن الحقيقة قد وجدت، فلم يعلق الحكم بالمظنة، ولأن الله تعالىٰ يعلم الأشياء علىٰ ما هي عليه، فلا يستدل بالأسباب والعلامات فالاعتبار العام هو التقوىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. فكل من كان أتقىٰ كان أفضل مطلقًا، وإذا تساوىٰ اثنان في التقوىٰ استويا في الفضل سواء كانا أو أحدهما عربيين أو أعجميين، أو قرشيين أو هاشميين أو كان أحدهما من صنف والآخر من صنف، وإن قدر أن أحدهما له من سبب الفضيلة ومظنتها ما ليس للآخر، فإذا كان ذلك قد أتىٰ بحقيقة الفضيلة كان أفضل ممن لم يأت بحقيقتها، وإن كان أقدر علىٰ الإتيان بها، فالعالم خير من الجاهل، وإن كان الجاهل أقدر علىٰ تحصيل العلم. انظر: «منهاج السنة» (٤/ ٦٠٢- ٦٠٣- ٦٠٤- ٦٠٨) بتصرف. انظر «حقوق النبي ﷺ» (ص٢٥٥) وما بعدها .

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ (٧/ ٥٨).

والمكانة التي جعل الله لهن.

فلقد رفع الله مقامهن وبوأهن أعلى منزلة عند جميع المؤمنين وهي منزلة الأمومة، فجعلهن أمهات في التحريم والاحترام فقد قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾[الأحزاب: ٦].

□ قال القرطبي عند تفسيره لهذه الآية: «شرف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين، أي في وجوب التعظيم والمبرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال، وحجبهن رضي الله عنهن، بخلاف الأمهات»(١).

وكيف لا تكون لهن هذه المنزلة وتلك المكانة وهن اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة عندما نزلت آيتا التخيير قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب].

وبعد اختيارهن رضي الله تعالى عنهن الله ورسوله والدار الآخرة كرمهن الله تبارك وتعالى وكافأهن على اختيارهن أحسن تكريم وأعظم مكافأة.

فكان لهن ما أعدَّ الله لهن من الأجر العظيم، ثم ميَّزهن عن نساء العالمين في العذاب والأجر، ثم أبان منهم فقال: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، يعني: في الفضل والشرف، وذلك لِمَا منحهن الله من صحبة نبيه ﷺ وعظيم المحل منه ونزول القرآن في

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٤/ ١٢٣).

حقهن»(١).

فمن حقهن علينا أن نحفظ لهن هذه المكانة وذلك بأن نتولاهن وأن نثني عليهن بما ورد من فضائلهن وما كان لهن من دور في مؤازرة النبي ﷺ ونصرته، وما كان لهن من دور بعد وفاته في حفظ مسائل الدين ونشرها بين الأمة.

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصًا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به وعاضده على أمره وكان له منها المنزلة العالية.

• والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها، التي قال فيها النبي ﷺ: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»(٢) ..»(٣).

فمن الواجب أن ننشر هذه الفضائل ونعلمها وبخاصة لنسائنا حتى يكون لهن في ذلك الأسوة والقدوة.

توقيره ﷺ في توقير أصحابه رضي الله عنهم:

ومن توقيره وبره ﷺ توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء

---

(١) المصدر السابق (١٤/ ١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها. «فتح الباري» (٧/ ١٠٦) (ح٣٧٧٠).

وأخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله عنها (١٣٨/٧).

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٥٤)، وانظر: «حقوق النبي» (ص٤٥٧- ٤٥٩).

بهم، وحسن الثناء عليهم، والاستغفار لهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم، والإضراب عن أخبار المؤرخين، وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم، وأن نلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويخرج لهم أصوب المخارج، إذ هم أهل لذلك، ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص [(١)] عليه أمر، بل يذكر حسناتهم وفضائلهم، وحميد سيرتهم، ويسكت عما وراء ذلك [(٢)].

فهم أناس قد اختارهم الله وشرفهم بصحبة نبيه ﷺ وخصهم في الحياة الدنيا بالنظر إلى النبي ﷺ وسماع حديثه من فمه الشريف وتلقي الشريعة وأمور الدين عنه وتبليغ ما بعث الله به رسوله من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها، فكان لهم الأجر العظيم لصحبتهم رسول الله ﷺ والجهاد معه في سبيل الله وأعمالهم الجليلة في نشر الإسلام والدعوة إليه، ولهم من الأجر مثل أجور من بعدهم لأنهم الواسطة بينهم وبين رسول الله ﷺ ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا.

ولقد أوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل: المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون بعدهم أبد الآبدين.

---

(١) لا يغمص: لا يعاب ولا ينقص في أمر من أموره. «النهاية» (٣/ ٣٨٦).

(٢) «الشفا» (٣/ ٦١١، ٦١٢).

فالصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه عليهم وثناء رسوله ﷺ.

□ قال النووي: «الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به»(١).

□ وقال ابن حجر: «اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف في ذلك إلَّا شذوذ من المبتدعة»(٢).

□ وعن أبي زرعة قال: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق والقرآن حق وإنما أدي إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة»(٣).

فهم الأئمة العالي، ومعرفتهم لقدر الصحابة رضي الله عنهم:

معاوية أفضل أم عمر بن عبد العزيز؟

سُئِل الإمام أحمد بن حنبل: أَيُّما أفضل، معاوية أو عمر بن عبدالعزيز؟ فقال: «لغبارٌ لِحق بأنف جواد معاوية بين يديْ رسول الله ﷺ خيرٌ من عمر بن عبد العزيز»(٤).

□ وسُئِل ابن المبارك عن معاوية فقيل له: ما تقول فيه؟ قال: «ما

---

(١) «تدريب الراوي» للسيوطي (٢/ ٢١٤).

(٢) «الإصابة» (١/ ١٧).

(٣) «الكفاية» للخطيب البغدادي (ص٩٧).

(٤) «شذرات الذهب» (١/ ٦٥).

أقول في رجل قال رسول الله ﷺ: «**سمع الله لمن حمده**»، فقال معاوية من خلفه: ربنا ولك الحمد، فقيل له: ما تقول في معاوية؟ هو عندك أفضل أم عمر ابن عبد العزيز؟ فقال: لترابٌ في منخريْ معاوية مع رسول الله ﷺ خيرٌ أو أفضل من عمر بن عبد العزيز». وفي «البداية والنهاية»: خيرٌ وأفضل»[١].

□ وسُئِل ياقوته العلم والعباد المعافي بن عمران: أيُّهما أفضل معاوية ابن أبي سفيان أو عمر بن عبد العزيز؟

فكأنه غَضب، وقال: «يومٌ من أيام معاوية أفضل من عمر بن عبدالعزيز، ثم التفت إلى الرَّجُل فقال: تجعلُ رجلًا من أصحاب محمد ﷺ مثل رجل من التابعين؟!»[٢].

□ وقال المعافي: «لا يُقاس بأصحاب رسول الله ﷺ أحدٌ، معاوية صاحبه، وصهره، وكاتبه، وأمينه على وحي الله عز وجل»[٣].

□ وسُئِل الفضل بن عنبسة: «معاوية أفضل أم عمر بن عبد العزيز؟

فعجب من ذلك، وقال: «سبحان الله، أأجعل من رأى رسول الله ﷺ كمَنْ لم يره؟! قالها ثلاثًا»[٤].

□ وقال أبو إسحاق السبيعي: «كان معاوية وكان ما رأينا مثله» وما استثنى أبو إسحاق عمر بن عبد العزيز.

---

(١) «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٧- ٢٠٨).

(٢) المصدر السابق (٥٩/ ٢٠٨).

(٣) «تاريخ بغداد» (١/ ٢٠٩، ٢١٠)، و«تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٨)، و«البداية والنهاية» (٨/ ١٤٨).

(٤) «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٨).

□ وقال مجاهد: «لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي»[١].

□ وقال ابن المبارك: «معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إلى معاوية شَزْرًا، اتَّهمناه على القوم، أعني على أصحاب محمد ﷺ»[٢].

□ وقال الربيع بن نافع: «معاوية بن سفيان سِتْر أصحاب النبي ﷺ، فإذا كشف الرَّجُل الستر اجترأ على ما وراءه»[٣].

□ وقال الإمام أحمد بن حنبل: «إذا رأيتَ الرجل يذكرُ أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام»[٤].

ومن تعظيم النبي ﷺ تعظيم المدينة وحفظ حُرْمَتها:

إن من تعظيم النبي ﷺ تعظيم المدينة النبوية [٥] التي هي دار المصطفى ومهاجره، فقد اختارها الله لنبيه ﷺ قرارًا، وجعل أهلها شيعة له وأنصارًا.

وهي التي انتشر منها دين الله وسنة رسوله ﷺ حتى وصل مشارق الأرض ومغاربها.

وهي التي ورد في فضلها وتعظيم شأنها وتحريمها وفضل بعض البقاع فيها الكثير من الأحاديث الثابتة الصحيحة والتي أورد منها ها هنا

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ١٤٣)، و«تاريخ دمشق» (٥٩/ ١٧٢).

(٢) «البداية والنهاية» (٨/ ١٤٨)، و«تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٩).

(٣) «تاريخ بغداد» (١/ ٢٠٩)، و«تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٩).

(٤) «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٩).

(٥) ذكر ذلك البيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» (٢/ ١٣٠)، والقاضي عياض في «الشفا» (٢/ ٦١٩).

على سبيل المثال لا الحصر.

• فعن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه أنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تفتح اليمن، فيأتي قوم يبسون**[1] **فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون.**

وتفتح الشام، فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون.

وتفتح العراق، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[2].

• وعن عبد الله بن زيد بن عاصم أن رسول الله ﷺ قال: «**إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة**»[3].

• وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضاهها أو يقتل صيدها**».

---

(١) يُقال: بسست الناقة وأبسستها إذا سُقتها وزجرتها وقلتُ لها: بس بس بكسر الباء وفتحها انظر «النهاية» (١/ ١٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل المدينة، باب من رغب عن المدينة «واللفظ له». انظر: «فتح الباري» (٤/ ٩٠) (ح١٨٧٥).
وأخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الحج، باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار (١٢٢٤).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب البيوع، باب بركة صاع النبي ﷺ ومده. «فتح الباري» (٤/ ٣٤٦) (ح٢١٢٩). وأخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الحج، باب فضل المدينة «واللفظ له» (٤/ ١١٢).

وقال ﷺ: «**المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبة عنها إلَّا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلَّا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة**»[١].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤا به إلى النبي ﷺ فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا، اللَّهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة، ومثله معه**»، قال: ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر[٢].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا عن النبي ﷺ قال: «**المدينة حرم فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف**»[٣].

• وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم -كتاب الحج، باب فضل المدينة (٤/ ١١٣).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في «صحيحه»، كتاب الحج، باب فضل المدينة (٤/ ١١٦- ١١٧).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في «صحيحه» كتاب الحج، باب فضل المدينة (٤/ ١١٦).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة. انظر: «فتح الباري» (٤/ ٩٣) (ح١٨٧٦).
وأخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا =

• وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا يكيد أهل المدينة أحد إلّا انماع كما ينماع الملح في الماء**»[(١)].

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلّا المسجد الحرام**»[(٢)].

• وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي**»[(٣)].

والأحاديث في فضل المدينة كثيرة ومتنوعة، ولقد أفرد البخاري في «صحيحه» كتابًا لفضائل المدينة، وكذا مسلم في «صحيحه» قد أورد في آخر كتاب الحج العديد من الأحاديث الواردة في شأن المدينة، وكذا الحال عند أصحاب السنن والمسانيد.

والمقصود من تعظيم المدينة هو تعظيم حرمها، وهذا أمر واجب في

(١/ ٩٠، ٩١).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب فضائل المدينة، باب إثم من كاد أهل المدينة، انظر: «فتح الباري» (٤/ ٩٤) (ح١١٩٠).
وأخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الحج، باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله (٤/ ١٢٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة. انظر: «فتح الباري» (٣/ ٦٣) (ح١١٩٠).
وأخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب فضائل المدينة، باب ١٢ انظر: «فتح الباري» (٤/ ٩٩) (ح١٨٨٨)، أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب الحج، باب ما بين القر والمنبر روضة من رياض الجنة (٤/ ١٢٣).

حق من سكن بها أو دخل فيها، مع ما يجب على ساكنيها من مراعاة حق المجاورة وحسن التأدب فيها؛ وذلك لما لها من المنزلة والمكانة عند الله وعند رسوله ﷺ.

فإنها المواطن التي عمرت بالوحي والتنزيل، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنن رسول الله ﷺ ما انتشر، فهي مشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات.

فحري بمن أكرمه الله بالإقامة فيها أن يتزود فيها من الأعمال الصالحة التي تنفعه بعد الموت، وأن يحذر من الوقوع فيها بما يسخط الله عَزَّ وَجَلَّ.

وفيما سبق ذكره من الأحاديث خير شاهد على فضل سكناها والترغيب في الإكثار من العمل الصالح فيها، والتحذير من الإساءة والمعصية والإفساد فيها»[١].

□ قال الإمام مالك إمام دار الهجرة: «من قال تربة المدينة رديئة، يُضَرب ثلاثين دُرَّة ويُحبَس».

وقال: «ما أحوجه إلى ضرب عنقه!! تربةٌ دُفِن فيها رسول الله ﷺ يزعم أنها رديئة!!!»[٢].

□ ولله درُّ القائل:

هاتِ الحديثِ مِزاجُه الأشواقُ وَصِفِ الحبيب فَكُلُّنا تَوَّاقُ

---

(١) «حقوق النبي ﷺ» (ص٤٦٥- ٤٦٧).

(٢) «هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ» (ص٤٤٧).

تَهْوَى الحُروفَ تَعَطَّرَتْ أَرْدَانُها بِشَذَا الأحبَّةِ.. والهَوى أذواقُ
فغَدا يُحَدِّثُ عن جلالِ المُصْطَفَى فتوضأتْ بِدُمُوعِها الأحداقُ
يَحْكِي بشوقٍ عن جمالِ محمَّدٍ أَحْلَى اللُّغَى ما قالتِ الأشواقُ
عن قلبِهِ عن حُبِّهِ عن لطفِهِ عن كل ما قد جَادتِ الأخلاقُ
تحيا بذكرِ محمدٍ ترنيمةٌ في القلب تسري والهوى خَفَّاقُ
طُوبى لمن عن نهجه لم يَغْفَلوا يومًا، وذاقوا في الهوى ما ذاقوا
طوبى لمن في دربه قد أوغلوا ناموا على أحلامهم وأفاقوا (١)

□ ولله در القائل:

إمامَ المُرسلين فِدَاكَ رُوحي وأرواحُ الأئمةِ والدُّعاةِ
رسولَ العالمين فدِاكَ عِرْضِي وأعراضُ الأَحِبَّةِ التُّقاةِ
ويا عَلَمَ الهُدَى يفديك عُمْري وما لي.. يا نبيَّ المَكْرُماتِ!!!
ويا تاج التُّقَى تفديكَ نفسي ونفسُ أُولي الرئاسة والوُلاةِ
فِدَاك الكونُ يا عَطِرَ السَّجَايا فَمالِ الناسِ دونكَ من زكاةِ
فَأَنتَ قَدَاسَةٌ إمَّا استُحِلَّتْ فذَاك الموتُ مِن قبل المماتِ!!!
وعِرضُكَ عِرْضُنَا ورُؤاك فينا بمنزلةِ الشَّهادة والصَّلاةِ
رُفِعْتَ منازِلًا.. وشُرِحتَ صَدْرًا ودينُك ظاهِرٌ رَغْمَ العُدَاةِ
وذِكرُك يا رسولَ الله زادٌ تضاءُ به أساريرُ الحياةِ
وغَرْسُك مثمِرٌ في كل صَقْعٍ وهَدْيُكَ مُشرِقٌ في كُلِّ ذاتِ

(١) للدكتور عبد المعطي الدالاتي.

فمنك شريعتي.. وسكونُ نفْسي ... ومنك هُويَّتي.. وسموٌّ ذاتِي

ولي فيك اهتداءٌ ... لأخلاقِ العُلَا والمكْرُماتِ

ومنكَ دعاءُ إمسائي وصَحْوي ... وإقبالي وغمْضي والتفَانِي

يحارُ اللفظُ في نَجْواكَ عَجْزًا ... وفي القلبِ اتِّقادُ المُورِياتِ

ولو سُفِكتْ دمانا ما قَضيْنَا ... وفاءَكَ والحقوقَ الواجباتِ[1]

(١) لصالح بن علي العمري.